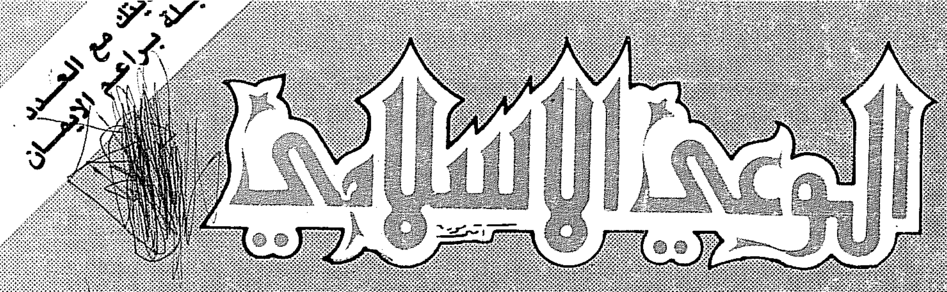
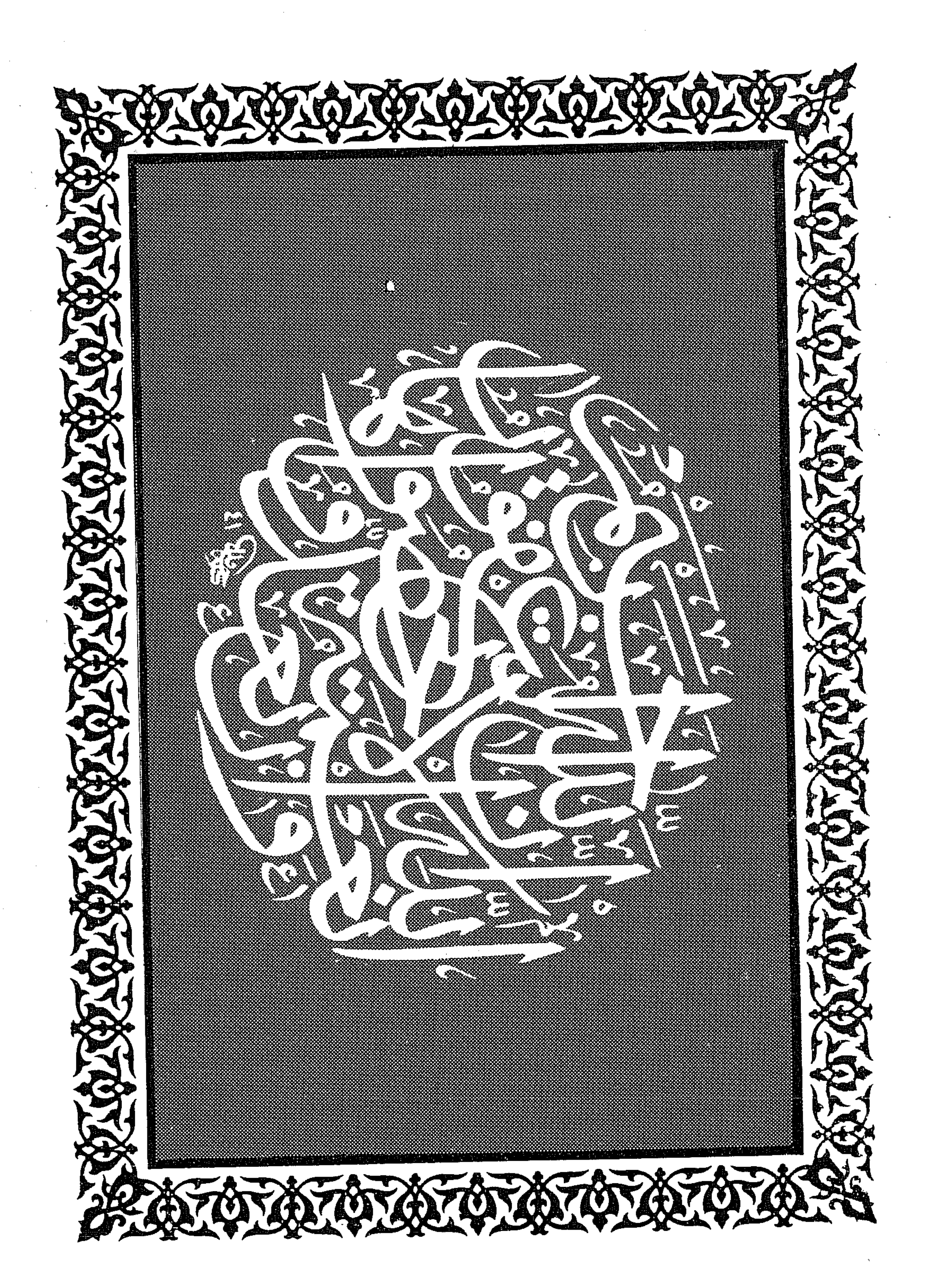


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٤٣ - ربيع الأول ١٤٠٥ هـ - ديسمبر ١٩٨٤م

مسجد الدولة - الكويت





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الحادية والعشرون

العدد ٢٤٣ ـ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٤م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأ[illegible]	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

لن تصرفنا التضحيات عن الدعوة إلى الوحدة

ألقى سمو أمير الكويت النطق السامي في افتتاح دور الانعقاد التكميلي للفصل التشريعي الخامس لمجلس الأمة . وقد أشار سموه الى روح الكويت المتآلفة ، وتمسك الكويت بالحق وبذل التضحيات ، والدعوة الى الوحدة والتضامن وحقن الدماء في العالم العربي والاسلامي ، واسترداد الأرض السليبة والقدس الشريف . وفيما يلي نص الكلمة :

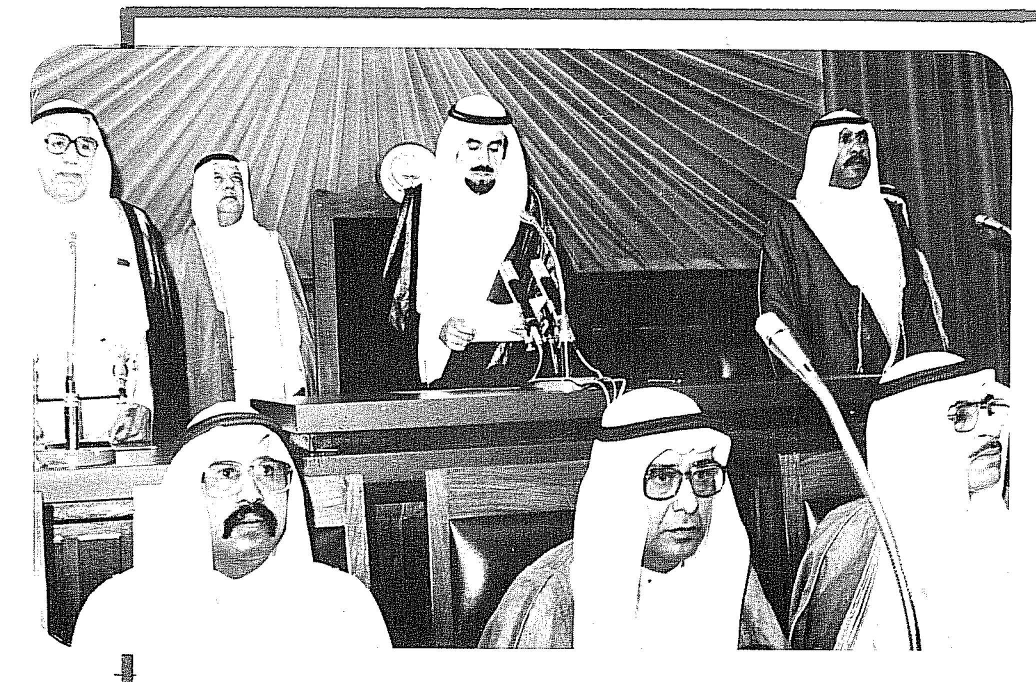
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ناصر الحق بالحق وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه » .

اخواني بعون من الله تعالى نفتتح دور الانعقاد العادي الخامس التكميلي للفصل التشريعي الخامس لمجلس الأمة .

وبين استقبال هذا الفصل التشريعي وحمل مسؤولياته تجلت بحمد الله روح الكويت المتآلفة القادرة على الانجاز وتخطي العقبات .

وتجلت في تماسك الكويتيين ومؤسساتهم التشريعية والتنفيذية وفي القضاء الكويتي في تقاليده الاصيلة فكان بها حصنا يأوي اليه طالب الحق وفي تآخي المواطنين والوافدين على ارض الكويت الطيبة .

اخواني لقد كان لتمسك الكويت بالحق ان تعرضت وتعرض ابناؤها للعدوان الظاهر والخفي ولن تصرفنا التضحيات عن الدعوة الى الوحدة والتضامن وحقن الدماء في عالمنا العربي



والاسلامي واسترداد الارض السليبة والقدس الشريف فهي جميعا علامات على الطريق التي نسلكها وندعو اليها ونشارك في حمل مسؤولياتها مؤمنين انها طريق الحق والله هو الحق المبين . منه سبحانه نستمد العون وفي جواره ورحمته نستودع من سبق اليه شهيدا مظلوما .

اخواني اذكروا دائما ان الكويت ارادة شعب آمن بربه وحقق الحياة على رمال الصحراء وفوق موج البحر شعب شريف الكلمة واليد والسلاح يعرف كيف يحمي وطنه ويذود عن مصالحه ويتابع مسيرته في السراء والضراء اذكروا ان الكويت بسمة على شفاه الابناء وامل في صدور الشباب ودعوة طيبة تنبض بها قلوب الاباء فاحفظوا البسمة والامل بالجهد والتعاون والعمل وتابعوا مسيرة الخير لشعب احب الخير وعاش به ودعا اليه في نور من قول الله سبحانه وتعالى : **(وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين)** .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

في شهر ربيع الاول من كل عام ، تتجه القلوب بدافع الحب والولاء ، الى وقفة خاشعة في محراب ذكرى مولد سيد الانبياء ، ويحس الجميع على امتداد الزمان والمكان ، بالفرحة الغامرة ، اذ مَنَّ الله على البشرية الضالة ، والانسانية التائهة ، بمولد الهدى والنور ، فكان ايذانا بطلوع فجر ليل اشتد ظلامه ، ومن مكة المكرمة، تفجر النبع الطهور ، يغسل أدران الجاهلية ويعيد

الفطرة الى الصفاء والنقاء كما خلقها الله وجاء محمد صلى الله عليه وسلم ، بمنهج الله ، يملأ القلوب بنور الايمان،والآذان بصوت التوحيد ، ويصون الجباه من السجود لغير الله ، جاء يهدي الحيارى ويحمي المستضعفين ، وتحت لواء الاسلام ، وفي ظلال الحق والعدل والمساواة ، تبدلت القسوة الى رحمة ، وتحول الخوف والاضطراب الى أمن وسكينة واستقرار ، وتغير الخلاف والفوضى الى نظام وتعمير ، وصدق الله العظيم « **ومأأرسلناك الا رحمة للعالمين** » ١٠٧/الانبياء في مكة والمدينة ، واجه رسول الله المحن والأهوال بالايمان والصبر ، كما قابل النصر بالتسامح والتواضع والشكر ، عاش من تبعه ومن خالفه في ظل رحمته ، ومنذ أن استيقظ على صوت الوحي في غار حراء ، بقي مشغولا بهداية قومه ، شديد الحرص على تحريرهم من إسار الشرك ، وقيود التقاليد ، حتى خاطبه ربه بقوله « **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** »

محمد الذي شيعه العبيد والسفهاء يوم الطائف بالسخرية والحجارة ، هو الذي يدخل مكة فاتحا منتصرا ، في انحاءة شاكرة ، ولا ينزع مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ويقول اليوم يوم بر ووفاء ، ويخاطب من آذوه واحكموا الحصار ليقتلوه بكلمته الخالدة « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وصدق الله العظيم « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » لقد خلد التاريخ الكثير من مواقف عطفه ورحمته ، كما حفلت كتب السيرة بذكر صور من فضله الذي نشره ، وعفوه الذي كان طبيعة له ، والرحمة التي كانت سجية فيه ، والاخاء الذي سهر من أجله ، والوفاء الذي أسس مدرسته ، ومهما كتب الناس وتسابقوا في بيان فضله ، فلن يستطيعوا الاحاطة بجوانب عظمته ، لان الله أدبه فأحسن تأديبه ، ثم مدحه بقوله « **وانك لعلى خلق عظيم** » الآية ٤ سورة القلم.ومما يلفت النظر ، ان بعض الكتاب من غير المسلمين ، أقروا بفضل صاحب الذكرى ، وانه من أكبر المصلحين على الاطلاق ، يقول فيه - السيرموير - لم يكن الاصلاح أعسر ولا أبعد منالا منه وقت ظهور محمد ، ولا نعلم نجاحا واصلاحا تم ، كالذي تركه عند وفاته . وقد عبر العلامة « هيل » في كتابه « حضارة العرب » عن أثر الدعوة المحمدية بكلمة قوية جاء فيها : لقد أخرج محمد امة الى الوجود ومكن لعبادة الله في الارض وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين ، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لاتعرف غير

الفوضى » .

التاريخ الحديث سجل نقدا لقادة الحروب في معاملتهم للأمم المقهورة وأسرى الحرب ، وضرب لذلك أمثلة من الحرب العالمية الثانية ، كان من سياسة الألمان فيها ، أن يموت مئات الآلاف من الأسرى موتا بطيئا ، بسبب الجوع والمرض ، واقترح بعض قادتهم أن يوسم الأسرى بالحديد المحمي ، كما أثبت . تشرشل في مذكراته ، ان المبادىء الأخلاقية للحضارة الحديثة ، تقضي بأن يقوم المنتصرون باعدام قادة الدول المقهورة في الحرب - وامام هذا الوجه المظلم لنزعة الشر عند قادة الحروب في عصور الحضارة ، يعرض المنصفون الوجه المشرق في موقف النبي القائد ، وهو في قمة الانتصارات العسكرية ، كان أبعد الناس عن سفك الدماء ، وقتل الأبرياء ، وأقربهم الى الصفح والعفو والرحمة ، وعلى درب الصراع الطويل مع جبهات الكفر والنفاق والتآمر ، لم يزد عدد القتلى من معسكر الكفر والمعسكر الاسلامي في جميع الغزوات والسرايا ، عن ألف وثماني عشرة فقط بينما القنبلة الذرية حصدت في لحظة واحدة ، أكثر من ثلاثمائة ألف انسان في هيروشيما .

وفي الوقت الذي كان يلقى فيه الاسرى أشد انواع الاذلال والابادة الوحشية على يد الفرس والرومان ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بالاسارى خيراوفي أعقاب موقعة بدر ، أمر بالاحسان الى الاسرى ، وفرقهم على اصحابه حتي يتم فداؤهم ، وخاطبهم بقوله « استوصوا بالاسارى خيرا » ودعاهم الى اكرامهم والاحسان اليهم ، وقد من بالعفو على من لم يستطع اداء شيء مما فرض على الاسرى رفقا به واحسانا اليه ، وأراد عمر رضي الله عنه ان ينزع اسنان احد الاسرى لانه كان يحرض بالخطاب ضد المسلمين ، فنهاه النبي الكريم ، وقال:لا أمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا . انه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

لهذا اعترف قادة العالم ، بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان قائدا يملك مواهب القيادة من غير تدريب سابق او ممارسة عسكرية .

لقد كان محمد أهلا لقيادة تهوى اليها الافئدة ، ولن تعرف الدنيا رجلا فاضت القلوب بحبه واجلاله ، والتفاني في حياطته واكباره ، مثل مايعرف ذلك لصاحب الذكرى محمد صلى الله عليه وسلم ، قدس الناس فيه معنى الرسالة ، وصانوا في شخصه معالم الحق المنزل ، وأحبوه الى حد الهيام ، بل أكثر من حبهم لابنائهم وأنفسهم ، وكان صمود المعذبين في مكة ، وتضحية

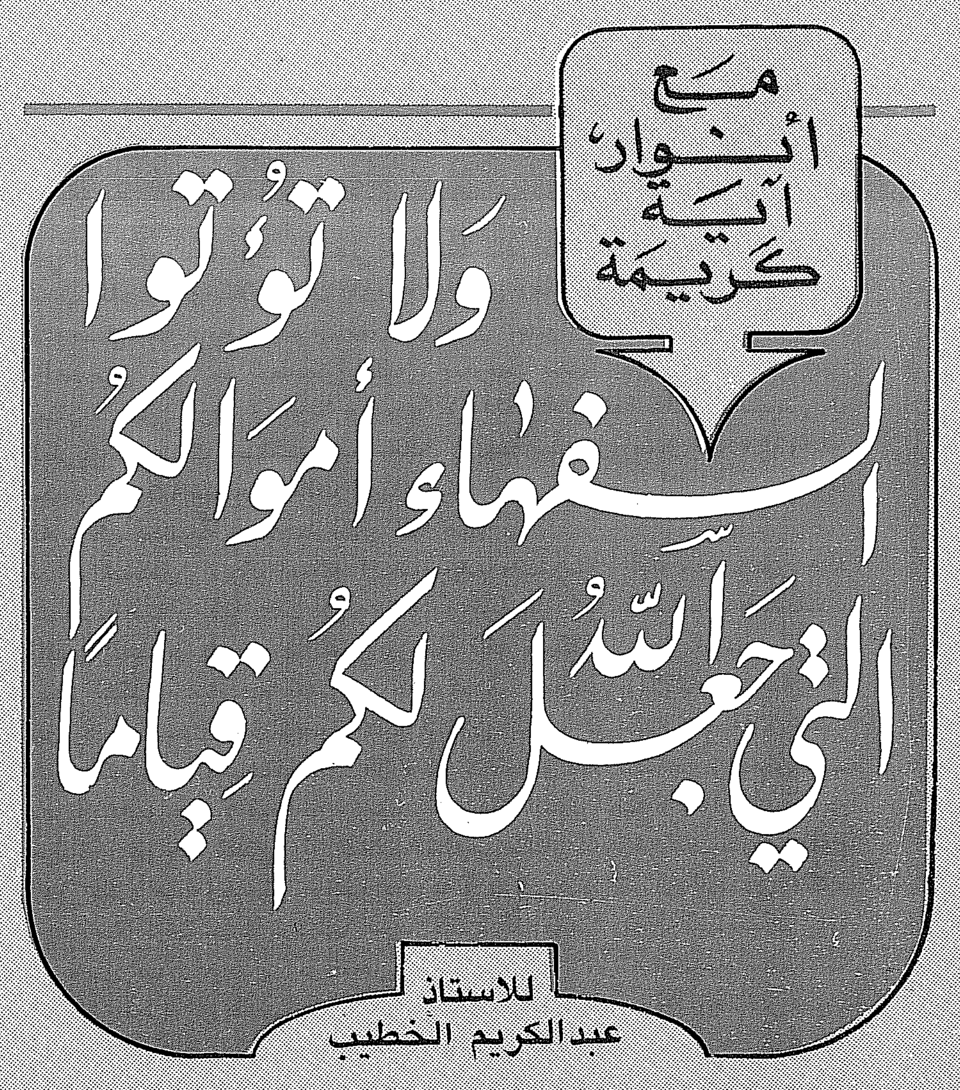
أبي بكر واولاده ، وفدائية علي ، واستشهاد اصحابه كل ذلك كان ترجمة للحب القوي ، والتلاحم بين المؤمنين والنبي ، لما أشيع يوم احد ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ووصل الخبر الى المدينة ، خرج النساء والصبيان الى أحد ليطمئنوا عليه ، وخرجت معهم امرأة مؤمنة من بني دينار ، قتل ابوها واخوها وزوجها في المعركة ، فلما قابلت الجيش في الطريق ، وعلمت باستشهادهم ، قالت في لهفة ، مافعل رسول الله ؟ قالوا هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت ـ الحمد لله ـ كل مصيبة بعدك يارسول الله هينة .

هذا والمسلمون ، وقد استقر في ضميرهم حب رسول الله ، يترجمون هذا الحب بالصلاة عليه عقب كل صلاة ، ويتوجهون اليه بالسلام في صلاتهم ، قائلين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وعلى امتداد الزمان وبعد المكان ، يشدهم الشوق لزيارة قبره ، وبالحب والاكبار يسعدون في جواره ، وليست هذه الصور كافية لاعلان المسلم عن حبه لامامه الاعظم ، ويوم يكون حب محمد قاصرا على صلوات تنطلق بها الحناجر ، في مناسبات معينة ، فهو حب لا قيمة له ، ويوم يكون هذا الحب احتفالا تقام ايام ذكرى مولده ، فهو حب شكلي ، ان الحب الحقيقي ماكان نابعا من قلب يستقبل هذا النور بكل أمانة وصدق ، ويستهدى به في دروب الحياة ، ان الرسول الاكرم ترك لامته تراثا جليلا ترك لها امرين كتاب الله وسنة رسوله لو تمسكنا بهما لن نضل أبدا ولن نذل . بل نمضي على طريق الحق اعزة معتصمين بحبل الله المهم ان نعود الى كتاب الله ونسير على درب رسول الله ، وأن نتعلم من سيرة صاحب الذكرى ، ان محنة الاسلام عارضة ، وأن هذا الدين بما أودع الله فيه من عوامل البقاء ، لن يتقلص ظله ، ولن تنكس رايته ، وانه سيبقى مابقي الليل والنهار .

ويوم يلتزم المسلمون بما جاءهم من عندالله عقيدة وعملا ، يكشف الله مابهم من غم ويثبت أقدامهم ، ويؤيدهم بنصره الذي وعدهم به في قوله سبحانه « **يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » الآية ٧ سورة محمد

رئيس التحرير

حسن منّاع



المال : معناه ، لغة وشرعا :

تطلق كلمة (المال) وتجرى على ألسنة الناس في كل زمان ومكان ، فيتبادر إلى الأذهان ، أن المقصود بها ، هو العملة المتبادلة بينهم ، في البيع والشراء ، والديون ، والقروض ، والديات ، وغيرها ، مما هو مفهوم للمال في العرف العام ، سواء بين الأفراد ، أو الجماعات ، أو الشعوب ..

ولكن المفهوم الاقتصادي للمال ، أنه كل ما ينتفع به على أي وجه من الانتفاع المادي ، ويقوم بثمن ، أيا كان نوعه ، وأيا كانت قيمته ..

فمن ملك أرضا ، فهي مال ، ومن ملك بيتا فهو مال ، ومن ملك ثوبا أو متاعا ، فهو مال ، ومن ملك شجرة فهي مال ، ومن ملك ثمر شجرة فهو مال ، ومن ملك عين ماء ، فهي مال ، وهكذا كل شيء يمكن أن يعرض في السوق ، وتقدر له قيمة ، هو

مال ، وكل شيء يمكن أن ينتفع به على أي وجه من وجوه الانتفاع ، هو مال ..
وهذا المفهوم الاقتصادي للمال ، كان معروفا عند العرب في الجاهلية ..
فالابل عندهم مال ، والغنم مال ، والنخيل مال ، وعيون الماء مال .. وكل شيء يمكن الانتفاع به ماديا ، ويتبادلونه بأعواض ، هو مال ..
يقول صاحب القاموس المحيط : « المال ما ملكته من كل شيء ، وجمعه أموال ، ورجل ميل ، ومول (بتشديد الياء والواو) كثير المال .. وملته (بضم الميم ، وسكون اللام) أعطيته مالا » .
وعندي أن الأصل في كلمة (مال) أنها جملة مكونة من ثلاثة مقاطع هي : (ما) الموصولة ، بمعنى الذي ، و(ل) أي لام الجر ، الذي يفيد الملكية ، و(ي) أي ياء المتكلم ، الذي يضاف إليه ما سبقه .
فالتركيب هكذا (مالي) ، أي الذي لي ، ويختص بي .. ومثله : (مالك) أي الذي تملكه ، و (ماله) أي الذي يملكه .. وهكذا .. فإذا انقطعت كلمة (مال) عن الاضافة ، دلت على المال وحده ، دون من يملكه ..
أما المال في الشريعة ، فهو المال مطلقا ، وهو المال المضاف إلى مالكه ، سواء أكان فردا أو جماعة ، جاء عن طريق العمل ، أو الارث ، أو الوصية ، أو الزكاة ، أو الصدقة .
وقد جاء (المال) في القرآن الكريم ، مفردا ، وجمعا ، منكرا ومعرفا ، مضافا إلى الجهة المالكة له .. كما أنه قد أضيف إضافة مطلقة إلى الله تعالى ، المالك لكل شيء ، والواهب لكل من ملك مالا ، وفي هذا يقول الحق سبحانه : (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**) سورة النور/٣٣ .

المال ، وسلطانه ، وطغيانه :

وللمال سلطان متمكن من النفوس ، وطغيان مدمر لكثير من الناس الذين يلهيهم المال ، ويذهب بهم مذاهب التيه ، والكبرياء ، حتى ليحملهم هذا على استعباد الناس وإذلالهم ، ثم ادعاء الألوهية عليهم ، حتى يعبدوهم من دون الله .
فهذا قارون ، قد آتاه الله من المال ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، فكفر بالله ، وفي هذا يقول الله تعالى عنه : (**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم و آتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي**) القصص/٧٦ ـ ٧٨ .
فماذا كانت عاقبة هذا الغوى الأثيم ؟ يقول الله تعالى : (**فخسفنا به وبداره**

الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) القصص/ ٨١ .

وهذا فرعون ، وقد قام على ملك مصر ، فركبه الهوس والغرور ، فيقول الله تعالى على لسانه : (**ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**) الزخرف/ ٥١ . ثم يمتد به الهوس والغرور ، حتى يدعي انه إله ، لا إله غيره، فيقول الله تعالى : (**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**) القصص/ ٣٨ .

وهؤلاء ، قوم هود ، وقوم صالح ، قد أمدهم الله بالكثير من آلائه ، فكفروا بأنعم الله ، وأبوا أن يستجيبوا لدعوة رسولهم ، ويؤمنوا بالله ، ولا يعثوا في الأرض مفسدين ، فصب الله البلاء عليهم ، وأهلكهم بذنوبهم ، كما يقول سبحانه : (**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) العنكبوت/ ٤٠ .

وهذا الوليد بن المغيرة المخزومي ، كان كثير المال ، وكان يلقب في قريش بالوحيد ، لتفرده بالغنى الذي لم يلحقه فيه أحد .. وكان من ذلك أن طغى ، وبغى ، ومشى بين الناس يختال تيها وعجبا ، محتقرا لكل من تقع عليه عيناه .. وقد أرسلته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليستمع لما يتلو من قرآن ، فلما استمع إلى ما قرأ رسول الله ، أخذه العجب مما سمع ، فلما رجع إلى قريش ، قال : لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ، ما هو من كلام الانس ، ولا من كلام الجن ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ، وما يعلى عليه » .

فلما سمعت قريش هذا القول من الوليد ، أنكرته ، وقالت له : لقد سحرك محمد ، ثم أظهرت القطيعة له .. ثم مازالت به ، حتى ردته عن قوله ، وقال : ما محمد إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين المرء وزوجه .. ثم لم يكتف الوليد بهذا ، فكان من أشد الأعداء لرسول الله ، ولمن دخل في دين الله ، والرسول الكريم يرى ، ويسمع ما كان يأتي به الوليد من شناعات وافتراءات ..

وقد رفع الله تعالى عن صدر رسوله الكريم ، ما كان يجده من طغيان الوليد ، وسوء فعلاته ، وتولى سبحانه أخذ الوليد بما يسوؤه في الدنيا ، وما يخزيه في الآخرة ، فيقول جل شأنه : (**ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر . وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر . عليها تسعة عشر**) المدثر/ ١١ ـ ٣٠ .

وفي الوليد بن المغيرة ، هذا ، نزلت سورة (الهمزة) وفيها يقول الله تعالى :

(ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن في الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممدة) ..

الاسلام ونظرته الى المال :

والاسلام ينظر إلى المال ، نظرته إلى الناس أنفسهم ، وإلى ارتباط حياتهم ، وتحركهم في الحياة بالمال ، كسبا وإنفاقا ، إذ لا حياة لفرد ، أو جماعة ، أو أمة إلا بالمال ، قل . أو كثر . فمن المال يكون طعام الانسان . وشرابه . وكساؤه . وأدوات عمله . في الزراعة . أو الصناعة . أو التجارة . ومن المال وسائل ركوبه . وانتقاله . سعيا وراء رزقه ..

والشاعر العربي يقول :

كل النداء إذا ناديت يخذلني
إلا ندائي إذا ما قلت يامالي

فإذا كان للمال هذا المكان المكين في حياة الناس ، وكان طلبة كل إنسان ، والدافع له إلى السعي والعمل ، في سبيل تحصيله ـ فإنه من أجل هذا كان مجال تنافس بين الناس ، وداعية من دواعي عدوان بعضهم على بعض ، بالسرقة ، والنهب ، والغش في المكيال ، والميزان .. والله تعالى يقول : **(واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة)** الانفال/٢٨ .

ومن هنا جاءت الشرائع السماوية ، لتقيم الناس على الصراط المستقيم ، لكسب المال من طريق الحلال ، وانفاقه في وجوه الخير لصاحبه ، وفي البر والاحسان ، للفقراء والمساكين ، من أهل وجيران ، وفي الانفاق في سبيل الله ، لاعداد الزاد والسلاح للمجاهدين ، والقيام على رعاية أبنائهم وأهليهم ، وهم في ميدان القتال ..

وقد حث الله المؤمنين على العمل للوفاء بحاجتهم ، وحاجات من يعولون ، فقال تعالى : **(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)** الملك/ ١٥ . ثم إن الله سبحانه ، قدم العمل لكسب القوت على الجهاد في سبيل الله ، لأنه لاجهاد بغير زاد ، وعتاد ، وفي هذا يقول جل شأنه : **(فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله)** المزمل/ ٢٠ .

وأكثر من هذا فقد دعا الله المؤمنين . وهم قائمون بالعمل في ميدان التجارة ـ دعاهم إلى أداء صلاة الجمعة ، إذا نودي لاقامتها ، ثم دعاهم إلى أن يعودا إلى مباشرة أعمالهم بعد أداء الصلاة ، فقال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن**

كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) الجمعة/ ٩ و ١٠ .

ماذا في الاسلام عن المال ؟

لقد أفسح الاسلام في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية المطهرة ، مكانا فسيحا ، محكما ، للمال ، كسبا ، وإنفاقا ، وأقام عليه حراسة ملازمة ، محكمة ، تدفع عنه يد البغي والعدوان ، سواء من صاحبه ، أو غير صاحبه ..

وكان من تدبير الاسلام في هذا :

● **أولا** : دعا إلى كسب المال من طريق الحلال ، بالعمل الجاد المثمر . في وجوه الحياة المختلفة .. فقال تعالى : **(الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)** ابراهيم/ ٣٢ ـ ٣٤ .

● **ثانيا** : أمر الله تعالى بقطع يد السارق المعتدى عى ـ ال الغير ، حماية لحق صاحبه وكاسبه ، فقال تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)** المائدة/ ٣٨ ، كما نهى الله تعالى عن الربا ، واستغلال حاجة المحتاجين الى المال من أيدي المرابين ، فقال تعالى : **(يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)** البقرة/ ٢٧٨ و٢٧٩ .

● **ثالثا** : حرس الاسلام المال من يد صاحبه ، وإنفاقه في أهواء نفسه ، ووساوس شيطانه ، فقال تعالى : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الأعراف/ ٣١ .. كذلك رفع الاسلام يد صاحب المال عن ماله ٠ إذا كان سفيها لم يحسن سياسة كسبه وإنفاقه .. وجعل هذا المال إلى يد ولي الأمر ، من أهله ، أو الحاكم ، ليقيم عليه من يحسن التصرف فيه ، فقال تعالى : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** النساء/ ٥ .

والناظر في أنوار هذه الآية الكريمة ، يرى في قوله تعالى : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)** أن المال في يد السفيه الذي لا يحسن سياسته ، هو مال الجماعة المؤمنة ، ولهذا أضافه الحق سبحانه إلى المؤمنين ، فقال : « أموالكم » ولم يقل : (ماله) .. لأن المال في حقيقته نفع عام ، وإن كان في يد مالكه ، فإن هو لم يحسن التصرف فيه ، وذهب به مذاهب الضياع والتبديد ،

انتزع منه .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « **التي جعل الله لكم قياما** » وفي هذا إشارة إلى ما للمال من شأن في الاسلام ، وفي إقامة المجتمع القوي ، القادر على حماية وطنه ، وإقامة دولته ، عزيزة ، ذات سلطان متمكن في دنيا الناس .

فالذين يتحدثون باسم الاسلام ، مهونين من شأن المال ، أو مستخفين به وبأهله ، إنما يفترون على الاسلام الكذب ، وينطقون عنه زورا وبهتانا ..

ثم إذا انتزع الاسلام المال من أيدي السفهاء ، ووضعه في أيد أمينة ، تحسن التصرف فيه ، لم يحرم هؤلاء السفهاء من حق انتفاعهم به ، فقال تعالى : (**وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا**) وبهذا أوجب الله تعالى على من كانت في أيديهم أموال السفهاء ، أن يرزقوهم منها ، في طعامهم ، وسكنهم ، وفي لباسهم ، وأن يقوموا بهذا في رفق ومودة ، وألا يسيئوا إليهم بنظر ، أو قول ، فهم رعاة لهم ، قبل أن يكونوا رعاة لأموالهم ..

وفي قوله تعالى : (**وارزقوهم فيها واكسوهم**) ما يشير إلى أن الانفاق على هؤلاء السفهاء ، إنما يكون من صميم مالهم ، لا من حواشيه ، بمعنى أن ينفق عليهم بالقدر الذي يسمح به مالهم ، ويتسع له .

فكلمة (فيها) ظرف يحتوي المال كله ، ويشتمل عليه ، ولهذا عدل القرآن الكريم ، عن لفظ (منها) وجاء بلفظ (فيها) إذ أن (من) تفيد التبعيض ، بخلاف (في) التي تفيد الاحاطة والشمول .

● **رابعا** : فرض الاسلام ، على صاحب المال إخراج الزكاة منه ، سواء كان نقدا ، أو أنعاما ، أو زرعا ، أو ركازا ، وهو ما يستخرج من باطن الأرض من ذهب ، أو فضة ، أو بترول ، ونحو هذا ، مما يكون في محيط المجتمع ، وفي هذا يقول الله تعالى لرسوله الكريم : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة/١٠٣ ويقول سبحانه : (**ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم**) التوبة/١٠٤ .. ويقول جل شأنه : (**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**) البقرة/٢٦١ . ويقول تبارك اسمه (**قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون**) المؤمنون/١ ـ ٤ .

ومن جهة أخرى ، فقد حث الاسلام على العمل والكسب ، حتى لا يمد المسلم يده إلى الغير ، فيهون ، ويذل ، وقد أثنى الله على المسلمين الذين أمسكتهم قريش عن الهجرة ، وحاصرتهم في مكة ، فقال سبحانه : (**وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا**) البقرة/٢٧٢ و٢٧٣ .

ويقول رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الغنى عن كثرة

العرض ـ أي المال ـ إنما الغنى غنى النفس » رواه الشيخان ويقول صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل ، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره ، فيبيعها ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه ، أو منعوه » رواه البخاري .

فهذا هو الاسلام ، وتلك هي منزلة أهله عند الله .. إنهم عاملون ، جادون في كسب الرزق ، وعمارة الأرض ، وليس للقادر على العمل والكسب أن ينام في ظل الكسل والعجز ، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه يقول ـ : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ، ولا فضة » .

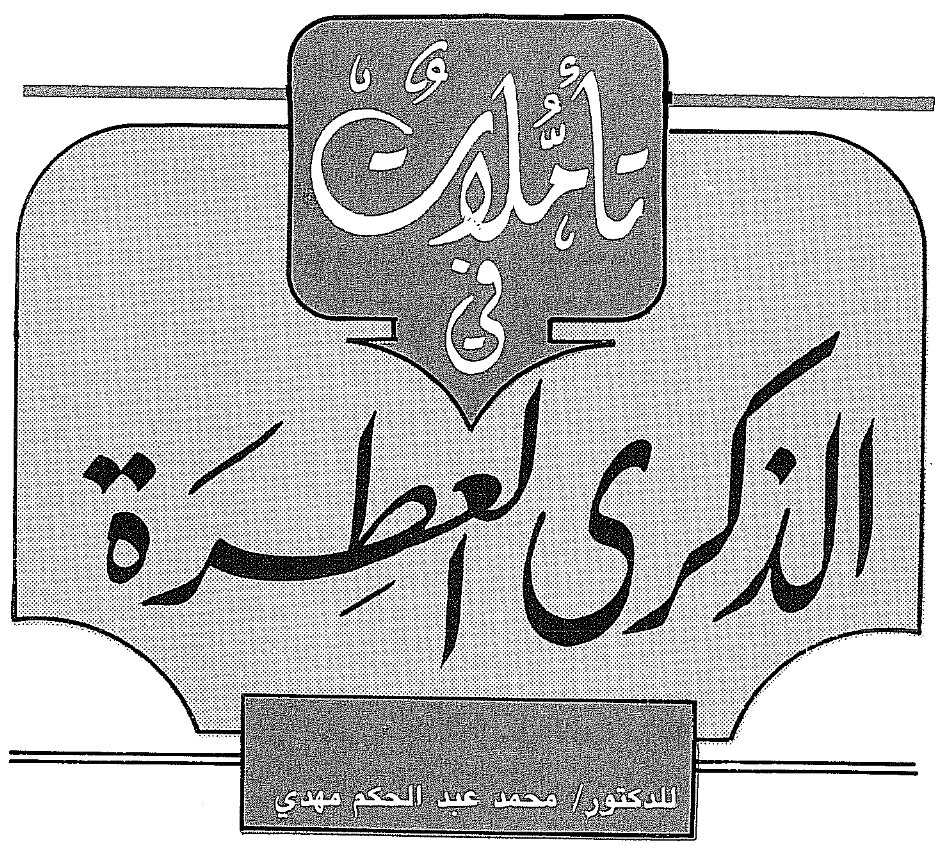
أما الذين لا يقدرون على العمل والكسب ، لمرض ، أو شيخوخة ، فإن الاسلام ، قد جعل لهم في الزكاة حقا معلوما ، يصون وجوههم عن الخزي في سؤال الأغنياء ، وبهذا لا ينال من قدرهم ، ولا تمتهن كرامتهم .. وفي هذا يقول الله تعالى : (**إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم**) المعارج/١٩ ـ ٢٥ .

لقد وصل الاسلام الأمة الاسلامية برباط وثيق ، من التراحم ، والتواصل ، والتكافل ، فكانت جسدا واحدا ، يأخذ كل فرد من المسلمين مكانه في هذا الجسد ، ويؤدي الوظيفة المناسبة له ، والله تعالى يقول : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات/١٠ .. إنها إخوة نسب يرجع إلى الأب الأول للبشر ، آدم ، عليه السلام ، وهي أخوة عقيدة تجمع اصحابها على الايمان بالله تعالى ، والاقرار بوحدانيته ، والاتباع لشريعته التي حملها القرآن الكريم ، وبلغها وبينها الرسول الكريم ، محمد ، صلوات الله وسلامه عليه .

ويقول الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم .

هكذا كان المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم ، إلى سقوط الخلافة العباسية ، في القرن الرابع الهجري ، حيث سجل لهم التاريخ أورع وأمجد صفحات ، لم تكن لمن كان قبلهم أو جاء بعدهم ..

فأين نحن اليوم ، أيها الأخوة المسلمون ؟ وأين ما في أيدينا من هذا الميراث العظيم ، الذي تركه لنا أجدادنا ؟ لقد ذهب كله أو كاد أدراج الرياح ، ولن يعود إلينا إلا إذا عدنا إلى ديننا ، وأثبتنا نسبتنا إليه ، حيث ترى الحياة منا وجه الشبه بيننا وبين آبائنا وأجدادنا ، وذلك إنما يكون بعمراننا للأرض ، واستخدام الوسائل التي يدلنا عليها ما نحصل من العلوم والمعارف ، وحينئذ يعتدل ميزاننا ، وتقوم أمتنا ، التي يقول الحق سبحانه عنها : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/١١٠ . (**والله متم نوره ولو كره الكافرون**) الصف/٨ .



للدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام تحين ذكرى مولد سيد الخلق، محمد صلى الله عليه وسلم، فيعيش المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يوما عاطرًا. ففي مثل هذا اليوم أطل على الدنيا طفل صغير شاءت إرادة الله وقدرته أن يصبح معلم البشرية وهاديها ومنقذها من طريق الهلاك والدمار إلى طريق الهداية والرشاد. وجاء المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ليكون الرحمة المهداة للبشرية ونموذجها الفريد والأكمل لحسن الخلق وطهارة النفس والقلب، ومعلمها الفذ الذي لا معلم مثله ولا نظير سواه.

- (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١ .
- (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) التوبة/ ٢٨ .
- (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الأنبياء/ ١٠٧ .
- (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) الجمعة/ ٢ .
- (**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**) آل عمران/ ١٦٤ .

مولده عليه الصلاة والسلام :

لعل أول الامور الجديرة بالتأمل هي يوم ميلاده صلى الله عليه وسلم : فقد ولد يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٣ من ابريل سنة ٥٧١ ميلادية . كما كانت هجرته إلى المدينة المنورة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤ من البعثة الموافق ٢٤ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية . وكان انتقال المصطفى - عليه أفضل الصلاة والسلام - إلى الرفيق الأعلى مختارا إلى جوار ربه الكريم في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ هجرية الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٢ ميلادية .

إن اختيار المولى عز وجل ليوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ليوم مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذلك ليوم هجرته ويوم انتقاله إلى جوار ربه لابد أن يكون ذا مغزى :

(١) - كلنا يعرف أن العيد الأسبوعي لليهود هو السبت وللمسيحيين الأحد ، وقد سبق في علم المولى جل شأنه أن العيد الأسبوعي للمسلمين سيكون الجمعة ، ويأتي يوم الأثنين كأول يوم بعد هذه الأعياد الأسبوعية للأديان السماوية الثلاثة كيوم متميز بين أيام الأسبوع السبعة مما يعني بدوره تمايزا وتفردا لحدث الميلاد ولصاحب الميلاد ذاته .

(٢) - يقع ترتيب يوم الاثنين كيوم وسط بين أيام الأسبوع يسبقه ثلاثة أيام متميزة ويليه ثلاثة أيام أخر ، وربما يكون ذلك إشارة إلى أن الرسالة التي سيحملها هذا الرسول هي الدين الوسط بين كل الأديان لأنها مناسبة للفطرة متماشية معها .

(٣) - وأما ما يعنيه اختيار المولى جل شأنه لشهر ربيع الأول كشهر الميلاد لسيد الخلق فقد يكون أنه بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم قد بدأت حياة مزهرة لهذا العالم وبدأ عصر ربيعي مشرق لهذا الكون بالنسبة لما سبقه من عصور الضلالة والظلام . وهو نفس المعنى الذي قد يعنيه اختيار نفس الشهر من المولى سبحانه لهجرة المصطفى إلى المدينة المنورة وبداية عصر جديد لبناء الدولة الاسلامية وترسيخ أقدام الدعوة وانتشار الاسلام . وأما ما يعنيه اختيار المولى جل وشأنه لشهر ربيع الأول لانتقال النبي الكريم إلى جوار ربه فقد يكون أن حياة المصطفى وحياة الدعوة الاسلامية ككل لم تنته بموته وإنما هي ربيع مستمر ودائم . وقد يكون ذلك هو ما عناه خليفة رسول الله أبو بكر الصديق بأنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

(٤) - وأخيرا فإن ما يعنيه اختيار المولى سبحانه لعام الفيل كعام مولد المصطفى عليه أزكى السلام ، قد يكون إشارة لأهمية شخص المولود وما يجب على الناس من ضرورة تذكرهم لحدث الميلاد . ولقد اعتبر مؤرخو تاريخ الجزيرة العربية أن عام

الفيل ربما يكون أهم أعوام الجزيرة العربية قبل الاسلام من الوجهة التاريخية ؛ وعليه فإن من يولد في هذا العام لابد أن يذكره الناس دائما .

(٥) ـ ولعله لا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن ما حدث من ظواهر طبيعية وأحداث هامة يوم مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنها تصدع إيوان كسرى ، وانطفاء نار المجوس وتلاشي مياه بحيرة « ساوة » وغيرها ربما تكون إشارات إلى أنه بمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام قد تغيرت تركيبة العلاقات التي تربط الناس بآلهتهم وبغيرهم وحتى بالمادة من حولهم : إن وقوع هذه الأحداث في يوم مولد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام دون سبب ظاهر لها يعني أن الله جلت قدرته شاء أن ينبه الناس إلى بدء مرحلة إيمانية جديدة لهذا الكون ، ولا يكون ذلك إلا بتقدير نتائج أحداث جسام بدون أسباب ظاهرة لأنه سبحانه وتعالى هو القادر وحده على أن يحقق النتائج بلا أسباب ، وهو القادر دون سواه على أن يقول للشيء كن فيكون .

نشأته عليه الصلاة والسلام :

مات عبدالله والد المصطفى عليه الصلاة والسلام قبل أن يولد ولده محمد . وماتت أمه آمنة بعد ولادته بقليل ، ومات جده عبد المطلب قبل أن يبلغ النبي السادسة . ترى هل حدث كل ذلك صدفة أم أنه تدبير الخالق جل شأنه ؟ إن من أهم أسس الايمان التسليم بالقضاء والقدر والايمان بأن ما يحدث في ملك الله لا يقع إلا بإذنه ومشيئته ، وعليه فلا يمكن أن يقع في ملك الله شيء بالصدفة . وعلى ذلك فإن وفاة عبدالله وآمنة وعبد الملطلب لابد أن يكون لحكمة أرادها المولى عز وجل ألا وهي استخلاص محمد لله وتربيته بطريقة سماوية لا نظير لها وهذا ما شهد به الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** ـ القلم/ ٤ . وأن يقرر سبحانه وتعالى الحكمة التي استخلص من أجلها الرسول لنفسه والطريقة التي شاء المولى أن يتم بها هذا الاستخلاص وهي اليتم : **(ألم يجدك يتيما فآوى)** الضحى/ ٦ .

وعلى ذلك فإن نشأة المصطفى عليه الصلاة والسلام هي الأخرى جديرة بالتأمل والنظر واستخلاص العبر :

(١) ـ يقول علماء النفس ان السيطرة على الطفل ، وسيطرة الأب بالذات ، تعتبر أهم ما يشكل شخصية الطفل خصوصا من الناحية الايمانية . ويسرد القرآن الكريم قصصا عديدة لصدام الأبناء والآباء الذين شاء المولى جل وعلا أن يختص أحدهم بالهداية أو النبوة وأن يجحد الآخر بنعمة الله ويغلق قلبه حتى لا يدخله شعاع الايمان ، وأوضح القرآن الكريم بلغته الرائعة عديدا من قصص الأنبياء التي يجادل فيها الرسل آباءهم وقومهم من أجل الايمان بالله واليوم الآخر ، وقصة سيدنا ابراهيم وكذلك قصة سيدنا نوح أوضح الأمثلة على ذلك . وشاء الله جلت قدرته ألا يكون على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أية سيطرة سوى

السيطرة الربانية والقوة الالهية لذلك قدر الله في عالم غيبه موت أبيه عبدالله ثم موت أمه ثم موت جده الذي كان يمثل سيطرة الجد وسيطرة رئيس القبيلة وشيخها حتى يتم استخلاص النبي لربه سبحانه وتعالى بصورة كلية .

(٢) ـ وشاءت إرادة الخالق أن ينشأ النبي يتيما كي يحس بآلام الفقراء والمحتاجين لذا فقد جاءت الرسالة المحمدية - لتزيح الأعباء عن كواهلهم وتنصرهم وتعيد إليهم حقوقهم المهضومة أو المغتصبة . وكان اليتم طريقا لترسيخ هذه الأحاسيس في وجدان النبي عليه الصلاة والسلام ، وليس من عجب أن يكون هؤلاء الفقراء والمحتاجون والمظلومون هم أول من آمنوا بالنبي وآزروه وساروا تحت لوائه غير عابئين بما يصيبهم من تعب ونصب .

(٣) بعد أن شب النبي وبلغ مبلغ الصبا اشتغل برعي الأغنام وهي مهنة كل الرسل من قبله تقريبا . ورعي الأغنام فضلا عن أنها مهنة الكادحين آنذاك في الجزيرة العربية فهي مهنة شاقة تحتاج إلى عمل مضن ومجهود بالغ ، وقد يكون ذلك إشارة مبكرة للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام عن أهمية عنصر العمل في ديانته المستقبلية وقناعاته الدينية لأنه بغير العمل لا تقوم للحياة قائمة .

(٤) ـ وحينما بلغ النبي الكريم مبلغ الرجال وتزوج السيدة خديجة عليها رضوان الله اشتغل بالتجارة في مال زوجته وقد تكون هذه الأخرى إشارة إلى أهمية الاقتصاد ـ والتجارة دعامته الأولى ـ كعنصر أساسي في حياة الأمم والشعوب والدول كما أن الاقتصاد من أهم أسباب استقرارها وأمنها . ويلعب استقرار الأمم والشعوب دورا هاما وحيويا في رسوخ العقائد وثبات الديانات وانتشارها .

ذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام :

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك هو : كيف يمكن أن نحيي ذكرى مولد الرسول العظيم ؟ لقد بينا قبل ذلك أن اشتغال الرسول برعي الأغنام كان إشارة من الخالق جل وعلا لأهمية العمل ودوره الأساسي في الحياة . وكلنا يعرف كيف يحض القرآن العظيم على العمل في العديد من آياته . وعليه فإن أفضل السبل لاحياء ذكرى مولد سيد الخلق هي في تمثل صفات النبي وأخلاقه والسير على نهجه وهديه .

وتتعدد صفات الرسول الشخصية وشمائله التي لا مجال للافاضة فيها غير أنه يهمنا أن نركز على بعضها :

(١) ـ التسامح والعفو عند المقدرة : لعل من أهم صفات النبي الكريم تسامحه وعفوه عند المقدرة لأن ذلك يعني تساميه فوق الأحداث وقدرته على ضبط النفس ، وذلك هو المطلوب من كل فرد مسلم لأن التسامح والعفو هما الطريق الأمثل لكسب مزيد من الاصدقاء والمريدين بل وتحويل الأعداء إلى أصدقاء .

- **(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)** فصلت / ٣٤ .

- (**فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**) المائدة/ ١٣ .
- (**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**) آل عمران/ ١٣٤ .

وعليه فإنه يجب أن يكون لنا في رسول الله أسوة حسنة وقدوة تحتذي في التسامح والعفو عند المقدرة . ولنتأمل عفوه وتسامحه عمن آذوه وعذبوه من كفار قريش حينما فتح النبي مكة ووقف ليقول لأهله الذين أخرجوه من داره وبلده « **لا تثريب عليكم اليوم . اذهبوا فأنتم الطلقاء** »

(٢) ـ الرحمة والحلم : ومن غير نبى الرحمة يتصف بالرحمة . إن الرحمة هي الحد الفاصل بين الوحشية والانسانية وبغير الرحمة تنقلب الحياة إلى غابة لا مجال فيها لغير الصراع الأعمى والتكالب المقوت . إن الرحمة يجب أن تكون الصفة اللازمة للأنسان تجاه نفسه وبيته وأهله وجيرانه وأفراد المجتمع جميعا . أما الحلم فهو الحد الفاصل بين العقلانية والجنون وبغير الحلم يصير التفاهم مستحيلا وتنقلب الحياة إلى مجموعة من التوترات العصبية بغير ضابط ولا حاكم . وإذا كان الفرد المسلم يحتاج إلى الرحمة والحلم فإن الداعية المسلم أشد احتياجا إليهما بل هما ـ في الواقع ـ سلاحه الأمضى في الاقناع ومقارعة الحجة بالحجة من أجل كسب مزيد من الأتباع والأنصار :

(**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران/ ١٥٩ .

(٣) ـ **التواضع** : كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مثالا حيا للتواضع والعبودية لله الواحد القهار . وكان أبسط الناس في مأكله وفي مشربه وفي ملبسه كما أنه لم يؤثر عنه قط أنه سعى لعرض زائل مما يسعى إليه الناس . ومن الثابت أنه أنتقل إلى جوار ربه وهو لا يملك من متاع الدنيا شيئا . كان إيمان المصطفى عليه أزكى السلام أنه لا عزة إلا لله سبحانه وتعالى لأن الخلق كلهم عبيده ، وصدق رسول الله فإن التواضع يرفع مكانة صاحبه ولا يبخسها بل ويجعله محبوبا بين الناس . والفرد المسلم هو في حقيقته ـ أو هكذا يجب أن يكون ـ داعية للأسلام ومبشر برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ومن ثم فإن تمسكه بالتواضع يجعله أقرب لقلوب الناس وبالتالي يكون أكثر تأثيرا فيهم كما يجعل منه نموذجا يحتذي وقدوة يؤخذ عنها .

(٤) ـ **الكرم** : وهو من أهم صفات المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . كان كريما مع أهله ومع ضيوفه ومع الناس جميعا . والكرم دليل على سمو المكانة وعلو المنزلة كما أنه دليل على تقدير الكريم لظروف الناس وإمكاناتهم . وماذا غير الكرم يجعل الانسان محبوبا بين أفراد مجتمعه وأسرته وعشيرته . إن

الكرم محبب للنفوس جامع للشمل ومزيل للبغضاء والكره .

(٥) - **الصدق والامانة** : الصدق هو اللبنة الاولى في تكامل الشخصية ووحدتها واتساق تصرفاتها اما الامانة فهي اللبنة الثانية والاساسية لكمال الخلق ونضوج الشخصية وقدرتها على تحمل مسئولياتها الطبيعية في الحياة .

ولقد اشتهر الرسول الكريم بالصدق والامانة حتى قبل التكليف حتى اطلقت عليه قريش لقب الصادق الامين . ولاغرابة فلقد كانت هذه الصفة نتيجة طبيعية للتربية السماوية التي تلقاها محمد بن عبدالله عن رب العزة . وكان ذلك نعم الاعداد الجيد ، ونعم التقديم الطبيعي والمناسب لتحمل الامانة الكبرى الا وهي الرسالة الخاتمة والدين الحنيف .

(٦) **الصبر على المكاره** : يقول علماء النفس والاجتماع انه اذا كان الناس معادن فان المحك الرئيسي للكشف عن أنواع هذه المعادن وصلابتها وبيان النفيس منها هو الصبر على المكاره . لان في الصبر بيانا لقدرة الانسان على التحمل والتضحية في سبيل المبدأ . ولا يكون الصبر صبرا الا اذا اقترن بالرضا الكامل لما تجري به المقادير والاقتناع الحر بأن ماوقع من مكروه هو في حقيقته نعمة من المولى عز وجل واختبار منه يجب النجاح فيه . والمؤمن يوقن دائما بأن ماأصابه من خطب هو لمحو ماعليه من ذنوب او لرفعه الى درجات أسمى منزلة عند الله . وعليه فانه مما لاشك فيه بالنسبة للمؤمن - ان للخطوب فوائد .

وكان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه علامة هادية على الصبر : صبره على معارضة قريش له وايذائها لشخصه وصحبه ، وصبره على المكاره في سبيل اعلاء كلمة الحق ، وصبره على فراق ولده حيث قال رسولنا الكريم : « لولا أن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا . تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول مايسخط الرب » رواه البخاري واحمد وأبو داوود . انها شيمة المصطفى عليه الصلاة والسلام ويجب ان تكون صفتنا اللازمة لان الصبر على المكروه واجب ديني يثاب عليه المؤمن الممتثل لقضاء الله وقدره ، « **فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل** » الاحقاف / ٣٥

« ٧ » **الشجاعة والبأس** : تمثلت في المصطفى صلوات الله وسلامه عليه شجاعة أدبية نادرة دعته الى التمسك بدينه الجديد ورفضه لكل الاغراءات التي عرضت عليه من قومه كي يترك دينه .

رفض اغراء المال والجاه والسلطان مؤكدا انهم لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره على أن يترك هذا الدين ماتركه حتى ينصره الله او يهلك دونه . وتمثلت الشجاعة المادية في مواقف متعددة منها موقفه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة احد حينما اغتر المسلمون بنصرهم في بداية الحرب ، وترك الرماة مواقعهم على قمة جبل احد ، ولم يتمسكوا بنصيحة وأوامر رسول الله فدارت عليهم الدائرة ، وانقض عليهم المشركون من كل مكان ، ووقف النبي مكانه لم يبرحه يحارب بكل

قوة وشجاعة وحوله نفر قليل من صحبه حتى جرح وسال دمه وشجت رأسه الكريم وهو ينادي بأعلى صوته انه النبي لا كذب وانه ابن عبدالمطلب . واليوم فان كل مسلم مطالب بالشجاعة في التمسك بدينه ورفع لوائه عاليا في وقت عثرت فيه الشجاعة المادية وانمحت منه الشجاعة الادبية ، وأصبح الناس جميعا عبيد مصالحهم ونزواتهم وغرائزهم ، وأصبح التمسك بالرأي الحر واتباع الطريق الصواب والسليم معاناة يومية لكل من لديه شجاعة او نخوة .

« ٨ » **عدم الادعاء بما ليس في الامكان** : فبرغم ما أنعم به الله سبحانه على رسوله المصطفى ، وما خصه من تكريم بما لم يخص به نبيا سواه ، وما حباه به من منزلة رفيعة وسامية ، فان المصطفى لم ينسب لنفسه قط فضلا لم يكن له ، ولم يدَّع بما ليس في امكانه بل كان يكرر دائما ان الفضل كله لله وانه وحده - جل شأنه - القادر على كل شيء ، وانه وجميع من سبقه من الانبياء والرسل بشر ممن خلق ، وماكان لهم من امر انفسهم ، او من أمر الناس شيئا الا ان يشاء الله ، وان الرسل جميعا - بل والمخلوقات جميعا - لا يقدرون ان ينفعوا احدا او يضروا فردا بشيء لم يقدره الله له في سالف غيبه :

- « **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاءالله ولو كنت أُعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون** » الاعراف / ١٨٨

- (**ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عندالله ان تقولوا مالا تفعلون** » الصف / ٢ ، ٣ .

كما أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كان يعرف ويوقن ان اتباع الناس له انما هو منه وفضل من الله جل وعلا ولنتدبر قوله سبحانه :

- (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) « الفاشية/ ٢١و ٢٢ .

- **لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**) - الأنفال/ ٦٣ .

- (**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**) البقرة/ ٢٧٢ .

وبعد :

فهي دعوة متجددة في ذكرى مولد سيد الخلق للاقتداء به والعمل بسنته . دعوة ليجدد كل منا شباب عقيدته وإيمانه ، ويزيل عنهما شوائب الأيام وتراكمات الزمن . هذه دعوة لكل منا كي يصير هو نفسه داعية للاسلام ، مبشرا به وهاديا إليه . دعوة لكل منا أن يقرن الفعل بالقول والعمل بالكلمة من أجل دنيا سعيدة هانئة وآخرة خير وأبقى .



للاستاذ / سعد عوض المر

انه محمد صلى الله عليه وسلم ذلك القرآن الذي كان يتحرك ، انه محمد ذلك النبي الامي الرسول الانسان الذي صنعه الله كما صنع موسى من قبل « **ولتصنع على عيني** » طه / ٣٩ ، انه محمد صلى الله عليه وسلم الذي زاده الله تكريما وتعظيما حين قال له في كتابه الكريم « **فإنك بأعيننا** » الطور / ٤٨ ، انه محمد صلى الله عليه وسلم الذي تزينت بأفعاله مكارم الاخلاق واكتملت فاضحت بوجوده تتحرك لاول مرة في كيان واحد ، لم لا ؟ وهو الذي اكتسى ... بل اعتلى بحيائه عرش هذا الخلق العظيم « **وإنك لعلى خلق**

عظيم » القلم / ٤ .

انه محمد صلى الله عليه وسلم حبيب الرحمن الذي سأله ابوبكر الصديق ذات يوم « لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، صدقت يارسول الله فانت الذي علمك الله ، أنت الذي علمك الخبير العليم لانك انت حبيب الرحمن حبيب الرحيم الذي قال في كتابه الكريم « **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** » الزخرف / ٨١ .

نعم يارسول الله أنت أول العابدين ، أنت امام المرسلين ، أنت الصادق الامين ، أنت الذي حفظك الله في طفولتك ، حفظك في شبابك فلم تسجد قط لوثن او صنم .... نعم نعم : أنت الوحيد الذي وصفك ربك باسمين من اسمائه الحسنى » الرؤوف ، الرحيم » لكننا هنا يجب ان ننتبه لبشرية محمد صلى الله عليه وسلم في تلكما الصفتين : انهما لم يشملا كل الخلق ـ لان رحمة الخلق من فيض الحق ـ لقد جاءتا مقرونتين فقط بمؤمني هذه الامة الذين شملتهم تلك الرحمة وتلك الرأفة .

مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم نور على نور :

لقد ولد محمد عليه الصلاة والسلام في عام الفيل ، ذلك العام الذي نصر الله فيه بيته الحرام حينما زحف نحوه ابرهة وجنده يريدون هدمه ، فارسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، لقد كان في ذلك بشارة بل اشارة لمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام .

فهل لنا أن نقول لهؤلاء الذين لا يصدقون حينما يسمعون أن نيران فارس قد انطفأت حينما بدأت أنوار محمد تسطع : ان امركم عجيب ، لم لا ؟ وتلك النيران التي لم تكن من قبل قد خمدت منذ ألف عام ، كذلك إيوان كسرى الذي اهتز فسقطت منه اربع عشرة شرفة شرفا وتكريما لمولد سيد الانام عليه الصلاة والسلام ، لم لا ؟ وهذه الارض من تحته قد اهتزت ...

اهتزت فرحا وطربا لانها قد أحست بأن فوق ترابها ستطأ أقدام خير خلق الله احمد .

لقد تزينت السماء باشراقة طلعته وأضاءت الارض بنور مولده ، لم لا ؟ وهذا الوحي حينما تنزل على قلبه اتصلت السماء بالارض « من فوق الغار » ، وحين عرج به الى سدرة المنتهى اتصلت الارض بالسماء فعاد طه بأجمل هدية من الله لعباد الله لم لا وهو الرحمة المهداة من الله لخلق الله ، لقد اتى رسول الهدى بتلك الهدية : تلك الصلاة التي يظل فيها العبد قائما بين يدي الرب يناجيه كل يوم خمس مرات ، بل واكثر لمن احب

او رغب في الوصال أكثر .

محمد دعوة ابراهيم وبشارة عيسى :

« **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** » البقرة / ١٢٩
حقا لقد ساق الله جل شأنه على لسان ابراهيم الخليل عليه السلام هذه الكلمات الطاهرة التي جاءت قضاء لامره ، ونفاذا لقدره حتى يكون ابو الانبياء بهذا الدعاء شاهدا ومبشرا بمحمد من قبل أن يأتي ، لقد كان هذا الدعاء حجة على قومه حين يبعثه الله فيهم ، وحجة على اهل الكتاب جميعا حين يأتي ، لم لا ؟ وهذا الدعاء هو وحي من الله اوحاه الى ابراهيم عليه السلام ، او رؤيا أراه الله اياها ، والا كيف عرف ابراهيم انه سيكون هناك كتاب وحكمة : قرآن وسنة ... كيف ؟

كذلك جاء عيسى عليه السلام : عيسى ابن مريم الذي تكلم في المهد بالحق ، فكان اول مانطق به أن أقر بعبوديته لله الذي خلقه وبعد ذلك بشر برسالة محمد « **ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد** » الصف / ٦ .

العناية الالهية أحاطت بالمصطفى صلى الله عليه وسلم منذ مولده :

لقد أحاطت العناية الالهية بمحمد صلى الله عليه وسلم منذ أشرقت الدنيا بنوره ، أحاطت به وبكل شئونه حتى انها لمست كل من تكفلوا به صغيرا وأحاطوا به كبيرا ، بل والاكثر انها قد مست أسماءهم فكانت كاللالىء التي أدخرت في أصدافها فلم ير نورها الا بمولد منيرها ، وهل يكون مستغربا ان يكون اسمه محمدا والله من قبل قد سماه ، وهذا جده عبدالمطلب قد اختار لابيه اسم عبدالله ، وهذه امة آمنة بنت وهب قد وهبها الوهاب كل أمن وأمان بمولده عليه السلام ، وتلك امتها بركة التي قربته لقلبها فظل محاطا بين ضلوعها في صدرها متنعما بحنانها دون ان تتركه لحظة الا بين احضان حاضنته حليمة السعدية التي ضمته برحمة ورفق فضمت بحق كل حلم وسعد ، فكانت أينما تحركت سارت معها البركة وسارعت نحوها الخيرات ، وهذا أخوه في الرضاعة أيمن الذي رضع معه اليمن والنماء ، وهذا تابعه ميسرة الذي سره خدمته فكانت كل تكاليفه له ميسرة .

فهل يستطيع بعد ذلك مدع أن يدعي أن كل هذه الاسماء التي أحاطت بمحمد عليه الصلاة والسلام قد جاءت كلها بمحض المصادفة ؟ بالطبع لا : لانها في الواقع حبات عقد قد نظمتها يد القدرة الالهية على صدر هذا الزمان الذي استدار فوق ظهر أطهر مكان .

محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم خير البشر :

لقد اصطفاه الله وأرسله ثم توج

تكريمه له حين شهد له في كتابه الكريم « **محمد رسول الله** » الفتح / ٢٩ ، ثم بعد ذلك رفعه اليه في أقدس بقعة في هذا الكون الا وهي سدرة المنتهى تلك التي لم يصل لها او يقترب منها أي مخلوق أبدا حتى جبريل عليه السلام الذي أخبر المصطفى بأنه لو تقدم خطوة واحدة لصعق بنور ربه « **ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى** » النجم / ٨ ، ٩

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم .

ومع هذا كله فلقد كان في كل وقت متواضعا رؤوفا رحيما حنونا بكل من حوله ولو كان غير ذلك ـ فظا غليظ القلب ـ لا نفضوا من حوله ، كذلك كانت هذه الصفات كلها وغيرها بمثابة تذكير دائم من الرسول صلى الله عليه وسلم لعشيرته لتأكيد بشريته ، لم لا ؟ وهو الذي لم يبغ عرضا من حياة ، او تسلطا على جباه ، او اذلال رقاب ، لم لا ؟ وهو الذي عارض كبار قومه حين عرضوا عليه المال ، والملك ، والجاه ، ثم رفض وأبى رغم ماكان يتعرض له من اذى ، لقد دافع عنه الله حين أراد قومه اخراجه من تلك البشرية بدلا من أن يحمدوا الله أن بعثه من بينهم « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه** » الاسراء / ٩٠ حتى ٩٣ ، لكن الله عز وجل كفاه الرد « **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** » الاسراء / ٩٣ .

المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب :

لقد كان أهل الكتاب يعلمون مثلما هم ينطقون أنه سيأتي في آخر الزمان نبي هو آخر الانبياء بعد أن سبقته البشارات وحددته العلامات ، فكانوا به على أهل يثرب يستفتحون ، بل كانوا به يتباهون ، ولما أرسله الله وكان من نسل اسماعيل عليه السلام كانوا له هم أول المنكرين ، لانهم كانوا يتمنون أن يبعثه الله منهم كما تعودوا من قبل من بعد موسى عليه السلام .

لقد ازدادوا حقدا على حقد ، وتحجرت قلوبهم القاسية اكثر لانهم لم يتقبلوا الارادة الالهية التي اختارت محمدا « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » الانعام / ١٢٤ ، لقد كانت علاماته لهم معلومة ، وأوصافه بين أحبارهم معروفة ، وأخباره بينهم منقولة ، حتى من قبل ان يولد « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** » البقرة / ١٤٦ ، « **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه**

مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل » الاعراف / ١٥٧ ، فاذا جادلك مجادل وسأل عن الدليل ـ فهل لك ان تقول : هل تتذكر ماكان هناك في الشام اثناء رحلة الصيف لقافلة قريش ؟ هل تتذكر وقت أن رأى بحيرا الراهب محمدا وهو صغير والغمامة فوقه تسير كأنها أسير ، ثم أراد أن يزداد تأكيدا ، فدعا الركب للطعام ، واشترط أن يحضره كل من فيه من كبير أو صغير ، لكن الرسول كان الوحيد الذي تخلف : تخلف لانه أبى طعاما قد يقال عنه انه صدقة ، وياللعجب لقد كان امتناعه عنه بالفطرة ـ لان الانبياء لا يأكلون صدقة فما كان من بحيرا بعد ذلك ان أوصى من أوصى كي يحافظوا عليه ، ويكتموا خبره خوفا عليه من اليهود كي لا يضروه اذا ماعرفوه أو علموا بأمره .

كذلك تقول : هل تتذكر قصة هبوط الوحي أول مرة ؟ حينما ذهبت خديجة لابن عمها ورقة ـ ذلك الذي شاع أمره بأنه تنصر في الجاهلية بعد أن قرأ الكثير من الكتب المقدسة ـ لقد ابتهج حين سمع بهذا النبأ العظيم ثم صاح قائلا : قدوس قدوس ... والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني ياخديجة فلقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى ، وانه لنبي هذه الامة ، فقولي له : فليثبت » وحينما تم اللقاء بين النبي الامي صلى الله عليه وسلم وورقة بن نوفل قال له : ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم .

المصطفى صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة وللعالمين نذيرا :

لقد قضت ارادة الله ومشيئته أن يبعث كل رسول لقومه خاصة دون غيرهم ، يدعوهم بدعوة الحق ، ويأمرهم بعبادة الله الحق « **ولقد أرسلنا نوحا الى قومه** » ، « **والى عاد أخاهم هودا** » ، « **والى ثمود أخاهم صالحا** » ، « **والى مدين أخاهم شعيبا** » **هود** / ٢٥ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ **الا** محمدا صلى الله عليه وسلم فقد جاءت رسالته لكل الناس كافة « **وما ارسلناك الا كافة للناس** » سبأ / ٢٨ ، « **قل يأيها الناس اني رسول الله إليكم جميعا** » الاعراف / ١٥٨ ، « **وأرسلناك للناس رسولا** » النساء / ٧٩ ، « **قل يأيها الناس أنما انا لكم نذير مبين** » الحج / ٤٩ .

ورغم انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى كما سبق وأن أخبره ربه في قرآنه الكريم وهو لايزال حيا بين قومه الا ان رسالته مازالت خالدة باقية قائمة حتى تقوم الساعة لان معنى الايات المباركة ممتد لكل الناس في كل مكان وفي كل زمان اتى من بعد المصطفى صلى عليه وسلم ، لم لا ؟ وهذا القرآن معجزته لن تغيب أبدا ولن تزول ، لان الله عز وجل قد تكفل بحفظ كتابه الكريم الى يوم الدين « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » لم لا ؟ وهذا القرآن

بيننا شاهد علينا ، شاهد لنا ، انه الرسالة الابدية من الله لكل الناس تتلى في كل وقت وتتلقاها كل اسماع البشر حتى لا يكون للناس على الله حجة يوم الحساب .

وكما ارسله الله للناس كافة أرسله للعالمين نذيرا « **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » اول سورة الفرقان ، فهؤلاء الجن الذين كانوا يرونه من حيث لا يراهم كانوا له يسمعون ولدعوته يطيعون بعد أن قالوا أسلمنا لله رب العالمين ، ان هذا ما أنبأنا به الله في كتابه الحكيم « **وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا** » الجن / ١٩ ، « **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به** » الجن / ١ ، ٢ .

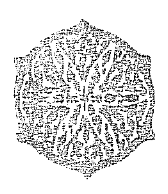
المصطفى صلى الله عليه وسلم وميثاق النبيين :

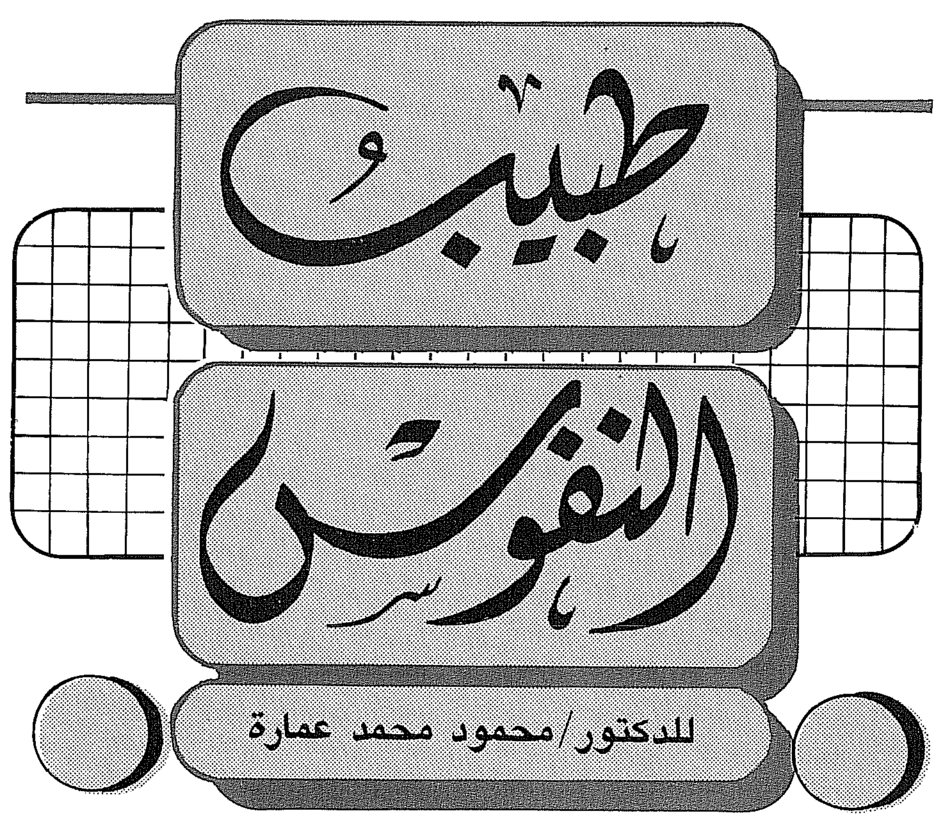
كي نعلم مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم عند ربه وعند غيره هلم بنا ننظر هناك ... ننظر بقلوبنا الى المسجد الاقصى بعد أن نكون قد عدنا بالزمان الى الوراء حوالي ألف وأربعمائة عام حينما أسرى الله بمحمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى هناك حيث كان كل الرسل والانبياء وقوفا من أجله ... من أجل طلعته البهية ينتظرون وينظرون ، وحين اقبل عليهم أصبحوا له قولا وعملا تابعين بعد ان صلوا وراءه مأمومين .

لقد كانوا من قبل قد أقروا بايمانهم برسالته ، وعاهدوا الله ان ينصروه ، كان ذلك حينما أخذ ربهم منهم جميعا هذا الميثاق ، لقد كان ردهم ردا واحدا ، وهذا لا يتأتى بالطبع الا اذا كانوا جميعا في مكان واحد وزمان واحد من قبل ان يبعثهم الله ، فكان كل رسول يأتي بعد ذلك في زمانه يدعو بدعوته « **دعوة الاسلام** » وهاهم الان ـ منذ الف واربعمائة عام ـ قد اجتمعوا مرة اخرى وراء امامهم « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » ال عمران / ٨١

حقا انها اعظم وأكرم شهادة للمصطفى صلى الله عليه وسلم وأروع وأسطع مكانة له عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعثه الله ، ولم لا ؟ والله حين أخذها منهم أخبرهم بأنه معهم من الشاهدين .

فصلى الله عليك يامحمد ، صلى الله عليك يارسول الله ياحبيب الله ، ياحبيب كل قلب ، ياحبيب الرحمن .





عن خوات انه قال :

نزلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران - واد قرب مكة - فخرجت من خبائي ، فاذا نسوة يتحدثن ، فأعجبنني ، فرجعت فأخرجت حلة من عيبتي فلبستها ، ثم جلست اليهن .

فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهبته ، فقلت : يا رسول الله .. جمل لي شرود وأنا أبتغي له قيدا !

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعته ،فألقى الي رداءه ، ثم دخل الأراك - موقع بعرفة فيه ماء - فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال :

يا أبا عبد الله ما فعل شرودك ؟ ثم ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني الا قال : السلام عليكم يا أبا عبد الله ، ما فعل شراد جملك ؟! قال : فتعجلت الى المدينة ، واجتنبت المسجد ، ومجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما طال ذلك علي ، تحينت ساعة خلوة المسجد ، ثم أتيت المسجد ، فجعلت أصلي ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره ، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين ..

وطولت الصلاة رجاء ان يذهب ويدعني .. فقال : طول يا أبا عبد الله ما شئت . فلست بقائم حتى تنصرف !! فقلت :

والله لاعتذرن اليه . فانصرفت . فقال : السلام عليكم يا أبا عبد الله .. ما فعل شراد الجمل ؟!

فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : رحمك الله .. مرتين ، أو ثلاثا ، ثم أمسك عني فلم يعد) .عن لسان العرب مادة شرد

تمهيد

هكذا تقرر التجربة الانسانية :
حين يخاطب الطبيب مريضه حالة اليأس بأسلوب الآمل في رحمة الله .. رغم ما ينطق به الواقع الصارم .. فانه يقدم إليه أكبر نعمة : لأنه يمسك في قلبه معاني : الرضا .. وترقب رحمة الله .. وبذلك يتوفر للمريض جو إيماني يستعيد به ثقة بربه توشك ان تهرب أمام هجمة اليأس القاتلة .
انه ـ بهذا الأسلوب ـ رغم صحة قراره الطبي علميا ـ يعين المريض على تجديد ثقته بربه سبحانه وتعالى ..
وهذا كسب أكبر من شفائه المرتقب !
وحينئذ فمن خطأ الطبيب مصارحة مريضه بأنه لا أمل في الشفاء .. لأن الطبيب :
أولا : بشر يحكم بمقاييس البشر التي تضل وتنسى .. وينسى ان هناك إرادة عليا فوق هذه المقاييس جميعا : **(لا يضل ربي ولا ينسى)** طه/٥٢ ..
إنها الارادة التي أوجدت المرض .. وهي التي عرفتنا قوانين الصحة .. ثم هي القادرة على خرق هذه القوانين .. رغم أنف الطبيب !
وثانيا : فالطبيب بهذه المصارحة يحطم روح المقاومة في نفس المريض تحطيما يسلمه الى يأس يقترب به من الكفر !

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم في علاجه لموقف خوات بن جبير ذلك الطبيب الخبير بمسارب النفس .. وعللها .. ودوائها .. ومواطن القوة والضعف فيها ..
وبهذه الحكمة البالغة انتشل خوات من موجة يأس كادت تقتله لولا أن تداركته رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
يقول الامام الشافعي رضى الله عنه :
لا تسكن في بلد ليس فيه فقيه .. ولا طبيب ..
فإنه التعبير الكاشف عن حاجة الانسان الى طب الايمان .. وطب الأبدان ..
وحاجة الدعاة أيضا الى مزيد من تأمل أبعاد الحكمة النبوية في مثل هذا الموقف .. تبصرة وذكرى .
وعندما قال له ربه سبحانه :
(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) النحل / ١٢٥
كان ذلك تذكيرا بضرورة أن يتوفر شرطها وهو :
تنزهها عن العنف والتسلط :
(وما أنت عليهم بجبار) ق/ ٤٥
وكأنما يقول له سبحانه :

وكما رباك الحق سبحانه بأحكم أساليب التربية وأدق صورها .. لابد أن تكون مع الخلق كذلك :
ملما بظروفهم . عالما بأحوالهم واحتياجاتهم لتؤتي الموعظة أكلها . وكذلك كان صلى الله عليه وسلم . مع خوات بن جبير .

العبر والعظات :

١ ـ دون أدنى حرج فإن « خوات » رضى الله عنه يحكي قصته هذه . على ما فيها من ذكريات مرة !
بيد أن التوبة النصوح والتي توجها الرسول صلى الله عليه وسلم بدعائه جعلت للذكرى مذاقا آخر :
إنه الاحساس بالذنب يوما :الاحساس بمعركة دارت ساعة في كيانه بين : جند الرحمن .. وجند الشيطان . ولقد حققت جند الشيطان نصرا جزئيا .. وتراجعت جنود الحق في كيانه عندما ترجم إعجابه بصوت النسوة إلى عمل .. فجلس يستمتع بحديثهن !! ثم إذا بقائده صلى الله عليه وسلم .. يقترب منه .. ثم لا يعين جند الشيطان عليه .. وإنما يتسامح .. ويتغاضى .. فأعانه على النهوض .. ثم كانت متعة الحديث عن لحظة من لحظات الانتصار .. بعد الانكسار !
٢ ـ وقبل أن نلوم الفتى على إنصاته للحديث المغري ..
وقبل أن ننتقل باللوم إلى شباب يعيشون نفس اللحظة اليوم ..
فلنذكر : أولا : ضعف النفس الانسانية الداعي الى التخفيف من حدة اللوم .
ولنذكر ثانيا : مسئولية أجهزة الاعلام التي تتملق الغرائز .. لا بالصوت وحده .. ولكن بالصورة .. والحركة .. واللحن ..
٣ ـ عقدت المفاجأة لسان « خوات » .. وعندما تكلم ضل لسانه عن طريق الحق .. فحاول تغليف رغبته الدفينة بحجة البحث عن قيد للجمل الشارد !!
وكان من السهل عليه صلى الله عليه وسلم أن يدرك الموقف بكل دقائقه .. إن « خوات » صحابي جليل .. له ماض يشرفه .. وحاضر يعتز به كل مسلم ..
واليوم .. يوشك الجواد أن يسقط .. بل قد كبا بالفعل .. ثم هو خارج من التجربة الآن .. وصوت النسوة الذي أعجبه مازال يرن في أذنه .. والأصداء ما زالت تناوش نفسا أمارة بالسوء . وجيشان النفس بالندم ..
كل ذلك حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على إرجاء العتاب الى أن .. تضيع الأصداء في واحة النسيان .. ويتضح الموقف بكل أبعاده .. وتستعد نفس خوات للحساب .. والحساب اليسير !

٤ ـ ويسر العتاب هنا واضح :
فهو يناديه .. يا أبا عبدالله .. تلطفا منه صلى الله عليه وسلم .. ثم هو لا يركز العتاب تركيزا .. مخافة سقوط النفس تحت وطأته لو كان شديدا .. وإنما

يعاتبه .. بل يذكره بلطف .. في محاولة لايقاظ النفس لتنهض رويدا رويدا .. نهوضا لا سقوط بعده أبدا .

٥ ـ وآتت الحكمة النبوية ثمرتها عندما استيقظ حياء خوات بكل قوته .. فقرر الرحيل الى المدينة مبكرا فرارا من عتاب يكاد يدمره تدميرا . إن الواعظ هنا يعاتبه .. ولا يشهر به ..
فيعود العاصى إلى الصف بدافع من الحياء وحده !
وكم من حياء ردني عن غوايتي
حياء .. وكم جهر دعانى الى الجهر

٦ ـ ان العارف بطبائع النفوس البشرية يفرق بين جريمة المعصية من المؤمن . وجريمة المعصية من الكافر :
فمعصية الكافر : محاربة واستكبار لا يبقى معها في القلب مثقال ذرة من خير ..
ومعصية المؤمن لا يزال معها في القلب نواة من الخير . وبصيص من النور ولذلك يشعر ـ مع مطاوعته لهواه واندفاعه في تيار الشهوة أو الغضب . بوخز الضمير . والاعتراف بينه وبين نفسه بأنه ترك ما ينبغي . وفعل ما لا ينبغي .
ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي كان يدمن الشراب على عهده . وكان يجلده كثيرا « لا تلعنوه فو الله انه يحب الله ورسوله » رواه البخاري وتعليل ذلك أن ظلمة الهوى لا تطفىء في قلب المؤمن نور الهدى . وإنما تزاحمه وتغلبه . فيبقى ذابلا ضعيفا ..
.. فمثل المؤمن حين يعصي كمثل رجل نهاه الطبيب عن طعام أو شراب خاص . وهو يعلم صحة رأي الطبيب . ويثق بنصحه له . وقد يعرف بالتجربة في نفسه وخامة عاقبة التسرع بتناول الطعام الذي نهاه عنه .
ولكنه لا يجد صبرا على ذلك . فتضعف ارادته عن مقاومة هواه . ومثل الكافر يعصى كمثل ذلك الذي يعصى الطبيب متجاهلا مستهزئا برأيه . أترى أن الطبيب يعامل المريضين بنوع واحد من القسوة ؟
وينزلهما عنده في منزله واحدة من البغض والمقت أم هو يرثى لأحدهما مالا يرثى للآخر ؟ والحكمة قاضية بضرورة الستر حفاظا على بيئة الاسلام لتظل أبدا نظيفة تغرى غيرنا بالدخول فيها :
قال ابن هبيرة ـ الوزير العباسي ـ لبعض من يأمرون بالمعروف :
(اجتهد أن تستر العصاة : فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الاسلام . وأولى الأمور ستر العيوب)
وكثير من الدعاة يتسرعون فيخلطون بين العاصى .. وبين المبتدع .. فيصبون جام غضبهم على كل عاص .. وعلى كل معصية .. بنفس القوة ! مع أنه يجب التفريق بين الاثنين حتى لا تكون صورة المعاملة واحدة :

(إن المذنب إنما ضرره على نفسه ..وأما المبتدع فضرره على الناس . وفتنة المبتدع في أصل الدين . وفتنة المذنب في الشهوة . والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه . والمذنب ليس كذلك .
والمبتدع قادح في أوصاف الرب وكماله . والمذنب ليس كذلك . والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . والعاصى ليس كذلك .

والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة . والعاصى بطىء السير) .

وقد قيل بحق : إذا كان الاستهتار علاجه التشدد .. فإن لذلك التشدد آثاره الضارة والتي منها : نكوص البراعم الجديدة وفرارهم من الساحة التي تتقاضاهم البقاء فيها .. قبل أن ينفرد بها المستهترون .

٧ ـ وكان تركيزه صلى الله عليه وسلم على ـ شراد الجمل ـ ولم يخاطبه بالخطأ الذي تورط فيه نصا .. وإنما فقط يذكره .. ولا يحرجه .. ولماذا يكشف له النقاب عن الخطأ وهو يذوب بين يديه حياء .. دفعه في النهاية الى تعجل دخول المدينة ومقاطعة المسجد فرارا من العتاب وان بدا خفيفا !

مع أن صلاته في المسجد .. ورؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم لا تعدلهما كنوز الدنيا !

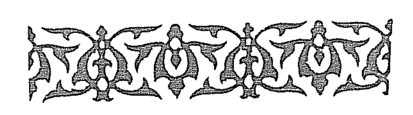
٨ ـ ويلاحظ مداعبته من قبله عليه الصلاة والسلام

(طول يا أبا عبدالله ما شئت .. فلست بقائم حتى تنصرف) !! (وهو نداء يدل على صفاء الود .. ورقة المعاشرة .. والتواضع الجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه ينادي أصحابه بما يزيل كل الحواجز التي ينصبها الجبارون حول أنفسهم . في محاولتهم فرض سلطانهم على الناس)

ولهذا يسرع خوات ليعلن اعتذاره .. ولينهي به جفوة ما كان ينبغي أن تدوم . ولقد كان صلى الله عليه وسلم على يقين من أن خوات لم يشرد جمله أبدا .. لم ينحرف منذ أسلم أبدا .

ولكنه الحوار الهادىء الهادف الواصل الى أعماق الصحابي الجليل . والذي ينتهي الآن . حين كف الرسول عن عتابه بعد أن بلغ الدرس منتهاه فحقق فائدته توبة نصوحا . توجت برحمة تستنزل من السماء على شاب غفلت جنود الحق في قلبه يوما ..

وقبل أن يسقط من يديه السلاح .. صحا النائم .. ورأى النور .. فما أغفى !!





لن نناقش هذه المسألة على طريقة فلاسفة الأخلاق - على تنوع واختلاف مذاهبهم - حتى لا نتوه في تعريفاتهم ، وحتى لا نغرق في جدلياتهم وتشقيقاتهم ، فهم قوم إذا دخلت إلى ساحتهم بسؤال واحد أو علامة استفهام واحدة ، لا يعطونك جوابا ، بل هم يقدمون لك عشرة أسئلة أخرى ، لذا فإننا سنعالج المسألة بأبسط الطرق وأيسرها تحقيقا للفائدة المرجوة .

واقول وبالله التوفيق :

لا ريب أن الاخلاق ضرورة إنسانية .. ذلك ما جاءت به الكتب السماوية كلها ،

وما جاء به الكتاب الخاتم .. وما من نبي إلا وصدق هذه المقولة ، وعمل من أجل تحقيقها وبناء لبنة في صرحها .

وإن ضرورية الاخلاق ، تستمد من بدهية أو من مسلمة أولية .. تلك هي أن الانسان كائن أخلاقي .. بفطرته التي فطره الله عليها .. وكيف لا يكون كذلك وهو مدني اجتماعي بالجبلة أيضا .. وهو قبل ذلك وبعده متدين بالفطرة المركوزة في أعمق أعماقه !!

والاسلام هو الأخلاق .. والأخلاق هي الاسلام ، ذلك أن الاسلام ـ في التحليل الأخير ـ إن هو إلا سلوك خلقي فـ « **الدين المعاملة** » .

وإن صح ما قلناه من أنه : « لا إسلام بلا أخلاق » .. وهو صحيح بحمد الله ، فإننا نقول : « إنه لا أخلاق بلا إسلام » . وقد يظن ظان أننا نقول هذا الشعار مدفوعين بحماستنا لديننا كمسلمين فحسب ... قد يقال هذا ، لكني أقول : « إن هذه العبارة « لا أخلاق بلا إسلام » ليست شعارا من نوع الشعارات التي نسمعها صباح مساء وليس تحتها من المضمون شيء مذكور .. لكنه واقع وحق ، ولنا من إمكانية التدليل عليه ، استنادا إلى المنطق والواقع ، ما نعتقد أنه يسقط تهافت كل دعي زائغ أو سطحي ساذج ..

وان قيل : ماذا تقول في أخلاق الغرب أو الشرق ؟ وإن من سافر إليهم وعاش بينهم وخالطهم وعاملهم أدرك أن الاخلاق ، كل الأخلاق عندهم .. وهل الأخلاق شيء غير الصدق في الحديث .. والشجاعة في الحق .. والوفاء بالعهد .. والاخلاص في العمل ؟!

قلت : هذه الأخلاق هنالك .. وهذا شيء واقع لا تجدي المكابرة فيه ، لكن ما يسقط قيمة هذه الأخلاق هنالك : في الغرب أو الشرق ، ويحولها إلى« أخلاق أنانية » إن سلم لنا التعبير ، هو أن هاتيك الأخلاق ما هي الا أخلاق لهم وبينهم وفي خدمتهم هم أنفسهم .. لا تتعداهم إلى غيرهم من الأجناس وأصحاب الألوان الأخرى ، فضلا عن أصحاب الديانات الأخرى !

وهذا واقع ، لنا من إمكانية التدليل عليه الشيء الكثير ، فإنك ولا شك تسمع عن معاناة الأقليات الاسلامية بينهم .. وتسمع عن معاناة الأكثريات الملونة معهم .. والتضييق عليها .. والتعسف الشديد في معاملتها ، فضلا عن إهانتها والتهوين من قدرها ..

وإنك ولا شك قد قرأت عن الاستعمار وتاريخه .. وأشكاله .. وعن الاستعمار الجديد .. **أي أخلاق هذه** ؟!

وإنك شعرت ولا ريب .. بما تلعبه مخابرات هذه البلدان في قمع الحريات وطمس الحقوق وفرض الظلمة والجبابرة !!! وحمايتهم ،

وإن أخلاقهم لتأمرهم بأن ينزفوا موارد شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية قهرا وعسفا .. هذه أخلاقهم وإن رأيت مظاهر المساواة والأمانة والعدالة هناك ، إن كانت كماتقول حقا فهي لهم وحدهم .. ولمصلحتهم .. هي أخلاق الأنانية والنفعية والذاتية ..

وإلا فهل المساواة تتجزأ ؟.. وهل العدل يتقطع ؟! وهل الأمانة تتشطر !! في أي كتاب يجوز أن أكون أمينا معك .. خائنا آثما كاذبا ظالما مع غيرك ؟!!!

أما إذا قلت : إنها بالمقارنة إلى سلوكيات المسلمين اليوم ، في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، فهي تعد ـ على أي حال ـ أفضل من أخلاقيات الاسلام

أقول مكانك : فهذه دعوى لا دليل عليها من عقل ولا من واقع .. ذلك أنني حين أقارن بين أخلاق الاسلام ، أذهب إلى الاسلام ذاته .. ممثلا في تعاليمه المحفوظة في قرآنه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإذا ما أردت أخلاق الاسلام المطبقة فعلا وواقعا ، فأتوجه إلى المجتمع الاسلامي الحقيقي ، فهم الممثلون الحقيقيون للاسلام والمطبقون الفعليون لتعاليمه وأخلاقه النظرية والسلوكية .. أما مسلمو اليوم .. أو بعبارة أخرى أما الشعوب الاسلامية اليوم ، فهل تستطيع بحال أن تزعم لنفسها أنها ممثل حقيقي أمين للاسلام ؟ لا أظن ولا أتصور أنها تصدق إن زعمت لنفسها ذلك .

فهي أي الشعوب الاسلامية ذات وضع شاذ حقا ، لأنها لم تأخذ الاسلام كله ، ولم تترك الاسلام كله .. ولكنها اتخذت لنفسها أسلوبا انتقائيا انتخابيا ، أعني انها أخذت ما يحلو لها وتركت ما لا يحلو لها ، وكانت النتيجة الأولية لهذا كونها ممثلا غير حقيقي وغير أمين للاسلام !! فإذا ما تحدثنا عن الاسلام لا يصح أن نشير إلى هذه الشعوب على أنها هي الاسلام الواقعي ، لأنها قد انسلخت ـ كما ذكرنا ـ عن أكثر أخلاقيات الاسلام ، واستدبرتها ، وسلكت على النقيض منها .. فلا هم مسلمون خلص ، تراهم فترى الاسلام ، أو ان أردت ان ترى الاسلام تنظر إليهم ! ولا هم غير مسلمين .. فاللهم أصلح شعوب المسلمين .. واهدهم طريقك القويم ..

لئن كان الاسلام هو الخلق ، ولا إسلام بلا أخلاق ، ولا أخلاق بلا إسلام فإنا نقول : إن « **أخلاق الاسلام هي القرآن** » لأن المسلمين مطالبون بأن يجعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتهم ومثلهم الأعلى ، ولقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، وذلك ثابت في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وغاية الرسالة الاسلامية ، تمام الأخلاق ، ولله در رسوله عليه الصلاة والسلام إذ قال « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وتأمل كلمتي أتمم ومكارم فهذا يعني ان المسألة ليس مجرد اخلاق ولكنها « مكارمها » و « تمامها » .

وإن الصفة العليا للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل صفاته عال حميد ، هي عظمة الخلق ، وتلك شهادة ربه عز وجل ، « **وإنك لعلى خلق عظيم** » . القلم/ ٤

وباب الأخلاق في الاسلام باب واسع فسيح ، فسعة الأخلاق الاسلامية ، ليس بعدها سعة ، فمن الاحسان .. إلى الصدق إلى الاخلاص .. إلى البر ..إلى الرحمة إلى الأمانة ، .. إلى غير ذلك ، ولو رحنا نعدد ونستقصي صنوف أو ضروب الأخلاق الاسلامية ، ونستشهد لها لأحوجنا الأمر إلى مجلدات ، ولما وسع ذلك عمر واحد .

لكنا نستطيع أن نقول : إن منهج الاسلام الخلقي ، أو إن منهج الاخلاق في الاسلام ، منهج شمولي متكامل ، ذلك أنه يضع مظلته فيشمل .

- المرء مع نفسه ، أخلاق مع الذات .
- المرء في بيته : زوجه وأولاده وعشيرته .
- المرء مع جاره .
- المرء في المجتمع الصغير والكبير .
- المرء مع غير الأحياء من المخلوقات .
- المرء مع الحيوان الأعجم .

كل هذه الدوائر الأخلاقية التي ينظمها الاسلام ، تصب في الدائرة المركزية وهي أخلاق المرء مع ربه .. وإن أخلاق المرء مع ربه لا تستقيم إلا إذا صعد إليها الانسان من إصلاح هذه الدوائر الفرعية المذكورة .

ولو رحنا نستشهد لكل دائرة بما ورد فيها من نصوص قرآنية ونبوية ، لطال بنا الأمر ، فكل دائرة منها بحاجة الى بحث قائم برأسه يتوفر عليها ، لكن ذلك لا يمنع من أن نقبس بعض قبسات نؤكد أنه « لا أخلاق بلا اسلام »

يقول صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الاحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه مسلم

وينهى صلى الله عليه وسلم ، رجلا وضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها فيقول اتريد ان تميتها موتات هلا احددت شفرتك قبل أن تضجعها » رواه الحاكم . هذا هو الاحسان الاسلامي ، ليس فقط بين الانسان والانسان ، دونما تمييز بلون أو جنس ، ولكنه بين الانسان المسلم والحيوان الأعجم .. بين الانسان المسلموغير الحي !!!وهو بعد ذلك لايتجزأ ولا يتقطع ولا ينشطر .

وبعد :

فهل تجرؤ الشعوب الاسلامية المعاصرة ، أن تزعم لنفسها أنها ممثلة أمينة

للاسلام ؟ وهل حققت هذه الأطر الأخلاقية الرفيعة قبل أن تدعي ذلك ؟

أما كيف نغرس هذا المنهج الاخلاقي الرباني في نفوس المسلمين .. وكيف يتحققون به فكرا وتطبيقا ، فذلك ما يجاب عليه فيما يلي :

وقبل أن نجيب على هذا السؤال لا بأس من أن نذكر طرفا من خصائص هذا المنهج الأخلاقي :

إنه **منهج واقعي شمولي ، وهو فضلا عن ذلك رباني** ، من الله تعالى للناس ، وهو أعلم بالناس وأخبر بما يصلح لهم وما يصلح بهم ، وهو اقعي قابل للتنفيذ العملي الحياتي ولقد طبق على مستوى الجماعة أو الدولة ولا يزال يطبق على مستوى الأفراد والجماعات المتناثرة ، وهو واقعي أي أنه لا يعطي نتائجه إلا إذا طبق وتحقق به الناس .

وهو شامل ، لأنه كما ذكرنا يشمل حياة الانسان في بيته وجيرانه ومجتمعه والطريق الذي يمشي عليه ، والحيوان الأعجم ، وهذا يضمن أنه إذا طبق فلن يكون إلا التساند والتناصر .. ولن يكون تعاند أو تدابر . أو قصور أو تقصير !!

نقول : إن منهج الاسلام الخلقي ، لا يغرس المعروف في المسلمين بالكلام والخطب والمقالات والمحاضرات فحسب ، لأن من المعروف بداهة أن الكلام لا يثمر إلا كلاما ، وجدلا وسفسطة .. والقعود عند مجرد الكلام لا يعطي إلا تشقيقا وتفتيتا ، وتكون المحصلة لكل ذلك هي الهروب من التطبيق الفعلي .. والبعد عن الالتزام الواقعي ، وذلك ـ مع الاسف ـ هو حال المسلمين اليوم .. يتكلمون عن أخلاق الاسلام ، ويبحثون فيهايدرسونها ويدرسونها ، ولكنهم لا يتحققون بهافي أنفسهم واقعا حياتيا معاشا ، والنتيجة هي : مزيد من الكلام ومزيد من الحذلقة والثرثرة .

والنتيجة الخطرة إلى جانب ذلك هي أن من يسافر إلى الغرب أو الشرق من بسطاء المسلمين أو من ا العارفين غير العاملين ، يرجع فيبشربأن الأخلاق هنالك ، وأن الاسلام خلو من ذلك ، ويسأل ؛ أين أخلاق الاسلام بجانبها ويشير إلى واقع المسلمين المعاصر .. والمسلمون في واد والاسلام في واد !!

نتخلص من هذا للاجابة على السؤال المطروح عن كيفية غرس الخلق الاسلامي في نفوس المسلمين وفي واقعهم .. نقول : إنه بعد الفحص والتأمل ، لا يكون بحسب نظرنا واجتهادنا ـ إلا بثلاث طرق ، متساندة متداخلة :

الطريق الأول : هو القدوة والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبالصحابة والتابعين والصالحين من رجالات الاسلام السابقين والمعاصرين ، وذلك لن يكون إلا بفهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الصالحين .

وذلك يقتضي تسهيل تداول مثل هذه الكتب ودعمها ، ذلك أن أعلى المنشورات

أسعارا اليوم هي المنشورات الاسلامية ، ولست أدري هل تجهل المؤسسات الاسلامية وكذلك الدول الاسلامية أن كتاب « مختارات لينين » مثلا أو « مختارات ماو » تباع في الاسواق مترجمة إلى كل لغات العالم ، ولغات الشعوب الاسلامية ، بما تساوي المجلدة الواحدة الضخمة الطباعة والاخراج ريالا واحدا أو أقل من ذلك .

وإن كان المسلمون ـ أيضا ـ لا يقرأون سيرة رسولهم صلى الله عليه وسلم ، فلينظروا إلى الشيوعيين الصينيين ، وكل واحد منهم يضع نسخة من كتاب (ماوتسي تونغ » في جيبه أو حقيبته ، ويقرأ فيه في الحافلة أو السيارة ، أو المصنع أو الميدان أو المستشفى أو المزرعة فضلا عن المعهد والمدرسة ، حتى لكأنه يخيل للزائر أن هؤلاء لا هم لهم ولا معاش إلا قراءة كتب (ماو) كان ذلك إلى عهد قريب جدا . فآمل في الهيئات الاسلامية أن تلبي حاجة الناس بدعم أسعار الكتاب الاسلامي والعمل على تيسير تداوله وتلبية حاجة المسلمين منه .

فالاقتداء بالسلوك الخلقي للرسول صلى الله عليه وسلم ، هو الطريق الأول إلى غرس الأخلاق في النفوس وفي التطبيق .

والطريق الثاني : هو الجماعة الصالحة ، او الرفقة الطيبة الطاهرة ، ذلك أن مثل هذه الجماعة تذكرك إذا نسيت ، وتعينك إذا ذكرت على التطبيق والسلوك ، وهذه الرفقة أو الأخوة الطيبة ، إن لم تدفعك إلى الرقي الأخلاقي ، فإنها لن تتسفل أوتتدني بك .

ولكل منا إخوة أو جماعة أو رفقة أو زملاء ، فلينظر فيهم هل هم يذكرونه ويعينونه أو أنهم غير ذلك ؟

ومعروف أن الجماعة الصالحة تصقل النفوس وتطهرها مما قد يلحق بها ، ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم .. قد حض على اختيار الرفقة الصالحة ، مثلما حض على عدم الانعزال والتفرد ، وإن كان ذلك ضروريا في الحل ، فإنه في السفر آكد وأقوى .

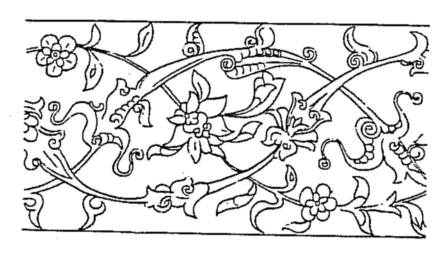
ولقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك ، فإنك إن لم تشتر منه ، تنالك منه الرائحة الطيبة الزكية ، والجليس السوء كنافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، أو يؤذيك بالدخان .

والجماعة الصالحة ، تعين نفسيا وعلميا ـ على التمسك بالخلق الاسلامي القويم ، وهي بذلك تعد الطريق الثاني لغرس الأخلاق في النفوس وإحيائها في الواقع .

أما الطريق الثالث : فهو حسن العبادة لله تعالى : ذلك أن الأخلاق ثمرة وغاية ، لا تتحقق بمجرد الأمل والتمني ، ولكنها ثمرة تدريب وتربية وحمل للنفس عليها ، ومما يعين على ذلك إلى جانب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في

اخلاقه ، والحرص على تخير وملازمة الصحب الصالح ، هو حسن العبادة لله .
والكلمة الذائعة في هذا الصدد هي ، أن من لم يحسن العبادة لا يحسن القيادة ، لأن أولي علائم الفشل في القيادة ، هي سوء الخلق ولا ريب ، وإن واقع العصر وعبر التاريخ تؤكد ذلك وتحققه .
ففي العبادة الحقة ،التي يصح أن نطلق عليها اسم « العبادة » تزكية وتصفية وتطهير للنفس والروح والبدن والمال من كل درن وخبث نفسي شعوري أو جسماني . وليست الغاية النهائية من العبادة ـ في التحليل الأخير ـ شيئا غير التحقق بالأخلاق الاسلامية الرفيعة .

ـ يقول تعالى « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » العنكبوت/ ٤٥
ـ ويقول صلى الله عليه وسلم : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه احمد .
ـ ويقول صلى الله عليه وسلم : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)رواه احمد .
وكان الحج الذي يحقق الغاية الخلقية هو (الحج المبرور) الذي يغسل صاحبه من كل الأدران ، فيولد ولادة جديدة في النقاء والطهارة والتزكية والتصفية .
هذه هي ضروب غرس المنهج الأخلاقي في نفوس المسلمين جميعا ، وتطبيقه في الواقع ،
ـ الاقتداء بالسلوك الخلقي النبوي ، وذلك لن يتم إلا بفهم سيرته صلى الله عليه وسلم فهما واعيا فاحصا متكاملا .
ـ ثم تخير الجماعة أو الصحب الصالح ، لما لذلك من فوائد تربوية وخلقية عظيمة .
ـ ثم الاجتهاد في حسن العبادة لله ، لأن الغاية العليا للعبادة في الاسلام هي غاية اخلاقية ، ولن تتحقق هذه الغاية إلا بقدر الاجتهاد في إحسان أداء هذه العبادة .
ذلك هو ارتباط الأخلاق بالاسلام ، فإنك إذا رأيت الرجل أو البيت أو الجماعة أو الشعب قد ارتفع مستواهم الأخلاقي ، فإنك واجد ـ بالتحقق ـ ولا ريب ـ أن مستوى التزامهم بتعاليم الاسلام قد سما ونما ، وهل الخلق إلا السلوك ، وهل الدين إلا الخلق ؟!!



من وحي
السيرة الخالدة

نبي الهدى

للدكتور حسن فتح الباب

نبي الهدى عمت مآثرك الدنى ... رياضا جنيات وبيدا فيافيا
طلعت على الأيام كالنور طاهراً ... وأشرقت في الليلات كالبدر هاديا
فهلت على وجه الوجود ائتلاقة ... كما غمرت شمس الصباح الروابيا
ورفت على ثغر البرية بسمة ... تفيض شعاعات حسانا زواهيا
ترقرق كالأمواه في كل جدول ... تدفق من قلب الينابيع صافيا
وتهفو على الآفاق آيات رحمة ... تواسي شجيا أو تبشر عافيا
وشاعت بأعطاف الطبيعة هزة ... ترد الحزين الجهم جذلان ساليا
وشعت بأرجاء السماء كواكب ... تقبل بالنور العيون الجواريا
وأقبلت الغبراء أنضر ما بدت ... تضاحك في الزرقاء شهبا دراريا
نضت من قتام الشجو عنها غلائلا ... كما غيض الشاجي دموعا هواميا
أفاءت عليها طلعة البشر رونقا ... فرفت جبينا واستضاءت حواشيا
وأقبلت الأيام غراً حميدة ... على الدهر تُزهى ضحوة ولياليا
لها ما سرت في الكون خفقة ملهم ... يحن إلى الآتي ويذكر ماضيا
بشائر من فيض الاله تتابعت ... فصيرت الدنيا عيونا روانيا
وأشرق في الأكوان يدعو إلى الهدى ... رسول قلبت كلهن المناديا

★ ★ ★

رسول الهدى ما أطيب الذكر مسعدا ... وما أروع الايمان للشعر هاديا
طلعت على الصحراء غيثا منزّلا ... فقرت قفارا واستكانت بواديا
وآسيت محروبا وأغنيت معدما ... ومجدت مغمورا وأرشدت غاويا

جلوت عن المكروب آثار كربه ... ورويت صديان الجوانح ظاميا
بسطت على الآفاق كف سماحة ... فنضرت مجرودا وزينت حاليا
تأبيت أن تجثو لأصنام مكة ... وكنت لمن شاد السموات جاثيا
وكنت عن الأقذاء والنكر قاصيا ... فأصبحت من عرش الألوهة دانيا

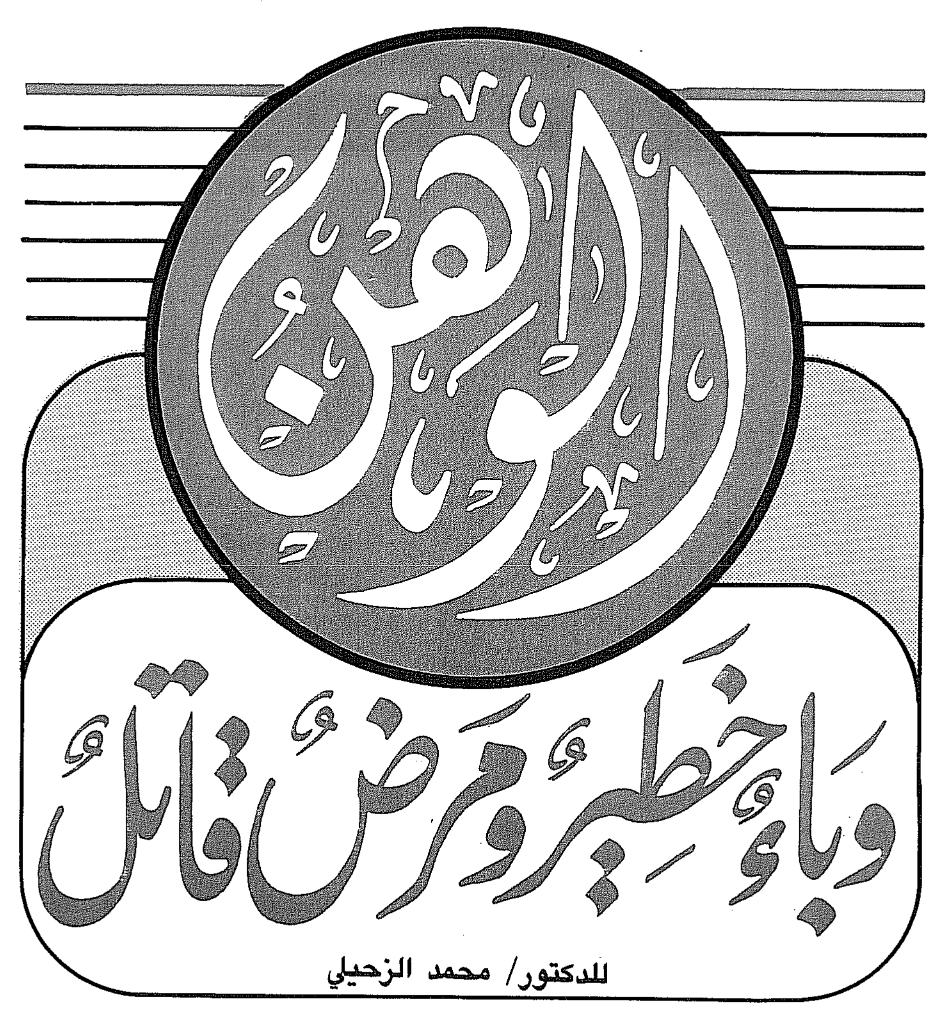
★ ★ ★

عقيدك معقود اليمين على الهدى ... يزلزل بالايمان شما رواسيا
فما وهنت منه على البرح عزمة ... ولا مثلُ ما أبلاه روع عاتيا
وعهدك ، إن العهد منك مواثق ... إذا شدت عهدا كنت للعهد وافيا
رميت ، وإن شئت الرماة رميتهم ... ولكنك العاقل ، فما كنت راميا
جهاد شرور ، واصطبار على الأذى ... أفاضا شعاعات تذيب الدياجيا
كفاح وإحسان وهدى ورحمة ... شعاع من الايثار مازال باقيا
بنيت لدين الحق دوراً مشيدة ... من النور والعرفان تفديك بانيا
وهدمت للبطلان أوثان إفكه ... فخر بناء الشرك وهنان هاويا
وحملت من إصر العداء فواقرا ... فما نؤت بالبؤسى وما كنت شاكيا
ولكن رجوت العفو عن عصبة بغت ... ولو شئت أن تقسو لما كنت عاديا
فإن حصاد الشوك شوك وإنما ... تنزهت عن مثل الجزاء تعاليا
فأنت الكريم السمح يلقاك من عدا ... عليك فيلقاك المجير المحاميا
وأنت العفيف الحر ما لاذ خائف ... بساحك إلا قر فيهن راضيا
وأنت المغيث الكرب لم يهف ظامىء ... لسقياك إلا آب جذلان راويا
ولم تلتمس دارا لتهدي أهلها ... إلى الخير إلا عزت الدار ناديا
فماجت تقى واستشرفت جنباتها ... علاء وماست روضة ومجانيا
وصارت من الفردوس روحا وروнقا ... تهب عليها الساريات نواجيا
وغنت على الأيك الرطاب حمائم ... طراب بفن الشجو ذابت تشاجيا
ألم تر دار الأرقم التي غدت ... يحج إليها المسلمون لياليا ؟

★ ★ ★

ترنمت البيداء من بعد صمتها ... وفاض عليها النور يجلو الدياجيا
وأنقذت الأعراب من ظلماتهم ... شعاعات إلهام تجلت زواهيا
فعزوا وسادوا ثم شادوا وملكوا ... وبُدلت الأوهام منهم معانيا
رسالة إيمان وشرعة عزة ... تؤيد مظلوماً وتخذل باغيا
أقامت على التوحيد دين أخوة ... وعدل تجلى في الديانات ساميا
وشادت على العرفان والحق عالماً ... من المثل العليا ترفع عاليا
تحرر فكرا واستقام عقيدة ... وعز ذمارا كان بالأمس واهيا
عليك سلام الله ما لاح كوكب ... وما استقبلت ارض غيوثا هواميا

★ ★ ★



للدكتور/ محمد الزحيلي

يتعرض الفرد والمجتمع والأمة دائما وباستمرار الى عوارض متعددة ، وظروف طارئة ، وتطورات كثيرة ، وأمراض مختلفة ، ويتفاوت أثر ذلك بحسب طبيعة المؤثر الجديد ، وبنيان الفرد والمجتمع ، والعوامل المساعدة ، وقد ينتاب الفرد أو المجتمع مرض عارض ، ويزول بسرعة دون أن يترك أثرا ما ، وقد يصاب الفرد بمرض معين ، فيقتصر عليه ولا يمتد الى المجتمع ، ولا تحس به الأمة ، وقد يتحول المرض من الفرد الى المجتمع ، فيصبح مرضا قاتلا ، ووباء فتاكا ، ويكون أثره إزهاق الفرد ، وإبادة الأمة وسحق المجتمع .

وإن أمراض الانسان كثيرة ، منها عضوية ، ومنها نفسية ومنها اجتماعية ، وهي في معظمها أمراض عامة لا تخص فردا أو مجتمعا أو أمة ، فإذا حلت في فرد أو مجتمع أو أمة فلا بد أن تظهر أعراضها ، وينتشر خطرها ، ويحس بآلامها المصاب وغيره ، وقد تفتك بالمريض ، وتؤدى إلى العدوى ، لتفتك بالمجموع .

ومن هنا تقوم الديانات السماوية ، والمفكرون في كل أمة ، والمصلحون في كل

مجتمع ، بمجابهة هذه الأمراض ، ووصف الأدوية لها ، بل يسارعون إلى التحذير منها لأخذ الوقاية والمناعة قبل أن تحل وتستشرى بين الناس ، لأن الوقاية خيرمن العلاج ، وبذلك ينقذون أمتهم ومجتمعهم من الأخطار المحدقة ، ويجنبون الأفراد ويلات تحيق بهم ، وتهدد وجودهم .

ومن هذه الأمراض الفتاكة التي يشترك فيها الفرد والمجتمع ، وتنذر الأمة بالويل والدمار مرض الوهن الذي بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعراضه وأسبابه ، وحذر منه .

والوهن في اللغة العربية الضعف ، سواء أكان ماديا أم معنويا ، وسواء أكان في الفرد أم في المجتمع ، من وهن يهن وَهْناً أي ضعف ، ويقال وهن عظمه ، واسم التفضيل أوهن ، ويقال : وهن الرجل أي جبن عن لقاء عدوه ، وهذا داخل في الضعف ، وقد استعمل القرآن الكريم هذا المعنى في عدة آيات ، فقال تعالى : « **قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا** » مريم/ ٤ ، وقال تعالى : « **فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله** » آل عمران/ ١٤٦ ، وقال تعالى : « **ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون** » النساء/ ١٠٤ أي لا تجبنوا ، وقال تعالى : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** » آل عمران/ ١٣٩ وقال تعالى : « **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن** » لقمان/ ١٤ ، وقال عز وجل : « **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت** » العنكبوت/ ٤١ .

ولكن الوهن المقصود في هذا المقال هو مرض عضال ،ووباء عام بيَّنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وثوبان قالا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة الى قصعتها » ، قيل : يا رسول الله : فمن قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاءكغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن »فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا ، وكراهية الموت » .

وهكذا يكشف الرسول صلى الله عليه وسلم أعراض الوهن الذي يبدأ من الفرد ، وينتهي بالمجتمع ، هذا المرض الذي يصيب الأمم والشعوب فيقضي على كيانها ، ويهدم وجودها ، ويسقط هيبتها ، ويمحو أثرها ، ويزلزل أركانها ، ويحطم دعائمها ، فتهوى من عليائها وكرامتها واستعلائها إلى أن تركع أمام الأمم الأخرى ، وتستخذل أمام الشعوب المجاورة ، وتصبح لقمة سائغة للطامعين فيها ، بل يكثر الأكلة حولها ، ويجتمعون على اقتسامها والقضاء عليها ، كما يجتمع الجياع حول الطعام ليتناولوه ، ويأخذوه ، ويقتسموه ، فلا يرفعون أيديهم عنه ، وفي القصعة أثر لوجوده .

هذا المرض بأعراضه وأسبابه يصيب الدول في القديم والحديث ، ويؤدى إلى سقوطها وانهيارها ، وهو اليوم مقيم بين المسلمين ، وقد حط بكلكله عليهم ، ونزل

بهم الوهن منذ أمد ، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر بعين الغيب (الذي يطلعه عليه الوحي) ويصور حال المسلمين ، وقد تداعت عليهم الأمم الاستعمارية ، والشعوب المعادية وتكالبت على أرضهم وبلادهم ، وجزأت أوطانهم وديارهم ، وسلبت نصيبا كبيرا وعزيزا من مقدساتهم ، وتآمرت ، ولا تزال تتآمر ، عليهم في كل قطر وجانب ، وتحيك لهم المؤامرة تلو المؤامرة للإطاحة بهم ، وفرض الاستسلام عليهم ، وضمان الاستذلال والاستسلام لهم ، وتنوع عليهم أساليب الاستغلال والابتذاذ لثرواتهم واقتصادهم ، وتفرض عليهم الأفكار الخبيثة ، والمبادىء البراقة ، والقيم الدخيلة ، والقوانين الوضعية ، وتغزوهم فكريا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في عقر دارهم ، وتتقاسمهم النفوذ ومناطق السيطرة ، وتتقاذفهم ذات اليمين وذات اليسار ، وتحفر لهم الحفر ليسقطوا فيها ، وترى القطر الواحد يوماً مع الشرق ويوماً مع الغرب ، وتارة يستورد أفكاره وقيمه ومواده وأسلحته من هنا ، وتارة من هناك ، والمسلمون اليوم في ضياع وتمزق ، وتردد واضطراب ، لا يعرفون ذاتا لأنفسهم ، ولا يعلمون هوية لشخصيتهم ، ويجهلون السفينة التي تحملهم ، وهم نائمون عن الرياح التي تتقاذفهم ، وقد تكسرت السوارى ، وسقطت الراية ، وهم في بحر لجي ، في ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرجوا أصابعهم لا يكادون يرونها من الحجب الكثيفة ، والنظارات السوداء التي أحكم العدو ربطها على أعينهم ، وشدد الخناق فيها على رقابهم ، لكن أعدادهم كثيرة ، وثرواتهم ضخمة ، ومركزهم استراتيجي ، وهم ملايين وملايين ، ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، لا قيمة له ، ولا يثبت على حال ، ويقذفه السيل الى الحضيض ، ولذلك فقدوا هيبتهم ، وطمع بهم القريب والبعيد ، والقوى والضعيف ، وسامهم الذل والهوان على أيدي عصابات صهيون ، وجنود المرتزقة ، وتسلط العملاء .

حب الدنيا وكراهية الموت :

وقد شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم المرض ، فبين أنه الوهن ، ثم شرح أعراضه الظاهرة وأسبابه القريبة والبعيدة ، وهي حب الدنيا ، والتعلق بها ، والافتتان بزينتها ، والسعي وراءها ، والطمع فيها ، وقصور الآمال عليها ، واعتبارها المبدأ والمنتهي ، والظن بالخلود فيها ، وحب الاستزادة من البقاء فيها ، وبالتالي كراهية الموت ، لانه يقطع هذه الآمال والأماني وكأن لسان حال القوم يردد سخافات الجاهلية من الدهريين وغيرهم ، حين يقولون :« **إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** » المؤمنون/ ٣٧ ، « **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** »الأنعام/ ٢٩ ، « **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** » الجاثية/ ٢٤ .

إن المرض واحد ، ولكن له وجهان متقابلان ، وصفتان متلازمتان ، وعرضان متحدان ، وهما حب الدنيا وكراهية الموت ، وهذان العرضان نشيطان ومؤثران ،

ويتركان الآثار العظيمة ، والنتائج الخطيرة ، ويدفعان الى أعمال جمة .

فمن آثار حب الدنيا أن تبدأ من الفرد لتصل الى المجتمع ، فتصبغه بها ، وينتشر الحرص على جمع المال ، والانكباب على كسبه بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، ويظهر التقاتل والتخاصم ، والشح والبخل ، والجشع والطمع ، واللف والدوران في التعامل ، والتحايل والتهرب ، والسرقة والغصب ، ثم يعقب ذلك التخاذل والجبن والخوف والاضطراب ، والقلق الشديد من المستقبل .

ومن آثار كراهية الموت أن يعب الانسان من طيبات الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وألا يعد للموت عدته ، ولا يقدم شيئا أمامه ، ويسرف في الملذات ، ويسعى لاشباع الشهوات ، وينقاد وراء الغرائز ، ولو قتل نفسه بنفسه ، ثم يهلك ذاته بيده .

ويشرح القرآن الكريم هذا المرض بشقيه ، مبينا أثره وخطره وعاقبته ، فيقول تعالى : « **ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم . ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** » التكاثر/ ١ ـ ٨ .

حقيقة الدنيا :

وإن حب الدنيا وكراهية الموت يعني أن الانسان يجهل حقيقة الدنيا ، ويغتر بمظاهرها ، ويفتتن بمغرياتها ، وأن صاحبها قصير النظر ، كليل البصر ، ينظر بين رجليه ، ولا يستعد لأبعد من ذلك ، ولا يهيء نفسه لمستقبل أيامه ، ولا يدخر سلاحه وقوته لوقت حاجته ، لذلك حرص القرآن الكريم على أن يكشف للمسلم حقيقة الدنيا ، ويميط له اللثام عن مفاتنها ، ويحذره من الاغترار فيها ، وذلك في آيات كثيرة ، قال تعالى : « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » الحديد/ ٢٠ . وقال تعالى : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** » آل عمران/ ١٤ ، ويبين القرآن حقيقة الحياة ، ويحذر من فتنتها ، فيقول تعالى : « **يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** » فاطر/ ٥ ، كما يقرر القرآن الكريم أشياء كثيرة من زينة الحياة الدنيا ، ثم يدعو الناس الى عدم الوقوف عندها ، ويطلب منهم تجاوزها الى ما هو خير وأفضل ، وأحسن وأدوم وأثمن وأبقي ، فيقول تعالى : « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » الكهف/ ٤٦ ،

فالدنيا جميلة ، وفيها من المسليات والملاهي الشيء الكثير ، ولكن ذلك إلى زوال ، وأن الحياة الحقيقية ، والسعادة الحقة هي في الدار الآخرة ، فيقول تعالى : « **وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون** » العنكبوت/ ٦٤ ، ثم يحذر الرسول الكريم من مفاتن الدنيا ، والانشغال بمالها وخيراتها ، والتنافس فيها ، والغفلة عن الله والآخرة ، فيقول عليه الصلاة والسلام في حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف الأنصاري : « فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الدنيا ، وهوانها عندالله تعالى ، وأنه لاقدر لها إذا قصدت لذاتها ، وانما تظهر قيمتها إذا جعلت طريقا إلى الآخرة ، ومزرعة للأعمال ، فقال عليه الصلاة و السلام ـ فيما رواه الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي ـ :«لو كانت الدنيا تعدل عندالله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » ، وحذر الرسول الكريم المؤمنين من استعباد الدنيا وزينتها لهم ، فالعاقل لا يكون عبداً للدرهم والدينار ، وإلا استحق السخط والغضب ، يروي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار والدرهم ، والقطيفة والخميصة ، ان أعطي رضي ، وان لم يعط لم يرض » ، وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وان الله تعالى مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ،واتقوا النساء » وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة » ، وهذه الآيات والأحاديث ، وغيرها كثير ، تحذير للمسلمين من الفتنة بالدنيا ، والتعلق بها ، والاغترار بزينتها ، وليكون ذلك وقاية لهم من الانغماس فيها ، ولكن ذلك لا يعني التخلي عن الدنيا ، وترك ما فيها ، واعتبارها نجسا كما يحلو لأتباع بعض الديانات المحرفة ، بل الدنيا مزرعة للآخرة ، وأن الدنيا ميراث وتركة للمؤمن ، ينفقها في سبيل الآخرة ، ويشترى بها الدرجات العليا في الجنة ، روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا اضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك » .

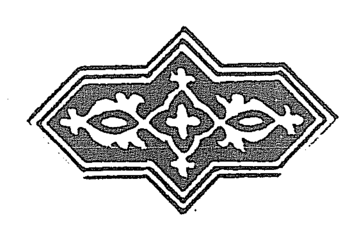
الاستعداد للموت :

وهذه النظرة الحقيقية للدنيا ، وعدم التعلق بها ، وسيلة تربوية حتى يكون المال وغيره في يد المؤمن والعاقل ، وليس في قلبه ، فلا يستأسره ويسيطر عليه ، وانما يستخدمه لنفع العباد والبلاد ، ويسخر ما في يده من خير ليكون أمامه يوم الدين

والحساب ، وليبقى ذكرا له ، وعملا نافعا ، وأجرا دائما بعد وفاته ، وأن الإدخار والبخل ، والاكتناز والشح لا يعود عليه بشيء ، ولن يخلد في الدنيا ، وسوف ينقل إلى القبر ، ويدفن تحت التراب ، ويبقى المال لغيره ، ويكشف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الحقيقة ، مبينا حظ الانسان من ماله ، فيما يرويه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن عبدالله بن الشخير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت » ولذلك يستعد العاقل للموت ، ويهيء له الأسباب المحمودة ، فإن جاءه الموت كان على خير حال ، دون أن يغفل عن هذه الحقيقة التي تلازم البشرية ، وأن الدنيا ليست مقرا ولا مستقرا ، ولم يخلد فيها إنسان ، والموت حق يقيني ، ومهما جمع الانسان في هذه الحياة ، فان متطلباته منها محدودة ، وحصيلته مقررة ، وانتفاعه محصور ، والزائد عنه سيبقى لغيره من الأحياء ، ويروح المرء إلى مصيره المحتوم شاء أم أبى ، وإن أنفق ماله في الشر والايذاء فسوف يحاسب عليه ، وإن كان رشيدا أنفقه في الخير ، واستعد لما بعد الموت ، لما روي الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الكيس (وفي رواية العاقل) من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » ، وقد خلق الله الحياة ابتلاء للإنسان واختبارا له ، ليستعد إلى لقاء ربه ، ويغتنم الفرصة في حياته ، لما رواه الامام أحمد والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

وكان اليهود يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فوضعهم الله على المحك الحقيقي ،وطلب منهم تمني الموت ان كانوا صادقين في لقاء الله ، فقال تعالى : « **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** » الجمعة/ ٦ .

وفي هذا التوجيه ، والتربية الاسلامية يكون الانسان سويا وقويا ، ويضمن لنفسه العزة والكرامة ، ويحقق لأمته النصر والحياة العزيزة ، ويغرس في نفسه المناعة والوقاية من الوهن ، ويطلب الموت لتوهب له الحياة ، وينزع من قلبه حب الدنيا ، ويضع الموت نصب عينيه ليحاسب نفسه قبل أن تحاسب ، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، وردنا الى دينه ردا جميلا ، والحمدلله رب العالمين .



وقفة تأمل

بين الخوف .. والرجاء

● جرت سنة الله في خلقه أن يحاول الانسان الصعود في سلم الرقي الانساني ، فيحرص على أن يكون فاضلا نقيا طاهرا في نفسه وفي علاقته بخالقه وفي تعامله مع أخيه الانسان ومع الكون من حوله .

● ولكنه قد يكبو حينا ، ويخطىء أحيانا ، وينحرف عن الصراط المستقيم ، ويعتريه الندم على سقطاته ، ويعلم أن له ربا يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات . فيكفر عن سيئاته ، ويعود إلى سابق عهده من الطاعة وحسن الامتثال .

● وقد تتآمر عليه نفسه والقوى الشريرة من حوله ، ويدعوه داعي الغواية ، فيضل ويزل ، ثم يفيق على صوت الحق في أعماقه .. فيستغفر الله من ذنوبه ، فيغفر الله له ، وهو الغفور الرحيم .

● رحمة الله واسعة ، وفضله عظيم ، وإن رحمته تسبق غضبه ، وهو الذي يرزق ويعطى في الدنيا حتى المنافق والمشرك ومن ينكر وجوده . سبحانك ربي ما أحلمك ؟

● من هنا لا ينبغي لنا أن نيئس الناس من رحمة الله .. بل ينبغي أن ندعوهم إلى ساحة الأيمان والعمل الصالح .. وهم واثقون من أن الايمان يجب ما قبله ، ونردد على مسامعهم قول الحق تبارك وتعالى :

(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجدلهم نصيرا . إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) .

● إن كلمة طيبة قد تهدى الشارد والضال وترده إلى حظيرة الايمان والتقوى ، وإن كلمة قاسية قد تزيد العنيد عنادا ، وأما يكفينا عداوة الأعداء حتى نتسبب في عداوة جديدة، وجفاء ، وقسوة .

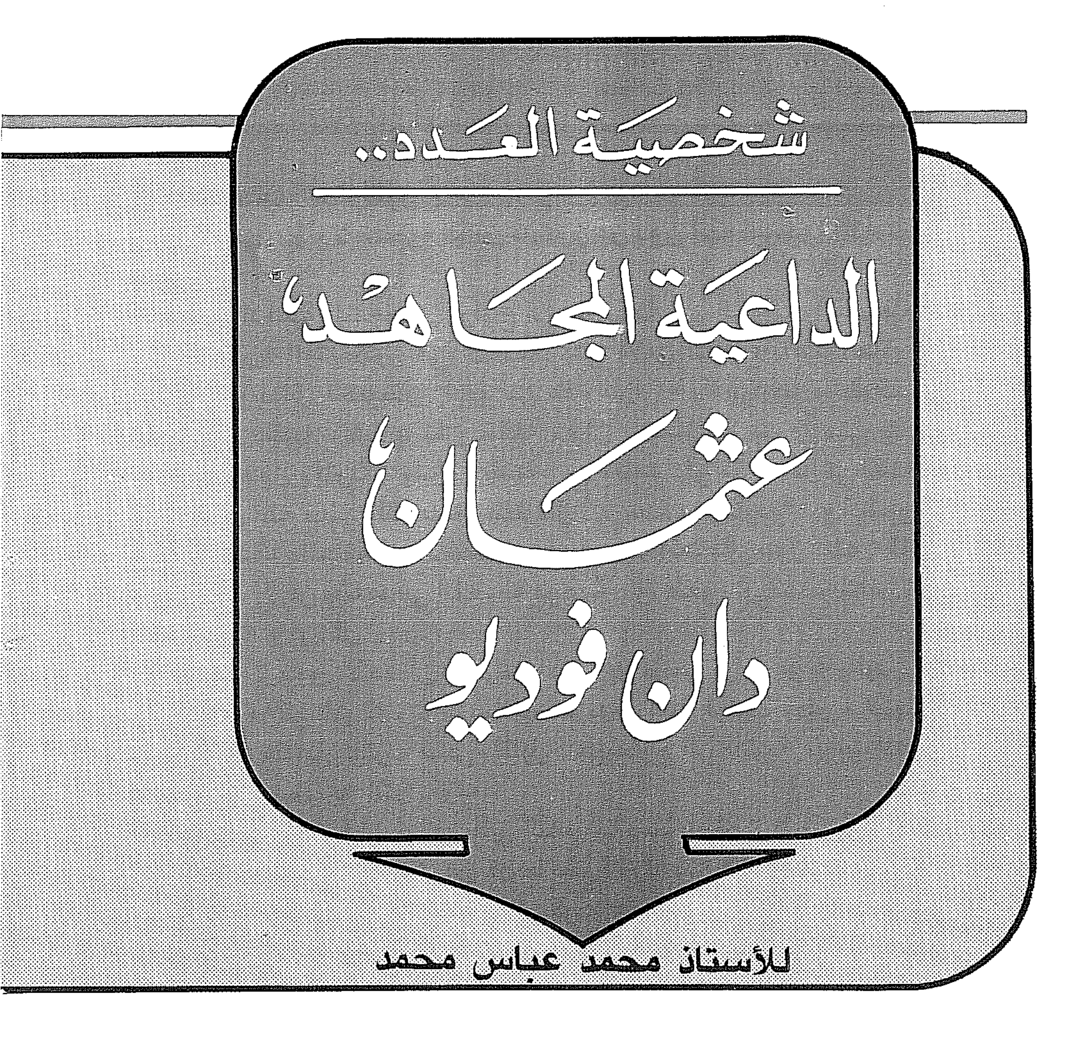
إن الكلمة الطيبة تنير القلوب المظلمة ، وإن الكلمة النابية تنفر الناس منك ، فكن مبشرا وميسرا ، ولا تكن قاسيا ومنفرا .. يقول الله سبحانه لنبيه الكريم : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**

إن الله يحب المتوكلين) .
ويقول تعالى : **(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)** .
● وعلى الداعية الناجح أن يراوح في الموعظة بين الخوف .. والرجاء – حتى لا يفرط المتواكلون في الاعتماد على الأمل الخادع ، فيتراخون عن الطاعة ، ويدخل الشيطان إليهم من هذه الزاوية – فيذكرهم بالخوف من الله ، وأن عقابه . شديد لمن خالفه ، وأن الانسان لا يدري متى ينتهي أجله ، فليعجل بالتوبة ، وليزم الطاعة ، ولا يعتمد على ما استقر في ذهنه .. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **سددوا وقاربوا ، وأبشروا ، فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله » قالوا** : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل** » .
○ من هنا لا يجوز لأحد أن يكفر مسلما .. بل ينبغي أن يدعو له بالهداية ، وأن يرشده إلى أن له ربا كريما يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، فليسارع الى التوبة ، وليرِ الله من نفسه .ما يمحو به آثار ذنوبه .
● ليس من الحكمة أن نشدد على الناس ما دمنا سائرين في رحاب الدين السمحة ، وينبغي أن نبتعد عن كل ما يثير الفرقة بين الناس ، إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله فلا ينبغي السكوت عليها . بل ننكرها ، وندعو إلى احترام شرع الله ، واجتناب ما حرم ، ولأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها .
● ونحن هنا ندعو العصاة – وندعو أنفسنا – إلى طاعة الله والالتزام بشرعه ، ونحن على ثقة من واسع رحمته ومع هذا فنحن في خوف من شدة عذابه .. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« **لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد** » .
● وتأمل معي قول الشاعر قبيل موته :

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ... وأرجو نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوفي من الله واثق ... بإنعامه ، والله أكرم منعم

فاللهم غفرانك .

فهمى عبد العليم الامام



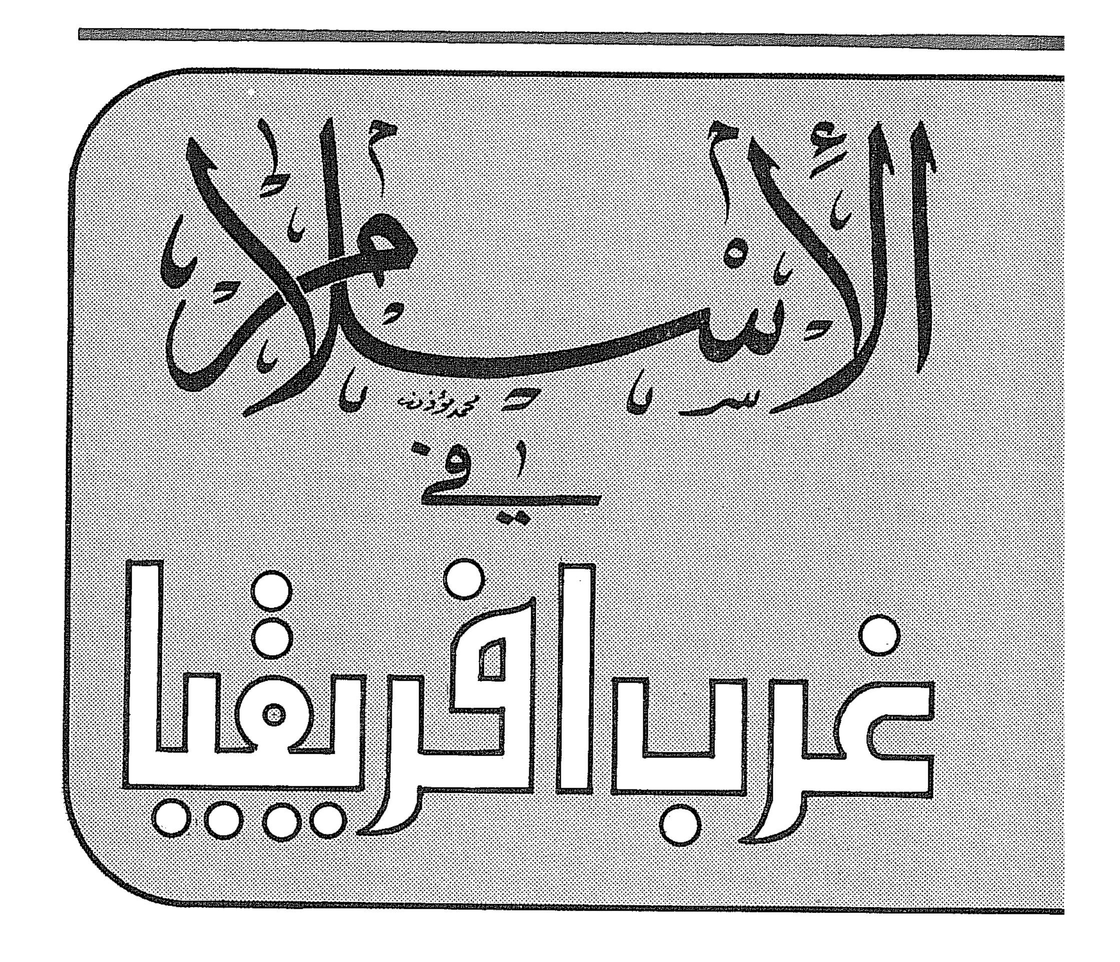
للأستاذ محمد عباس محمد

في غرب أفريقيا شعوب كثيرة تدين بالاسلام وتتخذ من اللغة العربية لغة للعلم والثقافة ، وتسعى جاهدة من أجل نشر الاسلام بين القبائل المجاورة . من هذه الشعوب ، قبائل الغولاني أو الغلبة التي تنتشر في شمال نيجيريا وجنوبي النيجر ومالي والتي ينتمي اليها المجاهد « عثمان دان فوديو » .

والغولاني قوم سمر البشرة يشبهون العرب شبها شديدا . يعيش معظمهم على الرعي ويمارس بعض منهم التجارة . ويمتاز الغولاني بالانفة واحترام الذات وإباء الضيم ، شأنهم في ذلك شأن العرب .

ورغم ان للغولاني لغة خاصة بهم تسمى لغة « الغولى » الا أن معظمهم يجيدون اللغة العربية التي يتخذونها لغة للدراسة في مدارسهم ، والقرآن الكريم هو مصدر التشريع لديهم بلا منازع .

ويمتاز الحكام من الغولاني بحب العدل والميل الى الاخذ بالشورى عند البت في الامور الهامة . والشعب من



جهة اخرى على قدر عظيم من الثقافة الاسلامية تمكنه من التمييز بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والحلال والحرام .

ومن بين تلك القبائل ظهر في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة رجل فذ هو عثمان بن محمد فودي وعثمان دان فوديو كما يعرف في غرب افريقيا .

ولد عثمان في قرية تسمى « طفل » بإمارة جوبير سنة ١١٦٩ للهجرة وكان بيته بيت علم وتقوى أسلم أجداده منذ عدة قرون وتوارثوا الاشتغال بالعلم وأمورالدين . فقد تفقه أبوه في الدين واشتغل بالعلم ، كما اشتغل به بيته كله ، زوجته وأولاده وبناته .

نشأ عثمان في هذه البيئة المتدينة ، فأولع بالعبادة والثقافة الاسلامية ، وأقبل منذ حداثته على علوم العربية يستزيد منها . ولازم في صباه عددا من العلماء يدرس عليهم الفقه والحديث وكل ما يستطيع من علوم الدين الاخرى ، ولما اشتد عوده ارتحل الى مدينة « زنفر » طلبا للعلم ،

فسمع التفسير ودرس الصحيحين .
ولما بلغ عثمان مبلغ الرجال واتسعت مداركه ، هاله حال المسلمين في بلاده ، فكبارهم يخالطون الوثنيين دون تحرج ، ويقلدهم العامة ويتشبهون بهم في عاداتهم الوثنية . وقد افزع عثمان انتشار البدع بين المسلمين وتكالب الخرافة والشعوذة على الدين ، تطغى على جوهره وتخفي سماحته وروعته .

وقرر عثمان ان يؤدي فريضة الحج . فرحل الى الأراضي المقدسة ، وفي مكة المكرمة التقى بتلاميذ الشيخ محمد عبدالوهاب وكانت تلك الحركة قد انتشرت في الحجاز وحققت قدرا كبيرا من النجاح بالتحالف الذي تم بين دعاتها وبين آل سعود .

وقد عاش عثمان فترة بين هؤلاء الدعاة واستمع اليهم وتشرب طريقتهم وتحمس لها فأيقظت في نفسه الرغبة الملحة في أن يحارب البدع في بلاده كما حاربوها في بلادهم ، وان يعلنها ثورة على الفساد مثلهم .

ومع تعمقه في دراسة حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قويت في نفسه الرغبة في إيقاظ مسلمي غرب افريقيا من رقدتهم المزرية وانتشالهم من براثن البدع والخرافات التي سيطرت على حياتهم الدينية .

وقد حارب بلا هوادة رذيلتين سادتا في بلاده ، وهما شرب الخمر والزنا .

وقد بدأ عثمان دعوته كما بدأها محمد بن عبدالوهاب دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هدفها العودة بالدين الى اصوله ، واعادة المجتمع الاسلامي الى بساطته الاولى التي سادت في عهد الخلفاء الراشدين ، ونبذ البدع والخرافات . ووجدت دعوته استجابة من الناس . وبدأت حلقات الطلاب الملتفين حوله تتسع بالتدريج فأخذ يحث طلابه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذاع صيته وتاب على يديه خلق كثير .

ولما تزايد عدد انصاره ومريديه ، انتقل الى المرحلة التالية من دعوته فبدأ بالاتصال بالامراء والحكام يدعوهم الى اصلاح أحوال الرعية ويحثهم على محاربة البدع في بلادهم والاتحاد فيما بينهم لنشر الاسلام بين غير المسلمين من القبائل الاخرى . ولعله كان يريد ان يحقق ماحققه ابن عبدالوهاب من قبل ، بأن يقيم تحالفا بينه وبين احد امراء الحوصه .

من أجل هذا الهدف اتجه عثمان الى أمير « جوبير » فشرح له أصول العقيدة واستخلص له الاسلام مما اكتنفه من البدع والخزعبلات وطلب منه ان يكون عونا له على احياء الدين واقامة العدل . فاستجاب الامير له اول الامر وعهد اليه بالفتوى والارشاد ، فأخذ عثمان يفسر القرآن الكريم للناس ويروي الحديث ويشرح آراءه الاصلاحية . فالتف حوله قوم كثيرون وحازت دعوته استحسانا شديدا بين الناس . فأوغر ذلك صدر أمير جوبير وأوجس في نفسه خيفة من تزايد اتباع عثمان وساورته المخاوف على ملكه لتزايد نفوذه ، فقول على طرده من البلاد وطلب منه الرحيل .

امتثل عثمان لرغبة الامير ورحل قاصدا إمارتي « زنفر وكب » فرحب به الناس هناك واخذ ينشر دعوته ومبادئه بينهم واسلم على يديه العديد من الوثنيين وتقاطرت على مجلسه الآلاف من المريدين المتحمسين لدعوته . وحاول عثمان ان يستميل أمراء الحوصه لدعوته ولكنهم ارتابوا في اهدافه ووجدوا فيه خطرا ملحا يريد القضاء على ملكهم ويحد من نزواتهم ويؤلب عليهم رعاياهم . فاجمعوا امرهم على محاربته والقضاء على حركته وأمروه بالرحيل عن البلاد وهددوه بايذائه وايذاء اتباعه اذا لم يغادر بلادهم على الفور .

فلما وجد عثمان انه قد فشل في تحقيق هدفه ، اي الفوزبمساندة أمير من أمراء الحوصه لدعوته ، خرج مهاجرا في فبراير سنة ١٨٠٦ م وهاجر معه حشد من انصاره المخلصين ، واستقروا جميعا في اطراف الصحراء يعيشون حياة التقوى والعبادة .

على ان ذلك لم يرض امراء الحوصه ولم يدخل الطمأنينة الى قلوبهم ، فتدارسوا الامر فيما بينهم وقرروا تضييق الخناق عليه تمهيدا للقضاء عليه وعلى دعوته واتباعه . فأخذوا في ملاحقته اينما حل ، يقطعون الطريق الموصل الى حلقه وينهبون أمواله وأموال اتباعه .

ازاء هذا الخطر الداهم ، لم يجد أتباع عثمان بدا من مبايعته على الجهاد والموت في طاعة الله ورسوله . ونادوا به « ساركن مسلمي » أي أميرا للمؤمنين وتهيئوا للحرب واستنفروا أنصار الدعوة في أنحاء البلاد فوجدوا استجابة سريعة من عشائر الغولاني المنتشرين في طول البلاد وعرضها ، وهرع إليه الآلاف من أفراد تلك القبائل تؤيده وتشد من أزره . وهكذا اتحدت قبائل الغولاني خلف زعيمها وقويت شوكتها بعد أن كانت متفرقة لا وزن لها .

فلما بلغ ذلك أمراء الحوصة ، كونوا حلفا فيما بينهم بزعامة أمير « جوبير » ، الذي سار على رأس جيش كبير لمحاربة عثمان وأتباعه ، فما كان من عثمان إلا أن أعلن الجهاد رسميا سنة ١٨٠٦ بادئا بذلك دورا جديدا في حركته الاصلاحية الفتية ، وهو دور الفتح والجهاد . وسار عثمان في جيشه الممتلىء حماسة قاصدا مدينة « كانو » اكبر مدن الحوصة فهاجمها وتم له فتحها بعد أن هزم أميرها هزيمة ساحقة ، ثم ولى عليها عالما من أتباعه . بعد ذلك النصر المؤزر ، توجه عثمان إلى « إمارة زاريا » فهاجمها وتم له فتحها سنة ١٨٠٧ ، ثم تابع مسيرته فاستولى على منطقة « سكت » واتخذ من مدينتها حاضرة لدعوته . ثم انطلق الى إمارة « زنفر » فاستولى عليها واتبع ذلك بفتح « جوبيروكب » ولم يكد يحل عام سنة ١٨١٠ الا وكان قد اخضع إمارات الحوصة كلها لنفوذه ، رافعا لواء الدين في تلك

المنطقة الشاسعة من غرب افريقيا .

وقد حرص عثمان على أن يولي على كل أقليم من الأقاليم المفتوحة عالما جليلا مشهودا له بالتقوى والورع وألزمه بالحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان الايمان الشديد يوحد بين صفوف أنصاره ، وتدفعهم الرغبة الملحة في رفع راية الاسلام إلى طلب الشهادة ، وكانت جيوش الفتح والجهاد تقرأ قبل الزحف آيات الجهاد وسورة « براءة » لتقوي من عزائمها . وقد ظهر طابعهم في التقشف والزهد منذ اللحظة الأولى .

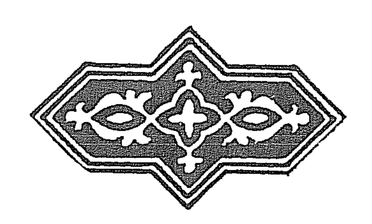
وكان عثمان على كثرة فتوحاته زاهدا في السلطة ، لا يطمع في ملك او سلطان . فبعد أن استتب الأمر لدعوته قسم الدولة بين ابنه « محمد » واخيه « عبدالله » ، وولى ابنه على المنطقة الشرقية وأخاه على القسم الغربي . أما عثمان نفسه فقد قنع بالزعامة الروحية للأمة متخذا من مدينة « سكت » مركزه الروحي .

كان عثمان في كل أفعاله يصدر عن غيرة شديدة على الدين ، تدفعه رغبة ملحة في إعادة المجتمع الاسلامي الى أصوله البسيطة ويسعى لاصلاح حال المسلمين واعادة حكم الأمة والجماعة ، فكان يشاور أصحابه في أعماله كلها كما التزم خلفاؤه من بعده بنظام البيعة الاسلامية . وقد دأب عثمان وأتباعه على تبصير الناس بأمور دينهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، يحطمون دنان الخمر ، ويكسرون آلات الطرب .

ولم تعتمد حركة عثمان بن محمد فودى في نشر الاسلام على الجهاد وحده ، انما قاموا بجهود مشكورة لنشر الاسلام بالطرق السلمية ، فكانوا يرسلون المعلمين إلى أقاصي البلاد لتعليم الوثنيين مبادىء الاسلام ، كما عمل اتباعه على دفع الحركة الاسلامية الى الأمام ، فانتشر الاسلام بفضلهم في جنوب نيجيريا ، وبهذه البلاد اليوم ملايين من المسلمين ، دخلوا في الدين على نطاق واسع بفضل هذه الحركة الاصلاحية العظمى .

ولعل من ابرز منجزات هذه الحركة الدينية الكبرى إعلاء شأن الثقافة العربية في غربي افريقيا ، فقد كانت دعوة تصحبها حركة علمية واسعة مبنية على دراسة اصيلة لعلوم القرآن الكريم والسنة . وقد ألف عثمان بن فودي نفسه نحو عشرين كتابا منها :

أصول الولاية ـ احياء السنة ـ بيان البدع ـ التصوف ـ علوم المعاملة .. الخ .





ان جوهر كافة البنوك كمؤسسات لتجميع المدخرات والموارد ، هو جوهر واحد ، لا فرق في ذلك بين بنوك اسلامية و بنوك لا اسلامية

وينحصر الخلاف بين البنوك الاسلامية والبنوك اللا اسلامية في امر واحد ، هو كيفية توجيه أو تشغيل هذه المدخرات والموارد . ومن هذا الفارق الوحيد تتشعب اوجه الخلاف المختلفة .

١ ـ واقع البنوك اللا إسلامية القائمة :

ان الدور الاساسي الذي تقوم به

البنوك القائمة ، هو انها تأخذ اموال غير المحتاجين والتي تتمثل لديها في الودائع تحت الطلب أو الحسابات الجارية والتي تمثل المورد الغالب للبنوك ، فتقوم باقراضها للمحتاجين سواء لغرض استهلاكي أم استثماري وذلك بفائدة ربوية تعود بأسوأ النتائج على الاقتصاد خاصة والمجتمع عامة .

فالثابت واقعيا ، ان اغلب موجودات البنوك هي ودائع جارية تحت الطلب يضعها اصحابها لدى البنوك بدون أية فائدة وذلك للسحب منها في أي وقت عند الاحتياج . والثابت واقعيا ايضا ، ان نسبة السحب من هذه الودائع محدودة ، بما يمكن البنوك بان تحتفظ بنسبة سيولة نقدية لاتتجاوز بحال من الاحوال ٣٠٪ من الودائع تحت الطلب لديها ، لتقرض الباقي وهو نسبة ٧٠٪ منها بفوائد ربوية .

ومؤدى ذلك ان حقيقة البنوك القائمة مجرد وسيط بين طرفين :

(١) طرف غير محتاج يأتمنها على أمواله دون ان تعطيه عادة أية فائدة .

(٢) وطرف محتاج تقرضه اموال غير المحتاجين وذلك بفائدة ربوية ترهقه وتستنفده .

فهي والحال كذلك وسيط مستغل لكلا الطرفين . فهي تنتهز فرصة الودائع تحت الطلب التي لا فضل لها فيها ولا تعطي عنها فائدة ، فتستفيد منها لصالحها فقط دون أصحابها الحقيقيين ، وبصورة بشعة للمحتاجين من المقترضين . فبدلا من أن تكون وسيطا نافعا متعاونا بين الذين لا يحتاجون من اصحاب الودائع الجارية والذين يحتاجون من طالبي القروض ، نجدها قد تحولت الى وسيط طفيلي مستغل بغير حق لكلا الفريقين .

ولقد آن الأوان للكشف للعالم أجمع عن وجهها القبيح المذكور ودورها المدمر للاقتصاد والمجتمع . وبالتالي العمل على ترشيد عملياتها مستهدين في ذلك بالشرع الاسلامي الذي يقفل كلية باب الاقراض الربوي فيحرمه بتاتا بالنسبة للجميع ويجرمه بأشد العقاب . ومن ثم لا يكون أمام هذه البنوك ، الا ان تستثمر الاموال الفائضة لديها في أوجه غير الاقراض الربوي .

٢ ـ المسئولية هي مسئولية الحاكم في كل بلد اسلامي :

ومتى استبانت حقيقة البنوك اللا إسلامية القائمة ، وانها وسيط مستغل مدمر للاقتصاد الوطني ، فانها تصبح حينئذ مسئولية الحاكم في كل بلد اسلامي بضرورة التدخل ، وذلك بتصحيح مسار هذه البنوك وترشيد عملياتها ، مستهدين في ذلك بشرع الاسلام بقفل باب الاقراض الربوي امامها ، باصدار نظام أو قانون يحرم عليها الاقراض الربوي الذي أذن فيه الاسلام منذ اربعة عشر قرنا بالحرب من الله ورسوله وجرمه بأشد العقاب .

وليس في ذلك أي مساس بحقوق مكتسبة لهذه البنوك ، وانما هو مجرد ترشيد لعملياتها . ذلك لأن هذه البنوك

لا فضل لها فيما تحصل عليه من ودائع تحت الطلب والتي تمثل اغلب موجوداتها ولا تلتزم ازاءهـا بأي عـائد ، بخـلاف الـودائـع لأجـل الاستثمارية .

ومن ثم فانه بتحريم الاقراض الربوي وتجريمه قانونا ، لن يكون امام البنوك القائمة ازاء المدخرات الفائضة لديها ، الا استثمارها في مشروعات تنمية حقيقية وذلك إما بمعرفتها مباشرة وإما بالمشاركة مع آخرين .

اننا لا نقول بمصادرة أو الغاء البنوك الربوية القـائمة في العـالم الاسلامي ، ولكننا نطالب بتصحيح مسارها وترشيد عمليـاتها ، بحيث تصبح كما يجب أن تكون وسيطا متعاونا ونافعا . لا كما هو حاصل اليوم - وسيطا مستغلا ومضرا .

وليس من سبب لذلك سوى وضع شاذ سايرنا فيه بوعي أو بغير وعي الرأسماليـة الاجنبية المستغلة . وهو الوضع الذي يمكن تصحيحه فورا إعمالا لشرعنا الاسلامي ، ودون المساس بأية حقوق خاصة مشروعة وانما تحقيق مصالح خاصة وعامة مؤكدة ، مما سيكون خطوة اسلامية رائدة سيتابعنا فيها عن اقتناع وتقدير العالم اجمع .

٣ ـ ماذا عن الاقراض :

واذا كنا قد انتهينا الى تحريم الاقراض بفائدة كبرت او صغرت لا فرق في ذلك بين بنوك اسلامية وبنوك لا اسلامية . فليس معنى ذلك امتناع البنوك عن الاقراض ، وهي حاجة ضرورية لا غنى عنها للجميع سواء كان القرض لغرض استهلاكي أم استثماري ..

بل لابد من الزام كافة البنوك قانونا بتخصيص نسبة مئوية تزيد أو تنقص حسبما تمليه ظـروف كل مجتمـع ويقدره ولي الامر . وذلك من حساب الودائع تحت الطلب لديها ، والتي ليس لها فيها أي حق مكتسب حيث لا تعطي عنهـا فـائـدة ولا يطلبهـا اصحابها ، فتصرف البنوك في حدود هذه النسبة وبـالشروط المقـررة ، قروضا حسنة أي بدون أية فائدة سوى مصاريفها الادارية ، يستوي في ذلك ما اذا كان مقدار القرض كبيرا لغـرض استثماري - أو صغيـرا لغرض استهلاكي .

واننا بذلك لا نلقي على البنوك ، سواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية عبئا جديدا أو تكلفها بخدمات خيرية ليست من وظيفتها ، ذلك أن البنوك أيا كانت اسلامية أو غير اسلامية ، تحصل على الودائع الجارية أو تحت الطلب . وهي التي تمثل موردهـا الاساسي وتبلغ بلايين البلايين ، دون ان تعطي لاصحابها غير المحتاجين لها أية فائدة . ومن ثم فانها بالمثل تلتزم بأن تعطي من هذه الودائع الجارية أو المدخرات الفائضة لديها للمحتاجين الى الاقتـراض سـواء لـغـرض استهلاكي أم استثماري ، دون ان تتقـاضى منهم أية فـائـدة سـوى مصاريفها لخدمة وتحصيل الدين ،

والتي لا تتجاوز بأي حال نسبة ١,٥٪ من قيمة القرض باعتبار حساب .. ايضا .. تكاليف الضمان أو التأمين عليه .

٤ ـ هل بقفل باب الاقراض الربوي تصبح البنوك القائمة اسلامية :

الجواب بالنفي ، ذلك أنه حتى بعد ترشيد عمليات البنوك القائمة بقفل باب الإقراض الربوي أمامها بقوة القانون ، وبالتالي تصحيح مسارها لتكون بنوكا استثمارية لا تعمل الا في مجال الاستثمار ، سواء استقلت هذه البنوك بأوجه الاستثمار أم شاركت فيه الآخرين .

فانه رغم ذلك ستظل هناك فوارق عديدة بين هذه البنوك والبنوك الاسلامية ذلك لأنه :

أ ـ ستظل البنوك اللا اسلامية ، رغم تصحيح مسارها بقفل باب الاقراض الربوي لا تستهدف سوى الربح . بينما البنوك الاسلامية تستهدف في الدرجة الاولى نفع المجتمع ثم الربح ثانيا .

وعليه فانه اذا كان المجتمع يحتاج الى مصنع خبز لا يحقق سوى ربح بسيط ، فأن البنك الاسلامي يلتزم باقامة هذا المشروع . بينما البنك اللا اسلامي حتى بعد ترشيد عملياته وتصحيح مساره . سيظل يسعى الى المشروع الاستثماري الذي يحقق له أكبر فائدة كاقامة مصنع عطور وان لم يشبع سوى احتياجات اقلية مترفة .

ومؤدي ذلك ان البنك الاسلامي حتي في نشاطه المشروع ، ليس حرا في ذلك شأن البنك اللا اسلامي ، وانما هو بحكم الشرع الاسلامي ، ملتزم باعطاء الاولوية للمشاريع الضرورية التي يتطلبها المجتمع ، وان لم تحقق له سوى عائد محدود . ومن هنا يتبين بجلاء دور البنك الاسلامي في مجال التنمية الاقتصادية .

ب ـ انه حتى لو وجدت بين البنوك القائمة ، بعد تصحيح مسارها بقفل باب الاقراض الربوي ، من يقصر نشاطه على مشاريع التنمية الاقتصادية التي يحتاجها المجتمع كمشاريع الاسكان والصناعات الغذائية والملابس .. الخ .

فانه رغم ذلك يظل الفارق قائما بين البنك الاسلامي والبنك اللا اسلامي . ذلك ان البنك الاسلامي بحكم الشرع ، يلتزم سنويا بالاضافة الى التزاماته الضريبية ، باداء الزكاة الا للمحتاجين في الحي أو المنطقة التي يوجد بها مقر البنك ، سواء في صورة إعانة نقدية لهؤلاء المحتاجين أم في صورة خدمات عينية تقدم لهم بحسب ما يكون مناسبا ومحققا للغرض .

ومن ذلك يتبين الدور الإضافي والالزامي في نفس الوقت ، والذي يؤديه البنك الاسلامي في مجال التنمية الاجتماعية والضمان الاجتماعي ، مما ينفرد به ويميزه عن سائر البنوك اللا اسلامية ، وذلك حتى بعد العمل على ترشيد عملياتها وتصحيح مسارها .

ج ـ وفوق كل ما تقدم ، ورغم تصحيح مسار البنوك القائمة بقفل باب الاقراض الربوي امامها ، فانه سيظل للبنوك الاسلامية ولكافة العاملين بها بل وجميع المتعاملين معها وضع خاص متميز وهو تلك الصفة التعبدية أو الروحية التي تتسم بهاجميع المعاملات مع البنوك الاسلامية .

ذلك انه في مجال النشاط المصرفي الاسلامي ، يلتزم الجميع بحدود وأوامر الله تعالى ، مبتغيا بنشاطه وجهه سبحانه ورضاه ، أي الاستقامة والعدل لا الاستغلال لمجرد الربح ، الامر الذي يشيع بين جميع اطراف التعامل الرضا وسلامة التصرف باخلاص النوايا ، وفي المحصلة يشيع السعادة والسلام في المجتمع سواء على المستوى المحلي أم العالمي .

٥ ـ ما المطلوب ؟ :

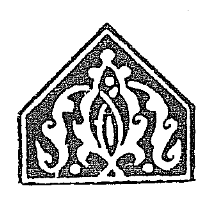
بقي ان نؤكد انه لا اسلام ولا شرع .. ولا أمن ولا تنمية حقيقية .. بل ولا إصلاح ولا اخلاق ، مع قيام نظام الاقراض بفائدة في أي مجتمع ، مسلما كان هذا المجتمع أم غير مسلم .

لذلك فاننا نطالب الحاكم في كل دولة في العالم ، الاسلامي ، بأن يبادر بتصحيح مسار البنوك القائمة وترشيد عملياتها وذلك بما يأتي : ـ

أولا : **بقفل باب الإقراض الربوي أمامها بقوة القانون** ، مما سيؤدي حتما بهذه البنوك الى سلوك طريق آخر غير هذا الطريق السهل عليها ، المدمر للمجتمع ، وذلك باستثمار أموال المدخرين لديها في أوجه اخرى مشروعة ، مما يؤدي الى زيادة الانتاج والى التنمية الحقيقية .

ثانيا : **بتخصيص نسبة معينة من السيولة النقدية المتوفرة لديها** ، وذلك للاقراض بدون أية فائدة سوى تكاليفها لخدمة وتحصيل الدين ، لا فرق في ذلك بين قرض استهلاكي أو استثماري . الامر الذي سيشيع من ناحية روح التكافل بين افراد المجتمع . ومن ناحية اخرى ييسر للمستثمرين الحصول على ما يحتاجونه من أموال دون أعباء أو فائدة ربوية ، فلا يحملونها انتاجهم وتنخفض بذلك اسعار المنتجات وتتوافر السلع ويتلاشى التضخم .. الخ من المصالح والمنافع التي استهدفها الشرع الاسلامي منذ أربعة عشر قرنا حين أذن بحرب من الله ورسوله على كل من يقرض بفائدة ، وجعله من أكبر الكبائر وجزاء من يمارسه جهنم معذبا فيها ابدا .

الا هل بلغت ... اللهم فاشهد





لا تخلو الحياة من متاعب ومشقات ، ومدار أيامها على المحن والآلام ، وقد جعل الله ـ جلت حكمته ـ هذه المحن محكا للعزائم واختبارا للهمم ، وكلما سمت منزلة الانسان زاد مقدار ما يتعرض له من صعاب ، مصداقا للحديث الشريف الذي رواه أحمد في مسنده : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ـ .

وقد ورد عن أحد الشعراء الحكماء قوله :

وقائلة لم عرتك الهموم   وأمرك ممتثل في الأمم ؟
فقلت ذريني على حالتي   فان الهموم بقدر الهمم

ولأحد الشعراء الفرنسيين عبارة نقشت تحت صورته : « لا يصنع الانسان العظيم الا ألم عظيم » .

واذا استعرضنا سيرة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ، هالنا مقدار ما تعرضوا له من محن أعانهم الله عليها ورزقهم حسن الصبر والاحتساب حتى اجتازوها بنجاح ، وكأن ذلك أمر مقدور على كل ذي شأن لا بد أن يتوقعه ويوطن نفسه عليه ، والمولى ـ عز وجل ـ يخاطب صفيه ـ صلى الله عليه وسلم قائلا : (**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**) الأحقاف/ ٣٥ ويقول في حق المؤمنين : (**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**) العنكبوت/ ٢ .

ويخاطب المؤمنين ليكون كل منهم على أهبة الاستعداد لما سوف يتعرض له من بلاء قائلا لهم : (**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك**

من عزم الأمور) آل عمران/١٨٦ ، ويعلمهم أن دائرة البلاء غير محدودة ولكنها تتسع لألوان وأصناف لا يعلمها الا الله : **(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجـوع ونقص من الأموال والأنفس والثمـرات وبشر الصابـرين)** البقرة/ ١٥٥ .

وبما ان العلماء ورثة الأنبياء فقد كانت المحن التي تعرضوا لها شديدة ضارية متنوعة على حسب استعداداتهم وأقدارهم وسأحاول بتوفيق الله وعونه تقديم ألوان من هذه المحن التي تعرض لها العلماء في عصورهم المختلفة ، وكيف اجتازوها بصبر وثبات لعل ذلك يكون أسوة للعلماء وطلاب العلم في عصرنا الحديث .

صور من المحن :

أ - لعل من أنواع المحن التي يتعرض لها العلماء في أنفسهم شعورهم بالتبعة الملقاة على عواتقهم ازاء مجتمعهم الذي يعيشون فيه ، وهم لاستنارة عقولهم وما ورثه الله اياهم من العلم ، يحاولون ان يصنعوا الصورة المثالية للحياة أمام الناس عن طريق القدوة الطيبة ويقوموا بمهمة التذكير والتنبيه في دأب واجتهاد . وناهيك بما يصحب ذلك من مشقة وعناء ، وبخاصة حين تستشري المادة ويغلب الترف وتسود الغفلة ويضعف الوازع الديني ويغفو الضمير . فالعالم الحق المتيقظ لرسالته يؤمن بأن عليه واجبا ومسؤولية هي بذاتها امتداد لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم الذي لقي في سبيل هداية الناس ما لقي من تعب ونصب . والعالم هو أول من تلقى عليه مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا للحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

ب - وفي هذا المجال يجد العالم نفسه ملزما بالدفاع عن الحق مهما لقي في سبيل ذلك من أذى ، وعليه أن يجهر بكلمة الحق أمام أولي الأمر ولو كلفه ذلك ما كلفه ففي الأثر الحكيم ان من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

جـ - وان من أصعب ألوان المحن التي يتعرض لها العلماء أن يجدوا أنفسهم أمام تيار فاسد يضطر بعضهم الى الانحناء له حتى لا يجرفهم في طريقه ، وبخاصة اذا كان هذا التيار يؤيده صاحب السطوة ويقويه السلطان . وفي كتاب كليلة ودمنة قال بيدبا الفيلسوف لتلاميذه : ما معناه : ان الأقوياء لهم سورة كسورة الشراب لا يفيقون منها الا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء فالواجب على أولئك أن يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على هؤلاء تقويم الأقوياء بألسنتهم وتأديبهم بحكمتهم واظهار الحجة البينة عليهم . ثم قال : وقد كرهت أن أموت وما بقى على الأرض الا من يقول : انه كان « بيدبا » الفيلسوف في زمن حاكم طاغ فلم يرده عما كان عليه .

د - ويدخل في نطاق ذلك الموازنة بين الدين والدنيا ووجوب التنبيه على ايثار الآخرة على الأولى ، والنفوس بطبيعتها ميالة الى الواقع الملموس مقبلة عليه نائية

عن الأجل الموعود معرضة عنه . وهناك صور أخرى للمحن ستعرض في أثناء الحديث ان شاء الله .

أمثلة من الممتحنين :

١ ـ تلك الصور المتقدمة يضاف اليها ما يلقاه العالم من انات وتعذيب بسبب ما يعتقده مثلا .

أ ـ وأما منا هنا الامام احمد بن حنبل الذي أوذي في فتنة القول بخلق القرآن ايذاء شديدا وقد أثار المعتزلة في عصر المأمون هذه الفتنة وحاول المأمون أن يأخذ الناس بها ويجبر العلماء في عصره على اعتقادها ، وقد جاراه بعض العلماء خوفا من بطشه « كما يقول الدكتور محمد هدارة في كتابه عن المأمون » ولكن الامام أحمد بن حنبل صمد لضراوة الامتحان وعذب في ذلك وسجن وضرب بالسياط ، لأنه وجد في القول بها مخالفة لما يعتقده من أن القرآن كلام الله وكلام الله صفته ، وصفات الله قديمة وأزلية لا ينبغي القول بخلقها وحدوثها .

واصرار العالم على صحة ما يعتقده يقطع دابر الفتنة ، ولو صبر جميع العلماء الذين استدعاهم المأمون في هذه المحنة على ما امتحنوا به لما اتسع الخرق ولما استمرت هذه الفتنة سنين طويلة حتى أخمدت في عصر المتوكل على الله .

ب ـ وربما اتصل بالعقيدة على نحو ما ، ما يراه العالم فتنة له عن المضي في طريق الحق الذي يعتقده ، وصرفا له عن التزام الجادة التي يسير عليها ، أو تحسبا لما عساه أن يوقعه في براثن الخطأ في التطبيق أو الحكم بالعدل أو الميل الى الهوى ، فهو لذلك يرفض القضاء ويمعن في الرفض ولو أجبر على ذلك ، وقد يمتحن بالتعذيب ويصبر . كما حدث بالنسبة للامام أبي حنيفة رضي الله عنه حينما عرض عليه القضاء . فقد رأى القضاء بالنسبة له تجربة قاسية أولى به الا يخوضها . وقد عرض عليه القضاء في أيام الأمويين فرفضه بشدة فضربه « مروان بن محمد » آخر خلفاء بني أمية مائة سوط وعشرة أسواط . كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى « مروان » اصراره طيلة الأحد عشر يوما خلى سبيله وكان ابن حنبل « رضي الله عنه » اذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة .

وفيما يرويه « ابن خلكان » في كتابه « وفيات الأعيان » ما نصه : نقل « المنصور » أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد وأراده على أن يوليه القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعلن فحلف « أبوحنيفة » الا يفعل وقال : اني لن أصلح للقضاء فقال « الربيع بن يونس » حاجب «المنصور» : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف ؟ فقال «أبو حنيفة» : أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني ، فأمر به الى الحبس في الوقت .

ويروى أنه مات بالحبس في خلافة المنصور .

جـ ـ ومن أمثلة الابتلاء بسبب العقيدة ما حدث للمحدث العظيم أبي عبد الرحمن

احمد بن علي النسائي صاحب كتاب السنن المشهور ، وكان قد سكن مصر وانتشرت بها تصانيفه وأخذ عنه الناس .

وحين انتقل الى دمشق وجد الناس ينحرفون عن علي بن أبي طالب ويقعون فيه فأراد أن يبين لهم فضله ، وألف في ذلك كتاب « الخصائص » في فضل علي بن أبي طالب وأهل البيت وأكثر روايته فيه عن « أحمد بن حنبل » .

وكان هدفه من ذلك على ما روى في كتابه ان يهدي الله الناس بسببه ، ولكن التعصب يعمي العيون عن ادراك الحق ، فتعرض النسائي لحملة شعواء لم تقف عند حد القذف بالكلام ، بل تجاوزتها الى الاعتداء بالضرب والركل فما زال يضرب ويدفع خارج المسجد حتى أشرف على التلف، وقال : احملوني الى مكة ، فحمله بعض المقربين اليه ، ولكنه مات متأثرا بما لقيه في الطريق عند الرملة ، وقيل : بل مات في مكة عقب وصوله اليها سنة ثلاث وثلاثمائة .

٢ ـ المحنة بسبب الرزق :

وقد تكون محنة العالم في رزقه ، فيبتلى بضيق ذات اليد وتأبى كرامته أن يمتهنها بإراقة ماء الوجه وهذه بعض أمثلة لهؤلاء العلماء الذين أرهقتهم الفاقة وأضر بهم الفقر .

أ ـ من هؤلاء محمد بن أبي محمد بن ظفر العالم النحرير الملقب بحجة الدين . وهو مكي الأصل وسكن الشام في الشطر الأخير من عمره وأقام بحماة ، وأمه الطلبة من كل مكان وصنف تصانيف رائعة وفسر القرآن تفسيرا جميلا في مصنف سماه الينبوع ومات بحماة سنة ٥٦٨هـ . خوطب نور الدين زنكي في تقرير رزق له يستعين به على افادة العلم ، فأطلق له في الشهر ما لا يفي بحاجته ، وبقى في الفقر شطر عمره وقيل : انه زوج ابنته من الحاجة لغير كفء لها ، ثم ان الزوج رحل بها عن حماة وباعها ببعض البلاد . ولابن ظفر شعر يدل على حاله منه .

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه افتقاره فقد قل فيما يرجيه نصيبه

ب ـ ومن العلماء الذين ذاقوا مرارة الفقر والحرمان « العماد الاصفهائي » الكاتب صاحب كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، وكتاب محاضرات الادباء وغيرهما من الكتب الممتعة .

لقد ابتلى العماد بالفقر في الوقت الذي نال بأدبه الكثيرون من المتأدبين علية الدنيا . يقول ابن خلكان : تعلق العماد بالوزير يحيى بن هبيرة ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ، فلما مات الوزير تشتت شمل أتباعه والمنتسبين اليه ونال المكروه بعضهم فأقام العماد مدة في عيش منكد وجفن مسهد .

وحين ابتسم الدهر له التحق بخدمة السلطان « نور الدين » لم يلبث أن تجهم

له مرة اخرى بوفاة هذا السلطان واضطر تحت وطأة المضايقات الشديدة الى ترك ما كان في يده وهجر مقر اقامته الى الموصل ، حيث تعرض لمحنة مرضية قاسية لطف الله به فيها وعافاه منها .

جـ - وربما بلغ هذا الضيق في الرزق حدا يقضي على صاحبه . فقد حدثوا عن الاخفش الاصغر « أبو الحسن علي بن سليمان » المتوفى سنة ٣١٦هـ انه كان يواصل المقام عند « أبي علي بن مقلة » وأبو علي يراعيه ويبره ، فشكا اليه في بعض الايام ماهو فيه من شدة الفاقة وزيادة الاضاقة ، وسأله أن يكلم الوزير « أبا الحسن علي بن عيسى » في أمره ويسأله اقرار رزق له في جملة من يرزق من أمثاله ، فخاطبه « ابو علي » في ذلك وعرفه اختلال حاله وتعذر القوت عليه في أكثر أيامه فانتهره الوزير في مجلس حافل ، فشق ذلك على « أبى علي » وقام من المجلس لائما نفسه على سؤاله . ووقف « الاخفش » على ماحدث فاغتم وانتهت به الحال الى أن مات فجأة في التاريخ المذكور .

الامتحان بالحسد :

٣ - وقد يكون الامتحان بالحسد ، وهو أقسى أنواع الامتحان مصداقا لقول القائل :

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

وهذه أمثلة من هذا الامتحان الرهيب .

١ - تعرض القاضي « احمد بن أبي دؤد » وقد بلغ في الفقه والعلم منزلة كبرى رفعته في نفوس الخلفاء العباسين وكان كل من المأمون والمعتصم والواثق بالله والمتوكل على الله يجلونه اجلالا عظيما حتى قال « الازون بن اسماعيل » ما رأيت احدا قط اطوع لاحد من المعتصم لابن أبي دؤاد . وكان المعتصم « يسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ثم يدخل عليه « ابن أبي دؤاد » فيكلمه في أهله وأهل الثغور والحرمين وأقاصي أهل المشرق والمغرب فيجيبه الى كل مايريد .

فلا غرابة أن يتعرض لحسد الحاسدين ومنهم الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات فقد حمل على « ابن دؤاد » حملات شعواء وحاول أن يفسد مابينه وبين الخليفة وكان يضيق عليه حتى لقد منع من كان يقوم بقضاء حوائجه من التردد عليه .

ب - ومن أمثلة الامتحان بالحسد ما تعرض له سيبويه إمام النحويين من حسد الكسائي حتى أوردة حتفه .

وقد اشتد الخلاف بينهما في مسألة تعرف بمسألة الزنبور ، وعبارتها : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي .

قال الكسائي : فاذا هو إياها ، وقال سيبويه : فإذا هو هي . واحتكما الى الأعراب الذين جمعهم الكسائي بباب الرشيد وأغراهم . فصوبوا لفظ الكسائي دون أن

ينطقوا به .

فخرج سيبويه وصرف وجهه تلقاء فارس ومات هناك غما وحزنا . وقال وهو يجود بنفسه :

يؤمل دنيا لتبقى له   فمات المؤمل قبل الأمل
حثيثا يروى أصول الفسيل   فعاش الفسيل ومات الرجل

٤ ـ وهناك ألوان أخرى من المحنة تعرض لها بعض العلماء بسبب عدوان خارجي .

أ ـ من ذلك ما امتحن به أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفى سنة ١٠٢٥ هـ . وهو صاحب الكتاب القيم « درة الحجال في أسماء الرجال والذي يعد تكملة لكتاب وفيات الأعيان . .

وقصة هذه المحنة أن ابن القاضي وهو في طريقه الى الحج أسره القراصنة الأسبان وأذاقوه النكال الأليم والبلاء العظيم وظل في وثاق الأسر فترة طويلة أفتداه السلطان أبو العباس المنصور صاحب المغرب وكانت له بابن القاضي معرفة وثيقة فافتداه بمبلغ كبير يعدل عشرين ألف أوقية من الذهب ، ويدل ذلك على عظيم منزلة ابن القاضي وعلو مكانته ، وقد مكث في الأسر أحد عشرا شهرا . ذكر ذلك محقق كتابه درة الحجال الدكتور محمد الأحمد أبو النور في مقدمة التحقيق وقد أثمرت هذه الفترة بالنسبة لابن القاضى ثمارا بالغة فقد ألف خلالها كثيرا من كتبه القيمة ويدل ذلك على أن المحنة قد تصير منحة بلطف الله تعالى وعلى أن الخير قد يأتى من الشر ومع العسر يكون اليسر .

ب ـ وتعرض كثير من العلماء لمحنة قاسية حين اجتاح المغول الأراضي الاسلامية فبطشوا بمن وجدوه ينبه المسلمين لواجبهم أو يتصدى لهم بالجهاد . وممن استشهدوا على يد هؤلاء المستعمرين المدمرين العلامة الشيخ يحيى بن يوسف الصرصري الضرير العالم الشاعر والعلامة أستاذ دار الخلافة ببغداد محيي الدين يوسف ابن الجوزي وأولاده وغيرهم وكان ذلك في سنة ٦٥٦ هـ . ولم يقف هذا البطش عند حدود التخلص من العلماء وقتلهم وتعذيبهم بل تعداهم الى آثارهم العلمية العظيمة ، فألقوا بالكتب والمؤلفات في النهر حتى اسود من الحبر وجعلوا منها معبرا يعبرون عليه ، فضاع بذلك علم غزير وآثار نادرة .

٥ ـ المحنة الحقيقية :

الا أن المحنة الحقيقية التي يمتحن بها العالم هي المحنة التي يتردد فيها بين علمه وعمله وحيرته التي يشعر بها حين يعسر عليه التطبيق العملي لما يتعلمه ، فالعالم الحق هو الذي يعمل بعلمه وليس هو ذلك الذي يباهي بكثرة ما علم .

وبعض العلماء يهمهم هذا الأمر حتى يكاد يصيبهم بالهلع ويسلمهم الى اليأس فهم يعلمون أن عالما بعلمه لم يعمل به معذب قبل عباد الوثن . وربما تخلى بعضهم

عن تأليفه فأتلفها وتخلص منها حتى لا تكون شاهد صدق عليه يوم القيامة . وقد يكون مرد ضيقه أيضا شعوره بأن تآليفه غير مجدية أو أن سوقها كاسدة أو أنها لا تجد من يفهمها ويقدرها حق قدرها وقد عبر عن ذلك المعنى بعضهم قائلا :

غـزلت لهم غـزلا رقيقـا فلما أجـد لغـزلي نسـاجـا كسـرت مغـزلي

وربما كان الخوف من الاغترار بهذا العلم من تلك التآليف من المحن التي يتعرض لها العلماء ولا شك في أن العلم نعمة وقد يبتلى الله بعض القوم بالنعم وقد ورد في الأثر : منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال . والغرور تلف والوقوف معه بوار .

وقد يكون المثل لهذا اللون من المحن واضحا في أبي حيان التوحيدي وهو علي بن محمد بن العباس ، كان متفننا في جميع العلوم واسع الدراية والرواية وله مؤلفات شتى كلها نافع وتدل على علم غزير . أحرق أبو حيان كتبه في آخر عمره لقلة جدواها في نظره وضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته ، وقد لامه في ذلك بعض العلماء وكتب اليه في ذلك فرد عليه أبو حيان قائلا ضمن رسالة أوردها ياقوت الحموى في كتابه معجم الأدباء ج ١٥ : أن العلم يراد للعمل كما أن العمل يراد للنجاة فاذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلا على العالم وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلا وصار في رقبة صاحبه غلا .. على أني جمعت أكثر هذه العلوم للناس ، وطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة علي لا لي ، ومما شحذ العزم على ذلك أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبًا ورئيسا منيبا فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها . ثم قال : ولي في احراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ، منهم أبو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ودفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر . وهذا داود الطائي وكان من خيار عباد الله وهدا وقفها وعبادة طرح كتبه في البحر وقال يناجيها نعم الدليل كنت والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول ، وهذا يوسف بن اسباط حمل كتبه الى غار في جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : دلنا العلم في الأول ثم كاد يضلنا في الثاني فهجرناه لوجه من وصلناه ، وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار وقال : والله ما أحرقتك حتى كدت احترق بك ، وطير سفيان الثورى في الريح ألف جزء بعد أن مزقها . وأما أبو سعيد السيرافي فقال لولده محمد يوصيه : قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل فاذا رأيتها تحرمك فاجعلها طعمة للنار .. الى آخر ما جاء في رسالة أبي حيان التي دونها بتمامها ياقوت في معجم الأدباء ليرجع اليها من شاء . ومع ذلك فقد بقى أبو حيان في التاريخ العلمي والأدبي مذكورا مشهورا وفقدان بعض كتبه لم يؤثر على مكانته العلمية المشهورة . وبعد ، فهذه أمثلة مما تعرض له العلماء من تجارب ومحن علينا أن نتأملها ونذكر معها فضلهم وعلمهم وثباتهم وما قدموه للأجيال التي جاءت بعدهم من مثل قيمة وآثار خالدة .

السراج المنير

للدكتور/عز الدين علي السيد

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا »

كانت الشمس .. وكان الكون دجيان السماء
جئت يا خير البرايا فاكتسى الكون البهاء
أنت شمس الشمس إشراقا وبذلا للعطاء
سوف تفني الشمس يوما وعلى الدنيا العفاء
ومحياك بأفق الخلد موفور البهاء
فعليك الله يا خير الورى صلى وسلم

●●●

كان نور الأفق أعمى والعمى ملء العيون
جئت يا خير البرايا آسيا مس الجفون
فاجتلت آيات حسن طاهر بر حنون

أنت نور النور .. كم مرت على النور السنون
ما شفي مرضي قلوب غالها ريب المنون
فعليك الله يا خير الورى صلى وسلم

●●●

كان حسن الكون مرآة ثوت تحت الضباب
لا ترى الأعين فيها غير شك وارتياب
جئت تجلوها بدين يكشف السر العجاب
أنت حسن الحسن لو لم تأتها طم العذاب
حين شرفت البرايا طرح الحسن النقاب
فعليك الله يا خير الورى صلي وسلم

●●●

جئت والكفر جسور مدلهم الوجه أعتم
وعلى الرسل جناة كلهم أدهى وأظلم
حرفوا الوحي وضلوا بالهوى والوحي أحكم !
جئت تحيي الرسل في دين لأهل الأرض يرحم
جئت يا خير البرايا للهدى والحق توأم
فعليك الله يا خير الورى صلي وسلم

●●●

كان للشيطان غرس بشذى السحر يفوح !
يجذب الخلق عليه الكل يغدو ويروح
شوكه يدمي قلوبا ما تبالي بالجروح
تعبد الاثم .. ولو تدري على النفس تنوح !
فبعثت النور يجلي الشر عن قلب وروح !
فعليك الله يا خير الورى صلي وسلم

●●●

معجز نورك يغشي الناس طرا لا يبارى
لس الكون وأهل الكون ضلال سكارى

فصحوا لله عبادا يشيدون المنارا
ينشرون العدل في الدنيا ويهدون الحيارى
يرفعون الرأس بالايمان مجدا وفخارا
فعليك الله يا خير الورى صلى وسلم

●●●

كل قرم كان في الكفر عنيد القلب يزأر
لمس القرآن منه الروح في أسر فكبر !
وجرى في القلب منه النور فاستل وطهر
فغدا فيلق نصر للهدى يغزو فيقهر !
والسراج الحي فيهم قائد الأرواح يبهر !
فعليك الله يا خير الورى صلي وسلم

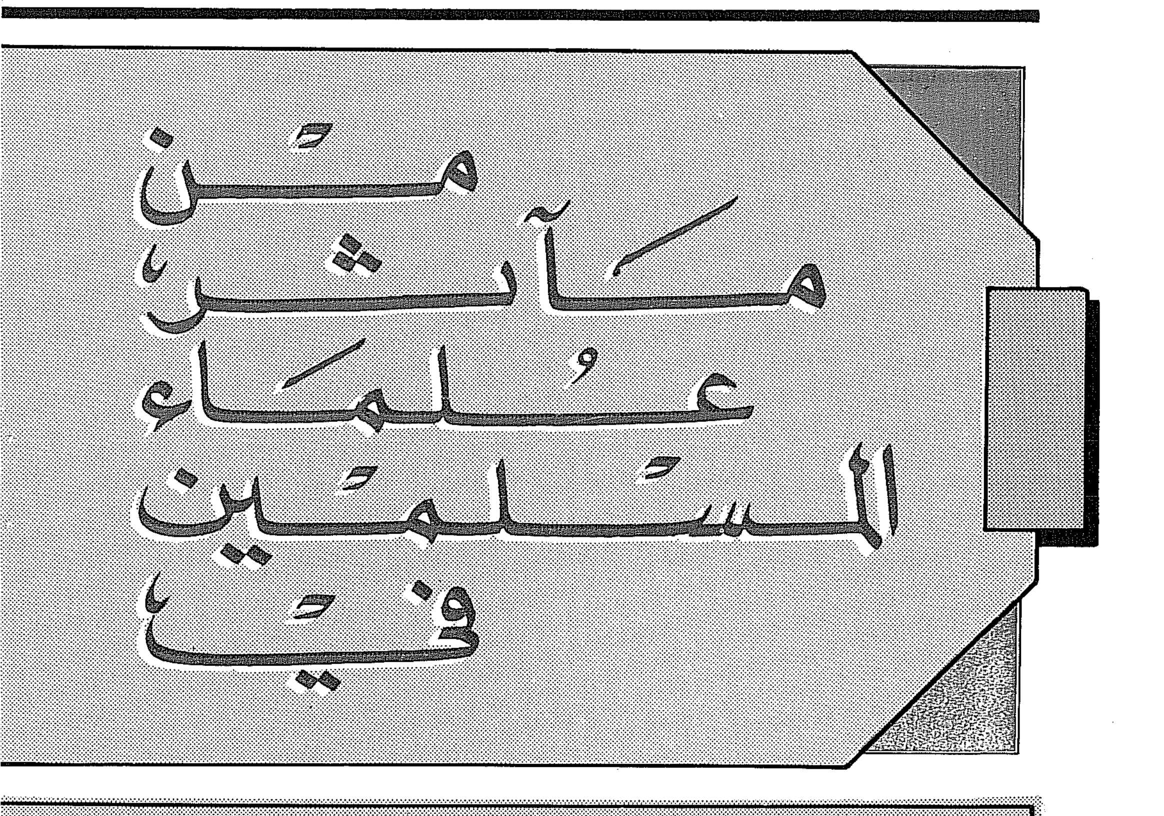
●●●

أي قوم نحن إن قسنا على الماضي قوانا ؟
أي قوم نحن ؟ هنا ! فرمانا من رمانا !
أوغاب النور عنا فعمينا عن هدانا ؟
لم يغب نورك لكنا غرقنا في هوانا !
فاتخذناه إلها ضل عنا .. ما حمانا !!
فعليك الله يا خير الورى صلي وسلم

●●●

أيها المسلم قد كنت أعز الناس مجدا
نور الدنيا وأعلى بالهدى صرحا وبندا
وغزا كالشمس غلفا من قلوب تتردى
فانبرت للحق تبني .. وغدت لله جندا !
يا رسول الله .. صرنا كالحصى ذلا وعدا !
فعليك الله يا خير الورى صلى وسلم

●●●



لا أعتقد أن المرء يكون مبالغا إذا قال إن الحضارة الاسلامية التي ازدهرت إبان العصور الوسطى كانت هي السبب في التطور الحضاري الكبير الذي شهده العالم المعاصر ، فما كان للمدنية الحديثة ان تشب وتزدهر في اوروبا لو لم تستند إلى أساس متين من التراث العلمي الذي قام المسلمون بنقله لأوروبا من خلال الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط وإبان الحروب الصليبية .

لقد ترجم المسلمون كل ما وقعت عليه أيديهم من علوم الاغريق والفرس والهنود ، ولم يكتفوا بذلك فحسب ، بل بعثوا فيما ترجموه الحياة ، ومزجوه مزجا رائعا بما يخدم دولة الاسلام وبما يتلاءم مع شريعة التوحيد ، ودعوة القرآن إلى التدبر في ملكوت السماوات والأرض : (**قل انظروا ماذا في السماوات والأرض**) يونس/١٠١ .

ولو كان المسلمون قد اكتفوا فقط بنقل تراث الحضارات السابقة ، ولم يضيفوا إليه إبداعهم لكان ذلك كافيا للدلالة على عبقريتهم ، إذ أن العبقرية كما تقاس بالقدرة على الابتكار والابداع فإنها تقاس كذلك بالقدرة على فهم واستيعاب



للمهندس/محمد عبدالقادر الفقي

ما يبتكره الآخرون ، وقد استطاعت أمة الاسلام أن توجد لنفسها جوا ثقافيا وطقسا حضاريا كان له أكبر الفضل في تفجير ينابيع الثقافة والحضارة في الغرب .

ولو أردنا الدلالة على ذلك لاحتاج الأمر إلى كتابة مجلد ضخم ، ولكننا سنكتفي في هذا المقال بمثال واحد هو علم الفلك ، ذلك العلم الذي اطلع المسلمون عليه فيما خلفه الأقدمون من تراث علمي وصل إلى أيديهم ، فأعمل فيه علماء المسلمين عقولهم ، وتوسعوا في النزر اليسير من المعلومات التي بلغتهم من هذا العلم ، وجمعوا بين مذاهب اليونان والكلدان والسريان والفرس وبين ما تفتقت عنه أذهانهم ، وكان دافعهم إلى ذلك حاجتهم الدينية إلى تعيين الأوقات للصلوات ومعرفة الأهلة وأوائل الشهور القمرية للصيام والعيدين ، وغير ذلك من دواعي التأمل في خلق الله ، انطلاقا من قول الحق عز وجل : (**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**) آل عمران/ ١٩٠ و١٩١ .

القرآن الكريم يلفت الأنظار إلى الفلك :

دعت آيات القرآن الكريم المسلمين إلى النظر في عالم الأفلاك والنجوم والكواكب والأقمار : (**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**) الأعراف/ ١٨٥ .
(**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**) يس/ ٣٨ ـ ٤٠ .
(**الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى**) الرعد/ ٢ .
(**وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**) الأنعام/ ٩٧ .
(**هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق**) يونس/ ٥ .

بين الفلك والتنجيم :

إن الحديث عن علم الفلك عند المسلمين يجب ألا يجرنا إلى الحديث عن التنجيم ، فالأول علم مقنن له قواعده وأصوله وأسسه ، أما الأخير فإنه مزاعم وخيالات لا أساس لها ولا سند من الصحة أو الحقيقة ، لأنه يعتمد على التضليل والتدليس والتخمين ، أو إن شئت فقل إن التنجيم ما هو إلا افتراءات يضلل بها الشيطان أتباعه ليكونوا من أصحاب السعير .

أقول ذلك حتى لا يختلط الأمر على الإخوة القراء ، وحتى لا يقع المرء في حيص بيص حين يرى منجّما أفاقا يدعى أنه فلكي ، أو حين يقرأ في احد كتب التراث أن علما ما من أعلام العرب كان منجما ، لقد خلط القدماء والمحدثون بين اللفظتين : الفلك والتنجيم ، واعتقد أنه من الأفضل التفرقة بينهما حسب الغاية المنشودة من كل منهما ، فالفلك هو العلم بأماكن النجوم والكواكب والأجرام السماوية ، ودراسة أحوال هذه الأجرام ومساراتها ومكوناتها ، أما التنجيم فهو ليس بعلم ، وإنما هو قراءة الطالع عن طريق متابعة حركة الكواكب ومنازلها في بروج السماء ، ومراقبة أوقات ظهورها ، وقد « كذب المنجمون ولو صدقوا » .

ولا أنكر أن بعض مدعى العلم من أجدادنا قد اشتغلوا بمهنة التنجيم ، خاصة في الفترات التي ضعف فيها شأن المسلمين وتدهور مستواهم العلمي خلالها ، نظرا لابتعادهم عن المنهج الاسلامي القويم ، وعن تعاليم القرآن والسنة النبوية المكرمة .

علماء المسلمين والفلك :

بدأ اهتمام علماء المسلمين بعلوم الفلك منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري تقريبا ، ومن أشهر علمائهم في هذا المجال : ثابت بن قرة ، والبتاني ، والكندي ، والبوزجاني ، وابن يونس ، والبيروني وابن رشد ، والقزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ ، ومؤلف كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) ، وهو العلامة الذي كان يرى « أن الأرض كروية وأنها تدور على نفسها ، وأن ما نشاهده من حركة الكواكب والنجوم في السماء ليس راجعا إلى دوران تلك النجوم على ما نرى بأعيننا ، بل الى دوران الأرض على محورها « ونحن عليها » فيخيل الينا ان الكواكب والنجوم تجري في السماء على ما ألفنا كما يقول عمر فروخ في كتابه « تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون » .

ولم يكتف القزويني بالحديث عن حركة الأرض والكواكب والنجوم ، وإنما تناول في كتابه السابق الاشارة إليه الحديث عن حركة المجرة ، كما أورد في نفس الكتاب تحليلا علميا دقيقا لأوجه القمر وأسباب الخسوف والكسوف ، وسوف ننقل هنا بعض الفقرات من كتابه « عجائب المخلوقات » لكي نميط اللثام عن عبقرية السلف ، وكيف كان المسلمون الأوائل لهم أفضل الأيادي في دفع عجلة العلم والحضارة قدما إلى الأمام .

يقول القزويني :

« ووجه القمر الذي يواجه الشمس مضيء أبدا ، فإذا كان القمر قريبا من الشمس كان الوجه المظلم مواجها للأرض ، فإذا بدأ القمر بالابتعاد عن الشمس إلى المشرق ، وبدأ ميل النصف المظلم من الجانب الذي يلي المغرب الى الأرض ، ظهرت من النصف المضيء « المواجه للشمس » قطعة هي الهلال ، ثم يتزايد الانحراف ، وتزداد بتزايده القطعة « التي تواجهنا » من النصف المضيء حتى إذا صار « القمر » في مواجهة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا ، فنراه بدرا ، ثم يبدأ القمر بالاقتراب من الشمس ، فيبدأ الضياء بالنقصان من الجانب الذي بدأ فيه الضياء أولا ، حتى إذا صار القمر في مقابلة الشمس تماما ، واستحال علينا أن نرى شيئا من جانبه المضيء امحق نوره ، فرأيناه نحن مظلما .

وسبب خسوف القمر : توسط الأرض بينه وبين الشمس ، عندئذ يتشكل من وقوع نور الشمس على الأرض مخروط قاعدته صفحة الأرض « الدائرة الكبرى عند محيطها » ، فإذا وقع القمر كله في جرم المخروط كان الخسوف كليا « أي احتجب نور الشمس عن وجه القمر المقابل لنا فبدا أسود ـ كما يكون في آخر الشهر » ، وإن كان بعضه فقط داخلا في ظل المخروط كان الخسوف جزئيا .

ويكون كسوف الشمس إذا حال القمر بين الشمس وبين أبصارنا « كما يتفق للأرض في الخسوف » .

ويرى القزويني أن مكث الشمس في الكسوف لا يكون طويلا كمكث القمر في الخسوف «لأن قاعدة مخروط الشعاع إذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه في الحال فتبتدىء الشمس بالانجلاء» ، ويقول القزويني ايضا : «ويختلف قدر الكسوفات باختلاف أوضاع المساكن لسبب المنظر ، وقد لا تنكسف «الشمس» في بعض البلاد أصلا إذا هي انكسفت في وقت ما في بعض البلاد الأخرى» .

وقد برهن القزويني على كروية الأرض ، وهو بذلك يسبق كوبرنيكس بحوالي قرنين ونصف قرن من الزمان ، يقول القزويني :

«والأرض كرة ، والدليل على ذلك أن خسوف القمر إذا كان يرى من بلدان مختلفة فإنه لا يرى ـ فيها كلها ـ في وقت واحد ، بل في أوقات متعاقبة ، لأن طلوع القمر وغروبه يكونان في أوقات مختلفة في الأماكن المختلفة .. والأرض متحركة دائما على الاستدارة ، والذي نراه من دوران الفلك إنما هو من دوران الأرض ـ على نفسها ـ لا من دوران الكواكب» .

وقبل القزويني ، كان هناك عالمان اسلاميان آخران قد أشارا الى كروية الأرض ودورانها حول محورها ، هما أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، وابن طفيل الذي قال في أحد كتبه «وقد ثبت في علوم التعاليم بالبراهين القطعية ان الشمس كروية ، وأن الأرض كذلك ، وأن الشمس أعظم من الأرض كثيرا» .

ومن أعمال علماء المسلمين المجيدة قيامهم بقياس أقطار الكواكب والنجوم : الأرض والقمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل ، وتقدير كتلتها بالنسبة لكتلة الأرض وبعدها عن الأرض وحساب فترة الدوران لكل منها ، كما أنهم قاموا بقياس قطر الكون المادي المعروف في زمانهم ، وربما تكون بعض قياساتهم قد جانبها الصواب بسبب بساطة الأجهزة التي استخدموها ، إلا أن هذه القياسات كانت بلا شك أساسا علميا بنى عليه الغربيون دراساتهم ، ويكفيهم فخرا ما توصلوا اليه من أن الكون المادي المنظور له أبعاد محددة ، وأنه يأخذ شكلا كرويا ، وهو ما يتفق مع ما قاله علماء الفلك في العصر الحديث ، وما قالته نسبية اينشتين .

ولعل أدق ما قام علماء المسلمين بقياسه هو فترة دوران كوكب المريخ ، والتي تتفق تماما مع القياس الحالي «٦٨٧ يوما» وهو إنجاز بلا شك رائع لهم .

البتاني وكلف الشمس :

عاش هذا العالم الجليل (البتاني) في القرن العاشر الميلادي ، وقد كتب هذا العلامة عن كلف الشمس قبل أن تعرف أوروبا أسبابه بعدة قرون ، كما حسب البتاني ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة ، والعلم الحديث والأرصاد الدقيقة التي تستخدم احدث الأجهزة الالكترونية في القياسات تقول إنه قد أخطأ في دقيقة واحدة ، وهو خطأ تافه جدا بسبب عدم كفاءة الأجهزة

القديمة إذا قارناها بما هو متوافر لدى الفلكين في زماننا هذا .

إضافات علمية جليلة اخرى :

بالاضافة الى ما سبق ، فإن علماء المسلمين كانت لهم إضافات علمية جليلة أخرى في مجال الفلك ، ويكفيهم فخرا أنهم جعلوا علم الفلك علما استقرائيا قائما على الرصد والمشاهدة والاختبار ، وأنهم قاسوا محيط الأرض ومواقع بعض البلدان عليها ، كما قاسوا خط الهاجرة « دائرة نصف النهار » ـ ذلك الخط الوهمي الذي يتصوره العلماء على سطح الأرض ، وتكون الشمس عمودية عليه عند الزوال ـ ، ويكفيهم فخرا أيضا أنهم اخترعوا الاسطرلاب لقياس ارتفاع الكواكب ، وكذلك ما قاموا به من عمليات رصد للكواكب السيارة والنجوم الثوابت ، وتعيين مواقعها وأفلاكها في القبة الزرقاء ، ورسم الخطوط لها ، واهتمامهم بحركة الشمس وكلفها .

وإذا كان مستوى التقدم العلمي والحضاري لأي أمة يمكن أن يقاس بعدد الاصطلاحات والمفردات العلمية التي توضع بلغة هذه الأمة ، والتي تنقل ـ بنصها وحروفها ـ الى اللغات الأخرى ، بدون تغيير فيها أو بدون ترجمتها ، فإنه يكفي للدلالة على تقدم علم الفلك عند المسلمين أن خمسين في المئة من أسماء النجوم المستخدمة في اللغات الاجنبية مأخوذة عن العربية بنفس الألفاظ التي وضعت لها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نورد فيما يلي بعض الأسماء العربية لبعض المصطلحات الفلكية والنطق اللاتيني لها ، نقلا عن قاموس وبستر (WEBSTER) الشهير وغيره :

١ ـ آخر النهر	Acer nar أو Achernar
٢ ـ أقمار	Acmar
٣ ـ العذارى	Adara
٤ ـ الدبران	Aldebaran
٥ ـ الغول (رأس الغول)	Algol
٦ ـ الغراب	Algorab
٧ ـ الجنب	Alggenib
٨ ـ الكأس	Alkes

ولقد كانت مؤلفات العلماء المسلمين في الفلك هي المراجع الاساسية لطلاب العلم في اوروبا في العصور الوسطى وبداية عصر النهضة ، بل والتنوير ايضا ، وقد انتفع فلكيو الغرب من هذه المؤلفات امثال كبلر وكوبرنيكس وباكون والبرتو ماجنو وليوناردو وغيرهم ، وتأثروا بها في كتاباتهم ودراساتهم ، لكن مما يؤسف له أن القليل من المهتمين بدراسة الحضارة الاسلامية هم الذين اعترفوا بفضل أجدادنا على أعلام نهضتهم وعلى رواد علم الفلك في أوروبا .

مائدة القارئ

الانسان

قـال تعـالى : « **ولئن أذقنـا الإنسان منـا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفـور . ولئن أذقنـاه نعماء بعـد ضـراء مستـه ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور . إلا الـذين صبـروا وعملوا الصالحـات أولئـك لهم مغفـرة وأجر كبير .** »
الآيات ٩ و ١٠ و ١١ من سـورة هود .

قوة المادة وقوة الروح

يقول محمد إقبال محـذرا المسلمين من الاختلاف والفرقة :
لتكن قوة المادة إلى جـانب قـوة الـروح متساندتين على تحقيق ما نصبو إليه من القيم العليا ، بل عليكم أن تجعلوا المادة خـادمة للـروح ، لأن المـادة ظلمة ، وكثرة ، وفناء . والروح نور ، ووحدة ، وبقاء .

الصبر الجميل

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن الصبر الجميل في قوله تعالى : « **فصبر جميل والله المستعـان عـلى مـا تصفون** » .
فأجاب رحمه الله : الله أمـر نبيـه بـالهجـر الجميـل ، والصفـح الجميـل ، والصبـر الجميل .
فالهجر الجميل : هجر بـلا أذى ، والصفـح الجميل : صفح بـلا عتـاب . والصبـر الجميـل : صبر بـلا شكوى .

النمَّام

قيل لرجل : إن فلانا عـابك بكـذا وكـذا ، فقـال : لقد واجهتني أنت بما استحى الرجل أن يواجهني به .

مثل الأخوين

مثـل الأخـوين مثـل اليدين تغسل إحداهما الأخرى .

في ذكرى المولد

قال الشاعر احمد شوقي :

تجـلى مـولـد الهـادي ، وعمت
بشـائره البـوادي والقصـابـا
وأسـدت للبـريـة بنت وهب
يـدا بيضـاء ، طـوقت الـرقـابـا
لقـد وضعتـه وهـاجـا منيـرا
كمـا تلـد السمـوات الشهـابـا
فقـام عـلى سمـاء البيت نـورا
يضيء جبـال مكـة والنقـابـا
وضـاعت يثرب الفيحـاء مسكا
وفـاح القـاع أرجـاء وطـابـا

تعليم وعمل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلّم من يعمل بهن ؟ » .

فقال أبو هريرة : فقلت : أنا يا رسول الله ؛ فأخذ بيدي فعد خمسا ، وقال : « اتق المحارم ، تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

رواه الترمذي

دعاء

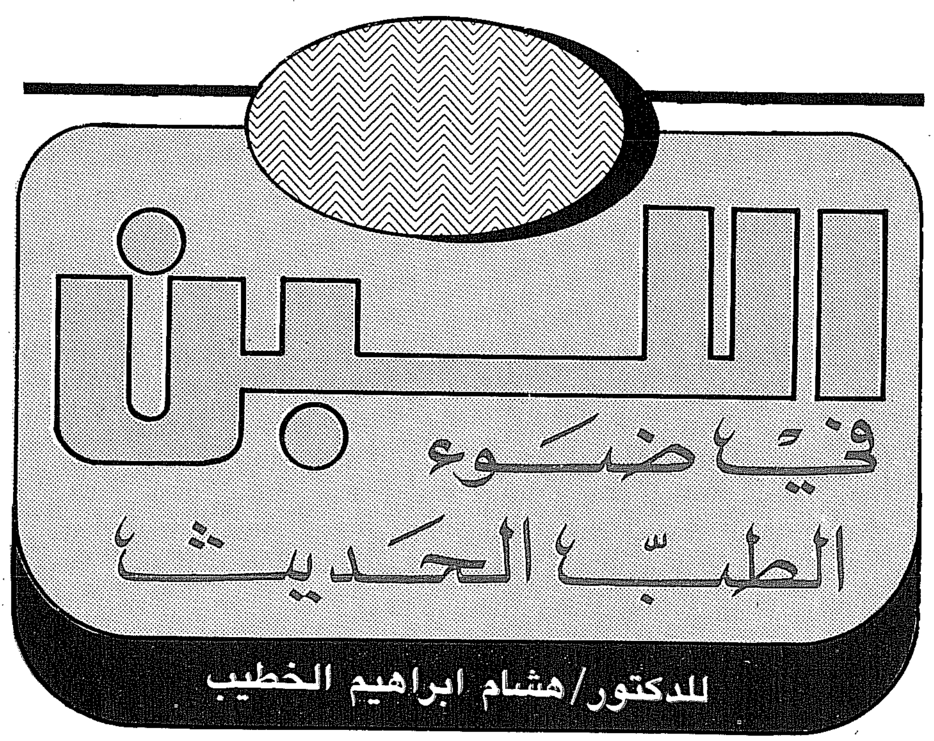
كان من دعاء عمر بن عبد العزيز :ـ رضي الله عنه : يا رب انفعني بعقلي ، واجعل ما أصير إليه أهم إلي مما ينقطع عني ، اللهم إني أحسنت بك الظن ، فأحسن لي الثواب ، اللهم اعطني من الدنيا ما تقيني به فتنتها ، وتغنيني به عن أهلها ، وتجعله لي بلاغا إلى ما هو خير لي منها ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك .

وصية

أوصت أعرابية ابنها فقالت : أي بني : اتئد في عملك اتئادا ، ولا تسأل الناس ما في أيديهم لئلا تهون عليهم ، وإذا لزمك سوء الحال ؛ فاجعل سؤالك الى من إليه حاجة السائل والمسؤول ، فإنه هو الرؤوف الرحيم ، ولا تمارينّ حليما ولا سفيها ، فإن الحليم يطغيك ، والسفيه يؤذيك .

دعاء

اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسي . وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات .



كل منا يشرب اللبن كل يوم ، كل منا تغذى على لبن أمه لفترة من الزمن ، فاللبن يفرز من الغدد اللبنية الموجودة في أنثى الحيوانات مثل : البقر ، والجاموس والماعز ؛ وكذلك يفرز من الغدد اللبنية الموجودة في ثدي أنثى بني الانسان .

اللبن في الكتاب والسنة :

ذكر اللبن في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة واعتبر شراب اهل الجنة ، قال تعالى :
(فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) .

قال تعالى : **(وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) النحل/٦٦**

عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: قال صلى الله عليه وسلم : « من سقاه الله فليقل بارك لنا فيه وزدنا منه ، فاني لا اعلم ما يجزىء من الطعام والشراب الا اللبن » رواه الترمذي وأبو داوود وأحمد

تركيب اللبن :

اللبن هو الوحيد من بين الأغذية الذي يحتوي على جميع المواد الغذائية ، ويختلف تركيب اللبن باختلاف نوع الحيوان ، ويحتوي اللبن على المواد التالية :
(أ) المواد البروتينية : وهي على نوعين الأول : كازيونوجين Caseinogen ، والثاني : هو لاكتو البومين Lacto Albumin ، والكزيونوجين هو فسفور بروتيني ويختلف عن الزلال بأنه لايتخثر بالحرارة ، ويتخثر

بالحوامض الضعيفة فيتحول الى كازيين ، ويتفاعل مع الكلس ويكون كازينات الكلس Calciun Caseinate .

والحكمة في تخثر اللبن انه لا يخرج سريعا من المعدة فتفعل في اعداده للهضم العصارة المعدية ولو بقى سائلا لخرج بسرعة وأفلت من تأثيرها .

(ب) المواد الدهنية : يتركب دهن اللبن من الكسرايد Glyceride ، والدهن موجود في اللبن بشكل قطرات مستديرة ومستحلبة ، واذا بقى اللبن ساكنا مدة يرتفع الدهن الى اعلاه حاملا معه أكثر البكتريا الموجودة في اللبن والمسماة بالقشدة Cream ، ويوجد في اللبن صبغة صفراء تسمى Lipochrome تكسبه صفرته المعروفة ويفقد اللبن كثيرا من خواصه الغذائية حينما تنزع قشدته ، ويحوى اللبن المنزوعة قشدته (المخيض) على ١٪ دهنا .

(جـ) المواد النشوية .

(د) المعادن : وأهم المعادن الموجودة في اللبن هي الصوديوم والبوتاس والكالسيوم ، والمغنزيوم ويشكل الحديد الذي في لبن البشر ثلاثة اضعاف لبن البقر .

(هـ) الفيتامينات : ان اللبن يحتوي على جميع الفيتامينات ، أي انه يحتوي على فيتامين أ ، ب١ ، ب٢ ، جـ ، د ، هـ ، و ، وأكثرها في الخصوص فيتامين أ ، د أما كمية فيتامين جـ فهي قليلة .

واليك جدولا يبين تركيب اللبن بالنسبة المئوية بالوزن :

نوع اللبن	بروتين	دهن	كربوهيدرات	أملاح معدنية	كثافة نوعية	ماء
(١) لبن الأم (البشر)	٢,٦٧	٣,١٥	٥,٩٠	٠,٣٢	١,٠٣٢	٨٧,٨٤
(٢) لبن البقر	٣,٥	٣,٧٦	٤,٧٥	٠,٧٢	١,٠٣٢	٨٧,٢٧
(٣) لبن الجاموس	٤,٤	٩	٤,٨	٠,٨	١,٠٣٤	٨١
(٤) لبن العنز	٣,٦٢	٤,٢	٤	٠,٥٦	١,٠٣٢٧	٨٧,٥٤
(٥) لبن الحمير	١,٦٦	١,٢٦	٦,٥	٠,٤٦	-	٩٠,١٢
(٦) لبن الناقة	٢,٩٨	٥,٣٨	٣,٢٦	٠,٧	-	٨٧,٦

مميزات لبن الأم عن باقي أنواع اللبن الأخرى :

أثبت الطب الحديث ان لبن الأم يختلف عن أنواع اللبن الأخرى بالآتي :

١ ـ انه سهل الهضم لقلة المواد الدهنية فيه ، وكذلك نوع البروتين فيه يختلف عن البروتين الموجود في لبن البقر مثلا .

٢ ـ يحتوي على كمية من الحديد أكثر اذا قورن بأنواع اللبن الأخرى .

٣ ـ يحتوي لبن الأم على المواد المضادة للأمراض التي تصيب الانسان ، مثل مواد مضادة للحصبة ، وغيرها ، وهذه تحمي الطفل من الأمراض المعدية في الستة أشهر الأولى على الأقل .

٤ ـ درجة حرارة اللبن ثابتة ، وملائمة لحرارة الطفل ولا يتوفر ذلك في أنواع اللبن الأخرى أو اللبن الصناعي .

٥ ـ لبن الأم خال من الميكروبات ، اذا قورنت بأنواع اللبن الأخرى ، ولا يحتاج الى تعقيم أو غلي .

٦ ـ الناحية النفسية للطفل والأم ، حليب الأم يقوى الرابطة الروحية بين الأم ووليدها ، ولهذا يجب على الأم الواعية ان تحرص كل الحرص على أن تقدم لطفلها الغذاء الطبيعي الذي اعده له البارىء المصور أحسن إعداد ، لا تتخلى عنه إلا في حالة وجود مانع لذلك . قال تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة/٢٣٣ .

تلوث اللبن :

اللبن معرض للتلوث في الأماكن التالية :

أ ـ في الزريبة : من تلوث ضرع الحيوان بالروث ، من وجود مرض في الحيوان ، من وجود مرض بالجلد كالقروح الدفتيرية والقروح القرمزية ، من استعمال أوعية غير معقمة وقذرة أو ملوثة بماء قذر من اصابة الحلاب بمرض حامل للجراثيم مثل التيفوئيد ، الدفتريا .. الخ .

ب ـ أثناء النقل : من دخول غبار الشوارع الملوث اليه ، من اضافة البائع اليه ماء ملوثا ، من اصابة البائع بمرض كونه حاملا للجراثيم ، من استعمال البائع أوعية قذرة لتوزيع اللبن وكيله .

جـ ـ في المنزل : من تعريضه للذباب والغبار ، من استعمال أوعية قذرة لحفظه ، من مريض في المنزل أو حامل للجراثيم .

الأمراض التي ينقلها اللبن الى الانسان :

ينقل اللبن الأمراض التالية الى الانسان :

ـ من الحيوان نفسه : السل غير الرئوي ، الحمى المتموجة ، التهاب الحلق ، الدفتريا ، الحمى القرمزية ، الحمى القلاعية ، الخناق .

ـ من عدوى خارجية بعد الحلب : الباراتيفود ، التيفوئيد ، دوسنطاريا ، الكوليرا ، اسهال



الأطفال ، دفتريا ، الحمى القرمزية ، التسمم الميكروبي بالطعام ، الدرن .

تتميز الأوبئة المرضية المتولدة من عدوى اللبن بالمميزات الآتية :

* تظهر فجأة وتتلاشى تدريجيا .
* يختلف عدد الأشخاص كثرة وقلة ، ولكن الاصابات تظهر كلها بوقت واحد .
* بما ان الأطفال يتغذون باللبن أكثر من الكبار تكون الاصابات أكثر انتشارا فيهم .
* يبلغ معدل الاصابات المرضية المتولدة من اللبن في البيت الواحد رقما اعلى مما تبلغه في أوبئة أخرى .

*

يكون مصدر اللبن مشتركا بين نسبة عالية من المصابين .

ما يجب عمله لوقاية اللبن من التلوث :

* في الزرائب :

- يجب فحص الحيوانات واستبعاد المريض منها .
- يجب ايجاد زرائب مستوفية للشروط الصحية .
- يجب غسل الضرع قبل حلب اللبن منه ثم تجفيفه بفوطة نظيفة .
- يجب استعمال أوعية ضيقة الفوهة وتعقيمها أولا بالماء الساخن أو البخار قبل استعمالها لحلب اللبن .
- يجب أن يلبس الحلاب جلبابا أبيض نظيفا عند الحلب ، وأن يكون مقلم الأظافر ، ويغسل يديه جيدا ، ويجب عليه الامتناع عن البصق في يديه أو غمر يديه في اللبن أو أي طريقة قذرة أخرى .
- يجب فحص الحلابين بكتريولوجيا دوريا لاكتشاف وضع من يوجد منهم حاملا للجراثيم .
- يجب منع الحلاب من العمل اذا مرض أو كان أحد أفراد عائلته مريضا بمرض معد .

* أثناء النقل :

- يجب نقل اللبن في أوان محكمة القفل منعا من الغبار .

- يجب مراقبة الباعة جيدا لمنع غش اللبن وبالخصوص لمنع تلوثه بهذه الطريقة ، ويلزم فحص الباعة سنويا للتأكد من أنهم غير حاملين للجراثيم .

* في المنزل :

- يستحسن عند وصول اللبن الى المنزل ان يعقم ثم يحفظ مغطى لوقايته من الذباب والغبار .

تعقيم اللبن :

لتعقيم اللبن عدة طرق :

(١) الغلي : رفع درجة حرارة اللبن إلى درجة الغليان ، وهي ١٠٠°م لبضع دقائق تكفي لقتل جميع الميكروبات المعتادة التي قد تسبب الأمراض كالدرن والتيفوئيد وغير ذلك وهذه هي الطريقة الشائعة في بلادنا ، ولكن ليس بقصد التعقيم وانما لتأخير حدوث الحموضة في اللبن ، اذ ان اللبن يحتوي عادة على بعض ميكروبات عادية لا تسبب الأمراض وانما تسبب الحموضة لأنها تتغذى على سكر اللبن وتحوله إلى حامض اللبنيك فيصير اللبن رائبا ، فاذا غلي اللبن قتلت هذه الميكروبات أو قل عددها بحيث تتأخر حموضة اللبن فيها - ولكن غلي اللبن ليس طريقة صالحة لأنه يغير بعض خواص اللبن :

- يرسب أملاح الجير والفوسفور الموجود في اللبن .
- يحرق سكر اللبن فيغير طعم اللبن .
- يقتل فيتامين جـ .
- يقتل المواد المضادة في اللبن .
- يحول المواد الدهنية الى مواد عسرة الهضم .

(٣) طريقة التسخين (طريقة البسترة)

ان أحسن طريقة لهذا هي الطريقة البطيئة وذلك ان نرفع حرارة اللبن الى درجة ٦٥°م لمدة نصف ساعة ثم يبرد في الحال الى درجة ١٥°م أو أقل ، ثم يحفظ باردا لحين الاستعمال ، وأهمية تبريده في الحال وحفظه باردا هي منع الميكروبات من التوالد بعد ذلك فهذه طريقة كفيلة بقتل الميكروبات المرضية ولكن نظرا لعدم ارتفاع درجة الحرارة فيها فان اللبن يظل محافظا على معظم أوصافه الطبيعية الأولى من حيث الطعم والأملاح ومستحلب الزبدة والفيتامين وغير ذلك .

فحص الألبان :

يكون اللبن الجيد أبيض اللون ضئيل الدكنة ، خاليا من الترسبات عديم الطعم والرائحة ، ويكون تفاعله متعادلا ولكنه يصير حامضيا حالا ، ويشعر المرء بحموضته ويتخثر حينما تبلغ حموضته٦ر٠٪، مقدار كثافة اللبن بين ١,٠٢٧ - ١,٠٣٤ وتقل متى زاد دهنه ، وعند قياس كثافة اللبن بالجهاز ، نعرف ان اللبن قد غش أم لا ، ويفحص اللبن بدرجة ١٥ $\frac{1}{2}$°م لأن الكثافة النوعية تنخفض درجة لكل ١٠° درجات مئوية .

لا يجوز أن يقل مجموع الجوامد التي في اللبن عن ١١,٥٪ ومعدلها ١٢ ـ ١٤٪ .

ان كثيرا من الباعة ممن لا شرف لهم ولا ذمة يغشون اللبن حبا في الكسب الحرام ، ولكنهم بهذا يسببون ضررا كبيرا للأطفال والمرضى الذين يعتمدون على اللبن كقوت ضروري لهم فيجدونه غير كامل بسبب الغش ، وزيادة على ذلك كثيرا ما يتلوث اللبن ـ عند غشه ـ بالميكروبات وينتج هذا ضررا آخر . ومن الطرق المعتادة لغش اللبن هي : اضافة الماء ، نزع القشدة كليا أو جزئيا اضافة النشا أو الجلاتين وغير ذلك ، اضافة مواد ملونة ، اضافة طحين ليظهر أكثر ثخانة .

اللبن الجاف :

توجد في الأسواق أنواع مختلفة من اللبن الجاف ، واللبن الجاف يحضر بواسطة رفع درجة حرارة اللبن بالطرق الصناعية حتى يتبخر الماء ولا تبقى الا المواد الجافة وهي المواد البروتينية والزبدة والسكر والأملاح وبذلك ينقص حجم اللبن الى $\frac{١}{٩}$ حجمه الأصلي اذ ان المعلوم ان $\frac{٨}{٩}$ اللبن ماء .

ويستعمل اللبن بعد ذلك بأضافة الماء اليه بنسبة ٨ ماء الى ١ من اللبن ومزجه فيصير لبنا عاديا .

واللبن الجاف له ميزة كبيرة جدا وخصوصا في البلاد الحارة وهي انه معقم من الميكروبات وكذلك انه ممكن حفظه لمدة طويلة أي انه اقتصادي ، ولكن له بعض العيوب وهي ان الجو الحار قد يفسد المواد الدهنية التي فيه فيصير زنخا وانه يكون فاقدا لكثير من الفيتامينات وخاصة فيتامين أ ، د وغالبا ما تضاف اليه صناعيا . ومنها ما هو منزوع منه القشدة أو المواد الدهنية .

اللبن المركز :

وهو اللبن السائل المركز ، ويحضر بمجرد غلي اللبن الى أن يفقد $\frac{٢}{٣}$ الماء الذي فيه ثم يوضع في علب معقمة ثم يقفل وعند استعماله تزاد اليه كمية الماء بحيث توازي ما فقده .

اللبن المركز سيء للأطفال والمرضى ، لأن الطفل لا يستطيع هضم المواد النشوية الكثيرة فجهازه الهضمي ضعيف .

اللبن الرائب :

وهو لبن مخمر يتولد فيه الحامض اللبني حامض اللاكتيك Lachc Acid بتأثير الروبة ، ويصنع اللبن الرائب بغليه وجعله يبرد الى درجة ٤٠°م ثم تضاف إليه كمية من الروبة .

ان في اللبن الرائب خواص مطهرة للجراثيم بسبب الحامض اللبني الذي فيه ، وهو لذيذ الطعم ، سهل الهضم ، يستعمل عوضا عن اللبن الطبيعي للأطفال المصابين بسوء الهضم وفي الأمراض المعوية كالزحار والتيفوئيد ولذوي المعد الضعيفة .

من قصصنا الخالد

صاحب البطيخ

للأستاذ / أحمد العناني

لم يبلغ الحر في سواد العراق مبلغه ذلك اليوم . كل شيء في الظهيرة كان كأنما يتلقى من عين الشمس المحمرة سياطا من اللهب ... لم يكن ثمة مسافر الا وأوى الى زاوية أو شجرة يلتمس هناك ظلا ... وحتى في الظل يتمنى المرء لو خرج من جلده من شدة ما لحق به من عنت من تصبب العرق بكل موقع من جسده ، ولصعوبة الأنفاس وجهد البلاء ...

في تلك المحنة من وسط النهار تهلل وجه النبطي يوسف بن عيسى فهتف بزوجته أم الخير « ميمونة » .. أتدرين ما يجول في خلدي ؟ قالت ميمونة ضاحكة « وكيف لي ان أعرف ما يدور بخلدك ؟

« لقد صممت على شيء ! »

« في هذه الهاجرة التي توقد كالجحيم ؟

« ويحك يا أم الخير .. لأنها هاجرة تغلي خطر ببالي ما خطر

« أفصح ماذا تريد ؟

« الآن انهض فاقطع من البطيخ حملا وأوقر به دابتنا وأمضي الى سوق العالية فهذا وقت السعر المجزي .

« يا رجل اتق الله .. أنت إذاً تريد ان تهلك نفسك والدابة التي نسعى بها الى رزقنا .

« انت واهمة ..

« كما تشاء .. عليَّ أن أنصحك وما أملك لك أن أمنعك من ضر تريده بنفسك أو بدابتك .



« وشخصت عينا يوسف قليلا .. وتناول منديلا ضخما يبدو لأول وهلة وكأنه وجه منزوع من لحاف قديم فمسح جبينه ، وراءه ، دون أن يبدي ، كثافة العرق الذي عاد يتنزى به جبينه كأنما هنالك نبع يرفد الوجه بهذه النهيرات المتلاحقة من العرق .. وساد صمت لم يتخلله الا نحنحة من النبطي الفقير .. ثم نظر الى زوجته نظرة بها عتاب كظيم وحنان متستر وقال :

« استمعي إليَّ جيدا يا ميمونة ... انني اعلم ما يدور بخلدك من الخشية علي ، لكنكن معاشر النساء سريعات النسيان ألم تعلمي انه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ؟

قالت مندفعة « اعلم ذلك والحمد لله ولكني اعلم ايضا ان الحق تعالى نهانا عن أن نلقي أنفسنا في التهلكة .

فقال دون تردد : « ولكنه تعالى يقول « **وان ليس للانسان إلا ما سعى** » وتغير صوته قليلا وهو يستأنف حديثه بعد توقف متأمل «اسمعي يا ميمونة ... والله ان ملاقاة الموت لهي أهون على المرء من معاناة الفاقة ، وانت تعرفين شكوى البنات مما يلقينه من عنت الفقر ... والله للموت أحب الي من شكواهن وعجزي وأنا الأب عن فعل شيء ... الآن لو خرجت بالبطيخ لأعودن ان شاء الله بمال حسن يستر أجساد هؤلاء البنات

قالت ميمونة « ولكني خائفة عليك ! » .
ورد مستعجلا « توكلي على الله .. فما أنا بساع الى شر فأخاف».. الله وحده يعلم كم تصبب من عرق الرجل وعرق زوجته حتى أعدا الحمل على ظهر الدابة .. وهو وحده اعلم بما لاقاه ذلك النبطي ودابته من عنت السير ، وهو أعلم بالخوف الذي كان يملأ قلب ميمونة عليه من ضربة شمس في ذلك الهجير اللاهب ..
لكن الرجل سار وسار حتى أوشك ان يصل سوق العالية فلما كان دون السوق ما راعه الا رجال ثلاثة أشداء يرتدون زيا متشابها انقضوا عليه فأوثقوه وطرحوه جانبا فيما ساقوا دابته الى ما فتئت ان عادت عطلا من حملها ....
لقد فعلوها فما خافوا الله فيه ولا في فاقته ولا في آمال منتعشة ستموت في صدور بناته ...
وكان يرى دابته فيعجز عن التعامل معها بشيء اذ هو موثق يشكو الى الله شدة الحر والتعب وضياع الجهد .. وفجأة ظهر رجل معجل كأنما كان يبحث عن دابة ومن دون أن يلقي بالا لصاحبها امتطاها وصاحبها يصيح في اغلاله دون جدوى .. فلم يبق له من دابته الا وقع حوافرها يصل الى أذنيه ويتلاشى شيئا فشيئا .. وتفكر يوسف في حاله ، وفي الحافز الذي أخرجه من بيته وهو هناك آمن مطمئن يجد الماء والظل ليجد نفسه في حر الهاجرة موثقا في حباله وقد ضاع حمل البطيخ الذي كان يترقب ثمنه لستر حاله ، وضاعت الدابة التي هي وسيلته في زراعة أرضه .. واغرورقت عيناه بالدمع وهو يتجلد قائلا « صبر جميل ... والله اني لأعلم منك ما لا يعلمون والله اني لَحَسَنُ الظن بك يا رب وليكن ما يكون .. اللهم اني لا أقول في شدتي إلا قول رسولك صلى الله عليه وسلم « اللهم ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي » . وما كاد ينتهي من مثل ذلك الحديث يناجي به نفسه حتى عاد صدى حوافر الدابة يصك سمعه ، ولأيا استطاع ان يدير وجهه واذا هي مقبلة وعليها الرجل الذي كان اجتازها دون إذنه .. وتهلل وجهه فرحا حين ترجل ذلك الانسان ففك قيود يوسف .. وهتف به :
ـ « انهض يا هذا ، فلقد نظرت من شرفة بيتي ورأيت ما جرى لك .. ولكنك انطلقت بدابتي وها أنت تعود بها .جريت بها وراء غريمك حتى عرفته ..
ومن هو بربك !
« انهض فلن يضيع لك حق ان كان بك شجاعة لطلب حقك ..
« ماذا تعني ؟
« بطيخك احتازه جماعة من شرطة « ألب أرسلان » .
« ملك شاه ؟!!
« نعم .. نعم ..
اذا فعوضي على الله ....
«ويحك من نبطي سوادي جاهل .. ألم تسمع عن عدل ألب أرسلان ؟ أيكون غير عادل من وزيره نظام الملك وصناعته الأولى رفع راية العلم ؟.

انهض فلن يضيع حقك عند مؤسس النظامية جامعة الشرف والنور ..

كان ذلك كله كلاما غير مفهوم عند الرجل النبطي .. ولكنه رأى رجلا به حرقة عليه وعلى ما جرى له فأسلم له قياده .. وكانت ثقته في مكانها فحين تهيأ يوسف للسير قال له صاحبه «قليلا يا رجل جئتك بطعام وماء فكل واشرب أولا ، واستعن بذلك على السير .

***

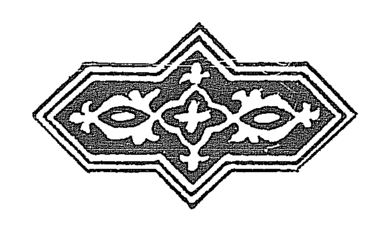
دوى صوت الملك في حجراته ... الله أكبر ... كيف يمكن أن ننتصر ؟ كيف نجيش الجيوش وفينا من لا يستحي من الظلم والنهب ؟ اطلبوا لي أولئك الشرط ، واعرفوا شرطة من هم وأتوني بصاحبهم معهم ... وأنت يا سوادي .. انهض فاجلس في القبة الحمراء معززا حتى نأتيك بحقك .. ونطلعك على ما يكون من أمر المعتدين عليك ... ووجد يوسف نفسه في قبة حمراء مزركشة بكتابات بارعة كلها آي من الذكر الحكيم ، ووجد فيها ماء مشعشعا ومتكأ حسنا فطابت نفسه على تلك الفرش فاتكأ وغفا فنام .. وراح يرى ميمونة في منامه دامعة العينين رافعة كفيها تضرعا الى الرحمن ان يعيد لها الزوج الذي مضى نهاره وجن عليه ليله دون أن يعود من بيع حمل من البطيخ في عز الهاجره ...

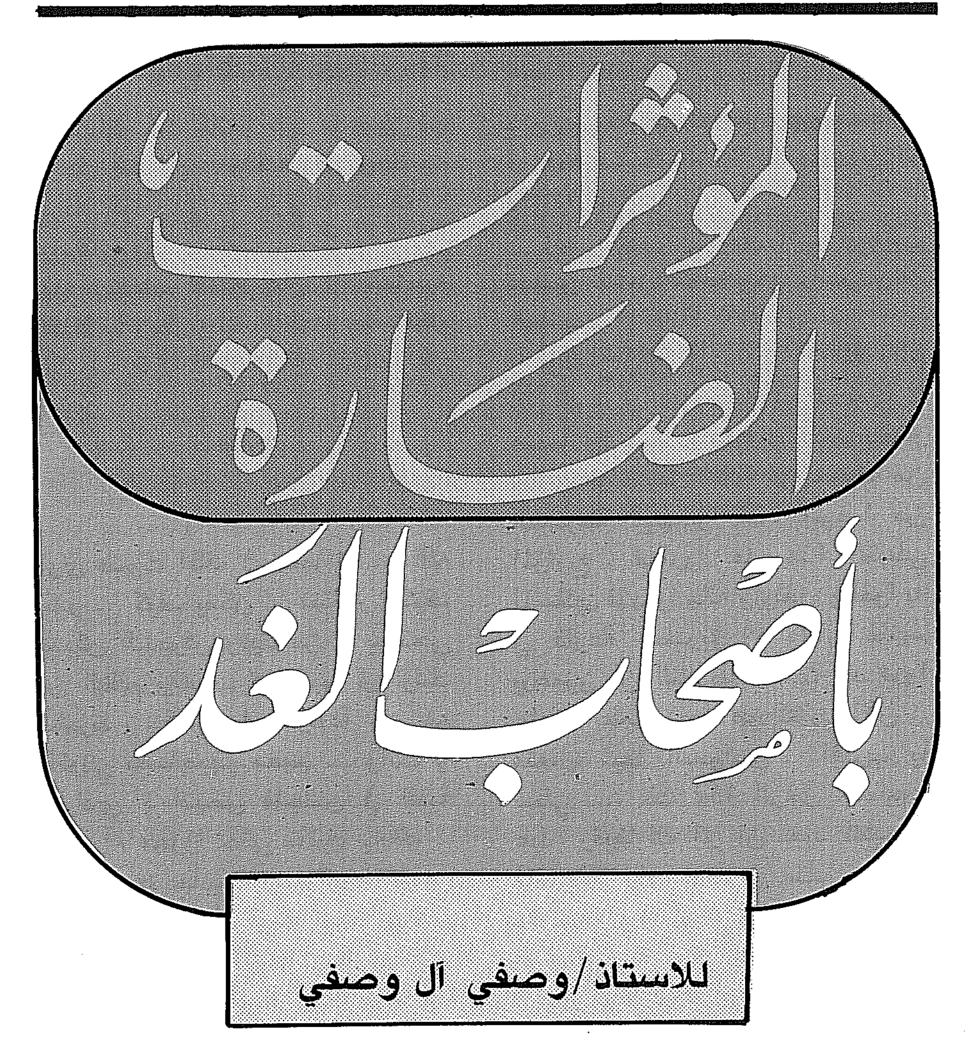
لم يمض الا وقت معقول حين دخل نظام الملك الخيمة فنهض يوسف متهيبا يحيي وزير الملك وأخلى مكانه من وسط المجلس فأبى عليه نظام الملك وقال : الآن يجيء الملك وتعرف ما يكون وربما جيء بالذين نهبوك فحاول أن تتعرف عليهم ولا تظلمهم ان لم يكونوا هم ...

ولم يلبث أن دخل ألب أرسلان فنهض نظام الملك يحييه فاذا من ورائه الحاجب .. موثقا بالأغلال ...

وصاح الملك في وجه نظام الملك «ألم أقل لك مرارا هذا لا يصلح للحجابة لا عندنا ولا عند سوانا .. أكان يخطر ببالك انه أرسل ثلاثة من حرسه من الشرطة لينهبوا له بطيخا من المزارع ، فعثروا على هذا النبطي المسكين فنهبوا ماله وأوثقوه وألقوا به في قارعة الطريق ؟؟ والآن فانهم يزعمون أن الشرطة الثلاثة قد فروا عندما علموا بما هو كائن الآن .. فتعال أيها السوادي .. اقترب يا نبطي ... خذ هذا الرجل الحاجب عبدا رقيقا لك الى ان يعود الشرطة المسيئون أو يشتري منك حريته فتعتقه ... واياك ان يفلت منك ، فانه مسئوليتك الا أن تقبض ثمنه ...

في اليوم التالي كان يوسف بن عيسى يدخل على زوجته بثلاثمائة دينار هي الفدية التي أشتري بها الحاجب المسيء نفسه من النبطي ..





ليس كالتجربة دليل ولا حجة ..

والتجربة الاجتماعية معملها التاريخ ..

وتجارب التاريخ تقول . إن الأمم تنهض إذا اكتملت لها أسباب معينة ندعوها أسباب النهوض ، وتكبو إذا فقدت بعض تلك الأسباب ، ويعفو عليها الزمن إذا استبدت بها عوامل التعرية ولم تنتفض لاسترجاع ما فاتها وتعويض ما فقدته ..

لم تشذ عن تلك القاعدة أمة من الأمم ، لا اليونان ولا الرومان .. لا العرب ولا التتار ..

وفي الاجتماع ، كما في الطب وكما هو الحال في كل مجال ، تكون الوقاية خيرا من العلاج . وللوقاية **وجهان** : الأول يمد بأسباب القوة ، والثاني يحمي من

المؤثرات الضارة ..

ولأن اسباب القوة في أمتنا معروفة ، وهي « **العمل بما أنزل الله** » ، كان اختيارنا النظر في المؤثرات « الضارة » ـ بأصحاب الغد ..

ولماذا ـ أصحاب الغد ؟

لأن أصحاب اليوم ـ أنا وأنتم وهم ـ الذين شارفوا النهاية أو بدايتها ـ قد مضى أوان النظر في تعديل ما شابوا عليه ، ولم يعد من السائغ مطالبتهم ـ حال ضعفهم ـ بأكثر من الاجتهاد في تغيير الظروف التي أدت إلى هذا الضعف . وأول الاجتهاد « الإستتار » بضعفهم ، والاعتراف بضرورة هذا التغيير ..

وبعد ..

فكيف نبدأ الحديث عن المؤثرات الضارة بأصحاب الغد ؟

لعلنا نهون الأمر على أنفسنا إذا اتخذنا من البداية معيارا ، نقيس عليه المؤثرات إذا التبست حقيقتها فلا نختلف في تقويمها . وما أظننا نجد معيارا خيرا من أحكامه تعالى الثابتة في كتابه الكريم ، وسنة رسوله الصحيحة عن الصادقين ، صحيح أننا « أدرى » بأمور دنيانا ، لكن الدراية شيء و « اتباع » الهوى شيء آخر ، فمانزال هنا ، في أمور دنيانا ، مقيدين بقيد المشروعية التي تتصدى لكل من أحل حراما أو حرم حلالا أو عطل رخصة أو غلب منطقا غير منطق الدين الذي نؤمن به نظاما لدنيانا وسبيلا الى ما وعد الله به المؤمنين ..

بهذا المعيار نتابع أصحاب الغد من الميلاد ـ عفوا ، قبل الميلاد ..

فمن المؤكد أن الجنين يأخذ عن والديه غير قليل مما يشكل تركيبه العضوي والنفسي ..

ومن المؤكد أن الطفل يأخذ عن والديه غير قليل من السلوكيات ، والمعلومات كذلك ..

فالتدقيق في الاختيار واجب اذن على الرجل وعلى المرأة ..

وعناصر الاختيار تشمل الصحة البدنية والسلامة النفسية ، وتشمل الظروف المالية والطبية .. واستشارة الطبيب ـ قبل الزواج خير لا شك فيه ، والتصارح بالظروف المالية أمانة .. فعلى أساس التسليم بواقع الحال يكون التدبير والتقدير .

ومن قبل الصحة والمال ـ الفضيلة ..

والفضيلة يحميها سلوك وعادة ..

فالصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، والصوم تهذيب لأشد الرغبات الغريزية إلحاحا ..

ومن تعود شرب الخمر ولعب الميسر وارتياد بيوت الشيطان لن يصون مال زوجه وولده ..

ومن تربى على العدوان لن يعدل بين أهله ..

ومن نشأ سفيها مسرفا ، أو بخيلا مكتنزا ، لن يتورع عن اغتيال ما يؤتمن عليه ..

ومن تقلب في نزوات الترف والبذخ لن يصبر على غير الزمن ، ومن لا يصبر يهجر .. ويغدر .. ومن ركبه الغضب ، لعن وسب .. وضرب ..

****

التدقيق من جانب المرأة ومن جانب الرجل لازم ، لأنه يحمي الجنين ـ والوليد ـ من مؤثرات ضارة يتعذر أو يستحيل علاجها اذا وقع الخطأ في الاختيار تحت ضغط البريق الكاذب للجاه .. للجمال .. للقول المعسول .. أو نتيجة للجهل بحقائق مسلمة في علم الوراثة .

فاذا نحن دققنا فاخترنا المؤمن والمؤمنة ، على صحة بدنية واتزان عقلي ، كان الطريق ممهدا لأن يولد اصحاب الغد ويشبوا في أحسن الظروف ـ ولكن ..

الأسرة لا تسكن قلعة في واد معزول ..

ففي البيت شغالة أو شغال ، وأقارب ..

وحول البيت جيران ..

وإليه تدخل الصحيفة والمجلة والكتاب ..

وبه أجهزة استقبال للصوت والصورة ، واجهزة تسجيل ..

ولهذا كله تأثير على اصحاب الغد ، في المهد وفي الطفولة المبكرة وفي مرحلة الوعي النامي ايضا ..

ودعونا نفترض أن « الأم » لا تعمل ، عفوا ـ أقصد « لا تعمل خارج مملكتها » . فالآراء قد تختلف حول خروج « المرأة » للعمل لكن رأيا واحدا لا يجرؤ على انكار أن ادارة شؤون البيت « عمل » .. وعمل هام .. إن لم يكن أهم ما يمكن أن تؤديه المرأة ـ الزوجة .. المرأة ـ الأم ..

هنا ـ في ظل هذا الفرض ـ تتوفر الظروف الملائمة لتنشئة اصحاب الغد تنشئة صالحة ، ونعني بذلك التنشئة التي نسترشد بكل ما يقرره العلم من حقائق فسيولوجية وتربوية ـ اجتماعية ..

ومن يقين الحقائق الاجتماعية ان الدين أهم اسس التربية ..

والدين عبادات ومعاملات ، وهو في القسمين ـ المرتبطين ارتباطا موضوعيا ـ عادة نتعودها تعبر عن مضمون وتفضي اليه ..

ولن نتعود الدين وما يتعارض معه في آن ..

ثم ان العادة لا تكتسب إلا في حضرة القدوة ، وأصحاب الغد يقتدون بأصحاب اليوم فيما يفعلون وما يقولون .. فإذا ناقض فعلهم قولهم كانت الغلبة للفعل أو ألغي الفعل القول على أهون تقدير .. وهم يشاركونهم ، أو يكادون ، فيما يسمعون وما يشاهدون (من أعمال تستخدم الوسائل الفنية الحديثة) ـ ويتعرضون لخطر

كبير . لأنني قد أسمع أو أشاهد ما هو ضار لكن عقلي المميز ووجداني المجرب يلفظانه ، على حين يعجز أصحاب الغد عن مثل هذا الاجراء الوقائي ـ الارادي .. أو التلقائي .. ومن ثم فإن يقظة الأب والأم إذا غفت أمام ما يقال وما يعرض تركت أصحاب الغد أمام قدوة لا يملكون لها دفعا . وإذا كان من المتصور أن يتأثر اصحاب الغد بقدوة حسنة ، مصدرها ذلك الاستماع وتلك المشاهدة ، تحميهم من قدوة سيئة مصدرها الآباء .. فان العكس غير صحيح . فالقدوة ـ حسنة أو سيئة ـ اذا جاءت عن طريق الاستماع أو المشاهدة تضخم تأثيرها بفعل الوسائل والاساليب الفنية التي تبتكر وتجدد باستمرار ، وليس للوالدين مثل هذه الوسائل والأساليب ..

موجز القول أن سوء اختيار « الزوج » ضار بأصحاب الغد ، وأن القدوة السيئة من الأب أو الأم ضارة بهم .. وأن القدوة السيئة من وسائل فنية مسموعة أو مشاهدة ضارة بهم وان حسنت قدوة الأب والأم ..

وماذا يضرهم أيضا في السنوات الأولى من اعمارهم ؟

أن نرقدهم على مرمى السمع والبصر من المعاشرة الزوجية .

أن نغذيهم في غير ما ضرورة بحليب صناعي .

أن نغمرهم بالحنان الزائد ، فهو تدليل .. ولن يصلح مدلل لتحمل المسؤولية ..

أن نتخذ منهم لعبا تفرح بها القريبات ـ مراهقات ومسنات .

أن تفلت ألسنتنا بحضرتهم فيعتدي الأب (مثلا) على كرامة زوجته ، أو تفلت أيدينا .. سواء في هذه المرحلة أو ما يتلوها من سنوات ..

أن نهمل مسألة تعليمهم في وقت مبكر ، فالابتسامة تعليم .. والحوار الهادىء بين الوالدين تعليم .. وتعديل الثياب تعليم .. والجلسة السليمة والحركة السليمة تعليم .. والـ « حدوتة » الموظفة تعليم ..

أن نتركهم يجالسون الكبار .. الضيوف .. وهم لا يتحفظون ..

أن نطردهم الى الطريق لنتخلص من « صراخهم » ففي الطريق الذي اختفت منه « آداب الطريق » مخاطر لا حصر لها ..

وآخرا ، وليس أخيرا ، أن نتراخى عن بدء الترتيبات الدائمة للكشف الطبي المنظم عليهم .

☆☆☆☆

ويكبر أصحاب الغد بأسرع مما نتوقع ، فتنتهي مرحلة طفولتهم المبكرة لتبدأ مرحلة « **الوعي النامي** » ، وفيها ينزلون إلى الطريق جبرا ويرتبطون بالمدرسة ..

وهي ، بعد مرحلة الطفولة المبكرة ، أخطر مراحل التربية ..

في هذه المرحلة تثبت قواعد السلوك السوى علميا ودينيا واجتماعيا ، أو السلوك غير السوى .. ففي المجال العلمي تبرز أهمية الكتاب الذي سيظل المرجع الأساسي الدائم لكل علم وفكر وفن (والدين علم وفكر وفن) ، ويأتي الضرر هنا من

احتمالين :

الأول : أن نغفل أهمية « وجود » الكتاب (والمجلة والصحيفة) في متناول أصحاب الغد ، وتعويدهم الاعتناء به وحفظه ..

وهم إذا تعودوا ذلك بالنسبة للكتاب باعتباره شيئا ثمينا ، تعودوه بالنسبة لكل ما هو ثمين ..

والثاني : أن نترك الكتاب (والمجلة والصحيفة) يصل اليهم وفيه شيء من التهاون أو الخطأ ..

والخطأ القليل هنا كالخطأ الكثير ، ففي لقائهم الأول مع الكلمة المطبوعة لا يستخدم أصحاب الغد ملكة النقد التي لم تكتمل مقوماتها لديهم بعد .. بل « يمتصون » كل ما يطالعون ..

وما أظنني بحاجة إلى الكلام عن أضرار الصورة المثيرة ، والروايات الغرامية الهابطة ، والمغامرات البوليسية بصفة عامة ، والكتب المترجمة تجاريا ـ وأي شيء من ذلك يدخل البيت يصبح في متناول الأطفال حتما .. ولا ننس الأفلام المستوردة دون تمييز ..

وفي المجال الديني ، يأتي الضرر من تكاسل الآباء والأمهات عن إدخال أصحاب الغد إلى جماعة المصلين والصائمين من أفراد الأسرة ـ فمن لا يتعود هذه الشعائر صغيرا تثقل عليه كبيرا . أو عدم الحرص على شرح الحكمة والغاية من الصلاة والصيام ، والفائدة من الصدقة والزكاة ، وغير ذلك من احكام ..

وفي المجال الاجتماعي يصادفنا الكثير من التطبيقات العلمية والدينية ، فالنظافة أول وسائل الوقاية من المرض .. وأول عناصر الجمال .. و « النظافة من الايمان » ..

والنظافة الجسدية هامة بعامة ، ونظافة المداخل والمخارج والأعضاء التناسلية شديدة الأهمية بخاصة . والملابس الداخلية غير النظيفة ، أو غير الملائمة ، تتسبب في أضرار بالغة ..

والنظافة الجسدية خطوة نحو النظافة الروحية ..

والتكافل الاجتماعي هو الوسيلة الوحيدة لسعادة المجتمع ، وليس غيرها من وسيلة تضمن سعادة الفرد الذي لا يأمن الفقر على غناه .. ولا يأمن الضعف على قوته . والتكافل الاجتماعي لا يقف عن حد إخراج الصدقة والزكاة ، فالانتظام في الطابور أمام ابواب الخدمات ـ مثلا ـ تكافل اجتماعي ..

والقذارة ضرر ، والتناحر الاجتماعي خطر ..

ثم يأتي الضرر من ترك اصحاب الغد يختلطون بالكبار من غير الأقارب القريبين والمحارم ، أو ينفردون بأترابهم بعيدا عن رعاية الأهل أو « المربين » ..

من التهاون في توقيع العقوبة عند الخطأ ـ فور الخطأ ـ سواء أكان الخطأ إيجابيا أم سلبيا ..

من قبول الاعتذار على أساس « أنا ـ مالي ـ دخل » ، فالمجتمع الذي لا يكون

لافراده دخل بغير مصالحهم المباشرة مجتمع مفكك يتحتم على أفراده هؤلاء ـ بسبب سلوكهم هذا ـ أن يعيشوا صراع الغابة .

☆☆☆☆

وفي مقدمة مصادر الضرر (المحتمل) وسائل الاعلام التي يبدأ تأثير بعضها ـ كما أشرنا ـ في وقت مبكر ، قبل القراءة بزمن .

أجل ـ هي مصدر نفع بحسب القصد والغاية ، واعتبار ما تقدمه من علم ودين وسائر مواد التنوير . الا أن ذلك كله يتراجع أحيانا أمام الضغط الشديد لمؤسسات الاستغلال التجاري ، أو الاغراء المبهر لمختلف الصور الدرامية ..

ولنتأمل بعض مزالق الضرر في وسائل الأعلام بصفة عامة ..

السقوط من فنية التشويق الى حمأة الاثارة ..

نشر الاعلانات عن سلع ضارة باجماع ، أو من وجهة نظر قومية ..

الدعاية الملحة والمكثفة لحمل الناس على زيادة الاستهلاك ، وزيادة الاستهلاك في حد ذاتها ـ حتى من الطيبات ـ تضر بالمستهلك الفرد والأمة .. وأصحاب الغد « سوق » مهيأة بطبيعتها لزيادة الاستهلاك ..

اتصال ساعات عرض « الخياليات » من الانتاج المحلي والأجنبي ، واتساع المساحات المخصصة لها بالصحف ، وما يلاحظه الدارسون من تحول المشاهدين (والسامعين والقراء) إلى مدمني انفعالات .

ولنتصفح بعض المجلات النسائية ، وهي واقعة بين يدي أصحاب الغد لا محالة ، لنرى كيف تحض المرأة بإصرار على العناية بعينيها .. بشرتها .. شعرها .. سيقانها .. رشاقتها وأناقتها؟ـ وتقل مما تقول (ان قالت) عن العناية بالسلوك .. عن الحرص على أداء الواجب .. عن أهمية العفة والحشمة .. عن روعة الحياء ..

ولنراجع بعض الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية ، لنرى الكم الكبير من عدم الالتزام بالدقة ، وعدم الوضوح ، وعدم الامانة في التعبير ..

كل ذلك ضار بأصحاب الغد الذين لا يميزون ..

☆☆☆☆

يكبر أصحاب الغد وينزلون إلى الطريق ، غادين إلى المدرسة ورائحين إلى بيوتهم ..

وفي بعض الطريق يطالعون إعلانات (ضخمة ـ وثابتة) عن الأفلام لا يخلو أحدها ـ حيث يسمح بذلك ـ من وضع إغراء ..

وفي بعض الطريق يستمعون إلى سباب وألفاظ نابية ، وإلى مهاترة ، ويشاهدون حركات بذيئة من الكبار ..

وفي الطريق كله يتعلمون مرغمين « أدب الكتف » الذي يحكم مواقع الاحتشاد ، وأدب الكتف هذا اذا نجح في ممارسته قوى استمرأه ولم يكف عن ممارسته إلا عندما « يكتفه » من هو أقوى منه كتفا ..

وفي الطريق أضرار وأخطار أخرى جمة ..

ويصلون إلى المدرسة ..

والمدرسة هي الامتداد الطبيعي للبيت ..

في البيت حضانة وتربية وتعليم ، وفي المدرسة تربية وتعليم وتعلم

وندع التربية جانبا ، باعتبارها تطبيقا لكل مسؤوليات الآباء والأمهات على أيدي « مربين » مؤهلين مختارين .. ونكتفي بترجيح لقب « **المربي** » في الدلالة على اسم « المدرس أو المعلم » ..

ونتكلم عن التعليم ، عن المؤثرات الضارة بأصحاب الغد في مجال التعليم .. بعد الانحراف (عن التوازن السوى) الى الرياضة أو اللغات الأجنبية أو غير ذلك .. فالانحراف ضار على أية حال ..

والتعليم ككل نشاط إنساني ، يكون عبثا وضررا - إذا لم تكن الوسيلة المستخدمة فيه مؤدية للغاية فما هي الغاية من التعليم ؟

الغاية من التعليم - ومن التعلم - كانت دائما تزويد الانسان بالقدرة على الفهم والتمييز وحسن التصرف ، والمعلومات اللازمة لمواجهة مشكلات الحياة والتغلب عليها بأقل جهد ومن أيسر سبيل .. لتحقيق السعادة للذات وللجماعة . وربما لم تحقق « الشهادة » الجامعية شيئا من ذلك ، ويقينا لن يحقق « التلقين » شيئا منه .

وتوحيد المناهج العلمية « **المقررة** » على أصحاب الغد في البيئات المختلفة لن يساعدهم على تحقيق السعادة للذات وللجماعة ..

وتوحيد المناهج العلمية المقدمة لاصحاب الغد من الجنسين ضار بهما أيضا - بالجنسين .. فكل ضرر يصيب أحدهما عائد بالضرورة على الآخر ..

وللفتاة طبيعة مختلفة عن طبيعة الفتى ، تمكنها من القيام بدورها المقدس في الحياة - دور الأم ، وهي لن تكون أما الا بزوج ، فهي ملكة اذن على مملكة عظيمة وان قل عدد أفرادها .

ولقد تعرضت المرأة - وهي تتعرض ، حتى في بلدان « الشمال » - لنظرة اجتماعية غير سليمة ، لكن القضية هنا ليست قضية مساواة كما يتوهم البعض . المساواة بين المرأة والرجل - أو بين الرجل والمرأة - مستحيلة بحكم التكوين الفيسولوجي المختلف ، بحكم الدور الذي يقوم به كل منهما « جسديا » - واجتماعيا . ودور المرأة « الجسدي - ان جاز التعبير - لا يحتاج بيانه لجهد ، فهي تحمل خلق الله وتعيش المعجزة الكبرى تسعة أشهر طوالا يسبقها ويتلوها اضطرابات واحتياجات بدنية ونفسية معروفة . المرأة تحيض ، وتحمل ، وتلد ، وترضع ، وما من تشريع يقدر أن يعفيها من هذا كله أو بعضه . ثم هي تحضن

طفلها ، وتسقيه مع لبنها حنانا وتعتني بنظافته ولباسه وصحته . وترعى في الوقت نفسه اخوته .. وترعى زوجها .. وترعى بيتها ، وما من تشريع يقدر أن يغير من هذه المسؤولية ، والسلطة ، المبثوثة في خلايا **كل امرأة سوية** ..

القضية هنا قضية احترام الرجل المرأة على الرغم من الاختلاف ، قضية الفهم الواعي لدواعي الاختلاف ، فخالق الجنسين تعالى لا خالق غيره .. ولو ان غير ما خلق وسوى صالح لخلقه لخلقه .

ومن الاحترام والفهم تنبع ضرورة ترشيد ما نمد به المرأة الصغيرة ـ صاحبة الغد ـ من علم ييسر لها الوفاء بالتزامات دورها العظيم ويهون عليها أعباءه الجسام ..

ويخطر ببالنا قول جميل الصياغة ـ يبدو لجماله صحيحا ، ذلك الذي يقرر أن عدم اشتغال المرأة بالأعمال العامة ـ كالرجل ـ تعطيل لنصف المجتمع . فالتدقيق يقودنا الى الاقتناع بأن خروج « الأم » للعمل ـ كالرجل ـ يكون ، بعد الاستثناءات ، وبعد اعتبارات الضرورة ، تعطيلا للمجتمع كله وخسارة من جميع الوجوه .

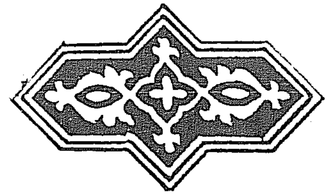
● الأم اذا خرجت للعمل عجزت عن أداء التزاماتها قبل أصحاب الغد في مرحلة المهد وفي طفولتهم المبكرة وفي مرحلة الوعي النامي ، ودور الحضانة لن تقدم لهم ما تملكه الأم وحدها ..

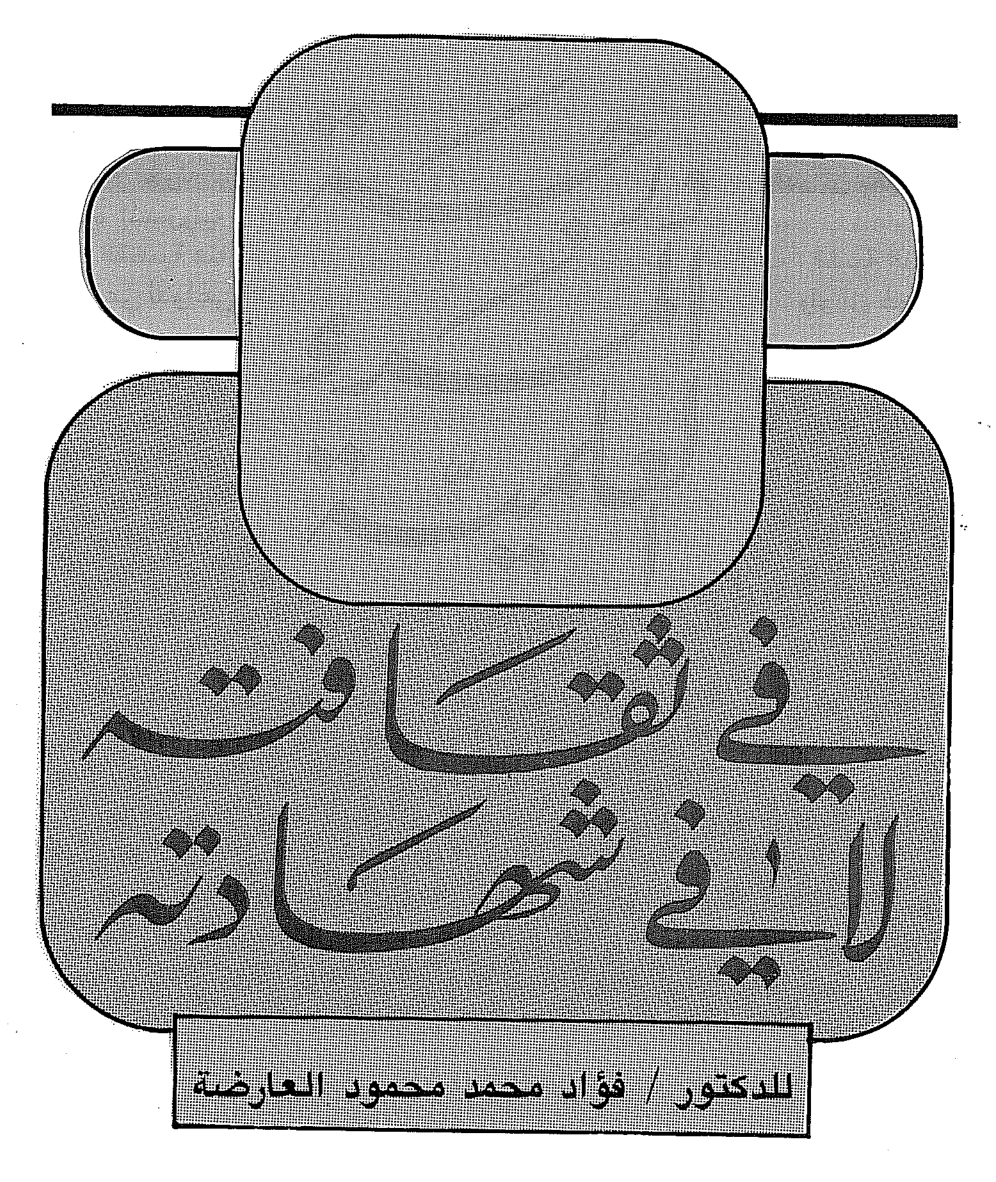
ودور الحضانة نفسها مشكلة قائمة بذاتها ، حتى في الدول المتقدمة عمرانيا وصناعيا ..

● والأم (الزوجة) اذا خرجت للعمل ـ كالرجل ـ عجزت عن تقديم النعم الجليلة التي لا غنى للزوج عنها ، عجزت على الأقل عن توفير الراحة التي يحتاج اليها .. المودة التي يجتاز معها مصاعب الحياة .. والاهتمام الذي يشجعه ويحفزه .. وليس ثمة من يؤدي هذه « **النعم** » غيرها ـ اللهم إلا بعض السكرتيرات ..

● والأم اذا خرجت للعمل ـ كالرجل ـ أنفقت من ميزانية الأسرة على دور الحضانة (عند توفرها) ، والمواصلات والثياب والزينة (الاضافية) والشغالة جانبا كبيرا من اجرها ـ ويبقى لها الارهاق وغياب الشعور بالسعادة الذي يغمر كيانها كلما تفتحت بذرة جهد غرستها هي بنفسها وتعهدتها ..

● وبعد ـ فربما لا يصدق كل ما قلناه على مجتمعاتنا العربية النامية جميعا ، وربما فاتتنا اضرار ظاهرة او مستترة .. لكن ذلك من طبيعة الاجتهاد يخلص ، ولا يحيط .





تقدم المدرسة والجامعة لطالب العلم مفتاح العلم :

مايتلقاه طالب العلم في المدرسة والجامعة من ألوان العلوم والآداب والفنون ليس الا نماذج وعينات بسيطة ، وهي قطرات تبل الريق ولا تروي ولا تطفىء الظمأ ، وهي لقيمات تمسك الرمق ولا تشبع ولا تسمن ولا تغني من جوع .

وهكذا تقدم المدرسة والجامعة للطالب مفتاح العلم والثقافة وتدربه على السباحة في بحر العلم كما يدرب السباح على السباحة في بحر الماء . فالطالب الذي يقنع بوضع المفتاح في جيبه او خزانته ولا يفتح به ابواب العلم المغلقة ويكتفي بالسباحة عند الشاطىء ولا يتوغل في اعماق البحر ولا يغوص في قاعه لا يخرج

بدرر ولآلىء ولا يعرف شيئا عن اسرار البحر ولا يصير خبيرا بأمور بحر الحياة .
والذي يكتفي بما تلقاه في المدرسة والجامعة من نماذج ثقافية وعينات علمية لا يعد عالما مثقفا فالعالم المثقف حقا لا يكتفي بالسباحة والوقوف عند شاطىء بحر العلم بل يخوض غمار البحر يعب من مائه مااستطاع الى ذلك سبيلا .
وهو مهما عب من الماء لا يعب الا ملء بطنه وذلك نزر يسير فالعلم بحر محيط مهما أوتي الانسان من ذكاء وفطنة وعلم وثقافة فلا يعرف ولا يعلم الا القليل كما قال الله تبارك وتعالى : « **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » الاسراء / ٨٥ .
وقال الشاعر العربي :
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

فالذي يدعى الشبع والارتواء من بحر العلم والثقافة يكون غرا مغرورا وجاهلا جهولا ، فالعالم الواعي المستنير يبقى عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل .
والعاقل الواعي كلما تعمق في بحر العلم والثقافة أدرك مدى جهله كما ان السباح في بحر الماء يعرف مقدار عجزه عن الوصول الى قلب البحر كلما توغل في القاع والعمق . والاستاذ المعلم هو الذي يعتبر نفسه دائما تلميذا في مدرسة الحياة فاذا اعتقد انه صار استاذا معلما فاعلم بأن الغرور قد ركبه ، ووضع قدمه في طريق الفشل والسقوط .
والتوسع في بحر العلم والثقافة والتعمق فيه يتطلب عدم الاكتفاء بما تعلمه المرء في المدرسة والجامعة والانصراف الى التزود بالمزيد من شتى ألوان العلم والمعرفة .
فالشهادة المدرسية والجامعية ليست دليلا قاطعا على الثقافة الواسعة انما هي مؤشر على الثقافة وجواز مرور للعمل في حقل الحياة ، وبداية المشوار وليست نهاية المطاف . كما انها لاتضمن لصاحبها ان ينجح في مدرسة الحياة العملية . فالنجاح في مدرسة الحياة اشق وأعسر من النجاح في المدرسة ، فرب ناجح متفوق في المدرسة تجده فاشلا في مدرسة الحياة ، ورب فاشل مقصر في المدرسة تراه ناجحا مبرزا في مدرسة الحياة .
وهكذا الشهادة العلمية الحقة هي مايختزن في رأس المرء وصدره من الوان العلوم والآداب والفنون ، كما ان كثرة الكتب في المكتبة لاتدل على غزارة علم صاحبها وسعة ثقافته فالعلم والثقافة لما يحوي الرأس والقلب كما قال احد الشعراء :
ليس بعلم ماحوى القمطر ماالعلم الا ماحوى الصدر

وكما ان من يحفظ اقوالا حكيمة لا يعد حكيما حتى تظهر الحكمة في أقواله وأفعاله وتصرفاته كذلك المتعلم المثقف لا يعد مثقفا حقا مالم ينفع نفسه وغيره بما يحفظ ويعي من ضروب العلم والمعرفة والا كان كالببغاء أو كالحمار يحمل أسفارا

كما يقول الله سبحانه وتعالى : « **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا** » الجمعة / ٥ .

والعالم الذي لايعمل بعلمه كشجرة لا تزهر ولا تثمر . ولا خير في عالم لا يعمل بما يعلم ولا وزن لعالم لا يكون أسوة حسنة ومثلا طيبا لغيره في علمه وثقافته .

وهكذا تتجلى الحكمة في المواقف والاعمال والسلوك ولا تكون بحفظ الاقوال الحكيمة والكلمات المضيئة والا عُدَّ المجنون الذي يحفظ حكمة حكيما .

والايمان ماوقر في القلب وصدقه العمل . والعلم أيضا ما اختزن في الرأس وحوى الصدر وتجلى في العمل والسلوك والمواقف .

ولا يعد مثقفا شخص ينحصر علمه ومعرفته في مجال تخصصه ، فالمتعلم المثقف هو الذي يكون له اطلاع على شتى الوان المعرفة والثقافة من علوم وآداب وفنون . فالتنويع في المعرفة والثقافة كالتنويع في الطعام والشراب . وتتكامل العلوم والآداب والفنون وتتآزر في بناء الانسان الطيب المثمر واعداد المواطن الصالح كما تتكامل أعضاء الجسم في وجود الانسان السوي المتكامل وكما تتكامل شتى ألوان الطعام والشراب في توفير الصحة والعافية للانسان .

ثمار العلم الطيبة :

ولنا أن نتساءل هنا : لماذا يطلب المرء العلم وينفق الكثير من وقته وجهده وماله في طلبه وتحصيله ؟ هل يفعل ذلك لمجرد نيل شهادة علمية يزين بها صدره ويتوسل لجمع مال جم أو الوصول الى منصب عال وجاه عريض .

أجل ان للعلم غايات وأهدافا أجل وأسمى من هذه المظاهر الدنيوية الزائلة وثمارا أحلى وأزكى من ذلك كله . ففي أضواء العلم الساطعة وتحت أشعته الكاشفة تتجلى حقائق الاشياء وأسرار الحياة وتنمو شجرة الايمان المباركة الطيبة وتثمر ثمارها الحلوة النافعة . فالعلم يبدد ظلمات الجهالة والضلالة والكفر والشرك بالله ، ويهدي الى طريق الحق والخير والصواب كما يقول أحد الشعراء :

العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه　　كما يجلي سواد الظلمة القمر

فالعالم ينبغي أن يكون أكثر الناس اطلاعا على حقائق الكون وكشفا لأسرار الوجود وعلى رأس تلك الحقائق معرفة الله سبحانه وتعالى والايمان به وحده لا شريك له وخشيته دون غيره ، قال الله عز وجل : « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » فاطر / ٢٨ فالعالم الحق يؤمن بالله وحده لا شريك له ويتقيه قولا وعملا ظاهرا وباطنا فليس من العلماء الحكماء من لا يعرف الله ولا يخشاه ، فالايمان بالله مرآة العقل وجماع العلم والفهم . ورأس الحكمة مخافة الله . فالكفر بالله والشرك به مما يدل على قصور عقلي عن ادراك هذه الحقيقة . ولا خير في عالم لا يعرف الله ولا يتقيه ، ويتخذ العلم حرفة يتكسب بها وتجارة يبيع فيها ويشتري .

فالعلم فوق المال والمادة والتجارة . فالعلماء ورثة الانبياء وكواكب الارض وأمناء الله على خلقه . والعلم نور للعقل والبصيرة يبدد ظلمات الجهل والضلال كما يبدد نور الشمس والقمر سواد الليل ، وهو يهدي الى الصراط المستقيم وطريق الخير والحق والصواب والجمال كما يهدى نور الكهرباء وضوء القمر السارين في الليل ، فلا خير في عالم يستوي عنده الليل والنهار والظلمات والنور ولا يعرف الى الحق والصواب سبيلا ويلبس الحق بالباطل ولا يميز الخبيث من الطيب كما قال المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الأنوار والظلم

والعلم يشرب الانسان مكارم الاخلاق وسامي الفضائل والآداب ويهذب النفس ويجذب غرائزه ويسمو بروحه ويعزه ويرفع شأنه كما قال شاعر حكيم :

العلم يرفع بيتا لا عماد له   والجهل يهدم بيت العز والكرم

والعلم يضيء قلب المرء بنور الايمان واليقين والهدى ويملأ فؤاده بمعاني العزة والكرامة والحياة الحرة الكريمة ، ويوفر له حياة انسانية راقية طيبة .

وبذلك لا يكون من العلماء عالم يتخبط في سيره وتراه أعشى البصر وأعمى البصيرة والعلم النافع يحمي صاحبه من ذل السؤال ومد اليد للغير من شر الفقر والجوع مصداقا لقول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « العلم النافع أمان من الفقر » وبالعلم يسمو الانسان على الحيوان ويحيا حياة انسانية راقية قوامها النظام والقانون والانضباط . فالشخص الذي لا يرتب أموره ولا ينظم حياته ولا يخطط لمستقبله ولا يتبع طريق القانون والنظام لا يعد متعلما مثقفا وان كان يحمل شهادة علمية عالية . والاخلاق هي القانون الطبيعي الذي يضبط حياة الانسان وينظم مسيرته ويوفر له الأمن والسلام والسلامة من المشاكل والورطات والشرور ، فاتباع النظام والقانون من ثمار الوعي والعلم والتقدم الحضاري والرقي الاخلاقي الأدبي . وهو ظاهرة انسانية جميلة مشرقة . أما الفوضى فمن الجهل والتخلف العلمي والأدبي وظاهرة حيوانية .

ومقياس الوعي الوطني ولباب العلم والفهم والتضحية والإيثار ووضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة . ولا غرو . فالمواطن جزء من الوطن والمصلحة الخاصة فرع من المصلحة العامة . ومايصيب الكل والأصل يؤثر على الجزء والفرع . فلا وحدة ولا قوة ولا عزة ولا فلاح لمجتمع تذوي فيه روح التضحية والإيثار والأخوة ، وتنحر فيه المصلحة العامة على مذبح المصلحة الخاصة فالأثرة والأنانية آفة التعاون والاتحاد وطريق التمزق والتفرق والضعف والتخلف .

ويبرأ العلم من العالم المتهتك كما يبرأ من الجاهل المتنسك كما يقول الامام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : قصم ظهري رجلان : « عالم متهتك وجاهل

متنسك » . وكلاهما بعيد عن العلم والايمان وصورة قاتمة منفرة تبعث الاشمئزاز . وأين العلم والثقافة من حامل علم لا يلجم نفسه بلجام الأدب والفضيلة ويجرفه تيار الشهوات والمغريات ولا يعرف التحريم والتحليل . ونفس الانسان أمارة بالسوء بفطرتها وطبيعتها كما يقول الله سبحانه وتعالى : « **وماأبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء** » يوسف / ٥٣ ومن شأن العلم والثقافة تزويد الانسان بارادة كابحة ضابطة وعزيمة صادقة وهمّة عالية ، وانسان بلا إرادة قوية كسيارة بلا جامح . وذلك يتطلب تربية النفس تربية روحية فاضلة وتنشئتها تنشئة صالحة ، والنفس وما تربى عليه كما يقول البصيري :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وترى المتعلم المثقف المستنير يغذي عقله بثمار العلم والأدب والفن كما يغذي جسمه ويملأ بطنه بشتى ألوان الطعام والشراب ولا يشبع من ثمرات الثقافة الشهية المغذية ولا يرتوي من منهل المعرفة العذب يحدوه الى ذلك قوله تعالى : « **وقل رب زدني علما** » طه / ١١٤ وقال الشاعر :

إذا مر بي يوم ولم أتخذ يدا ولم أستفد علما فما ذاك من عمري

والعالم المثقف حقا تبقى شهيته مفتوحة دائما لالتهام المزيد من ثمار العلم والأدب والفن فاذا انسدت شهيته العقلية والنفسية جاع وعطش وتبخر ما يختزن في رأسه من علم وثقافة ، فالعلم بحر محيط مهما نهل الانسان منه فلا يعرف إلا وشلا يبل ريقه ولا يطفىء ظمأه ولا يروي نفسه الظامئة .

والمرء الواعي المستنير ينتهز فرصة العمر والحياة القصيرة الخاطفة ويستغلها في غرس الشجر الطيب الحلو والتعمير والتنوير ولا يألو جهدا في خدمة أهله وأمته وإنسانيته بعقله وقلبه ولسانه ويده يحدوه الى ذلك قوله تعالى : (**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) الملك/٢ فهو يأكل ويشرب ويعمل ليحيا حياة حرة كريمة ، ولا حياة حرة طيبة إلا في ضوء شمس العلم وحرارة الايمان ، ويأبى ان يعيش عيشة الجاهل الذي لا يفهم من الحياة إلا الأكل والشرب والنوم ، وتحركه شهواته وغرائزه .

والعالم المثقف حقا ينير بصيرته بأنوار العلم والثقافة والحكمة كما ينير منزله بأنوار الكهرباء الساطعة ويهتم بأن يكون نور بصيرته نافذا ثاقبا كنور بصره ويعتني بنظافة باطنه كما يعتني بنظافة ظاهره ويضع جمال مخبره وجوهره فوق جمال منظره ومظهره ويحفزه الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » رواه مسلم وابن ماجه .

وكما قال الشاعر الفارس عمرو بن معد يكرب :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

ومن هذا المنطلق يوزن الناس بميزان العلم والعمل والخلق والصلاح والتقوى كما يقول الله سبحانه وتعالى : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** ويقول عز وجل **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/١٣ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خياركم أحاسنكم أخلاقا » رواه البخاري ومسلم . والعالم الجليل يتواضع لله والناس ولا يمشي في الأرض مرحا ولا يصعِّر خده للناس كالغصن المحمَّل بالثمار . أما المتكبر المغرور فتراه يتطاول في مسلكه ويختال في مشيه كالطاووس ينظر الى الناس من عل فيرى الناس صغارا والناس يرونه صغيرا وفي ذلك قال شاعر حكيم :

مثل المعجب في إعجابه مثل الواقف في اعلى الجبل
ينظر الناس صغارا وهو في أعين الناس صغيرا لم يزل

وهو في تكبره واختياله طائش فارغ من العقل والفهم كالغصن الخالي من الثمر ، وهكذا كلما ازداد المرء علما وفهما ازداد بساطة وتواضعا ، وكلما قل عقله وفهمه كثر تكبره وصلفه ، فالتواضع من ثمار العلم والفهم ، والتكبر من الجهل والسخف ، والعالم حقا تراه دائما جم التواضع والبساطة قولا وعملا في مسلكه في الحياة وتعامله مع الناس ، يتحلى بروح ديمقراطية ورحابة صدر ، ولا يضيق ذرعا بما يوجه إليه من نقد هادف بناء ، يشكر من يبين له عيوبه وأخطاءه قائلا له ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « رحم الله إنسانا أهدى إلينا عيوبنا » .

ومن أبرز صفات العلماء الحلم والتسامح والعفو عند المقدرة والاعراض عن الجاهلين والترفع عن مجاراة السفهاء والنزول الى مستواهم عملا بقوله تعالى : **(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)** الفرقان/٦٣ وبقوله عز وجل : **(وأعرض عن الجاهلين)** الأعراف/ ١٩٩ .

والعلم نور ينير لحامله طريق حياته ويفتح بصره وبصيرته على نور الحق والحقيقة واليقين ، ويجعله رجلا كامل الرجولة يسود نفسه ويقودها ويعرف ما لها من حقوق وما عليها من واجبات ويتمتع بشخصية حرة مستقلة تأبى ان تكون ذيلا لغيرها أو دمية في يد الغير عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس ان تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » رواه الترمذي .

العلم لا يحد بزمان معين ولا مكان محدد فالعالم كله وطنه وداره . فهو كالحب والنور والهواء يتخطى الحدود الاقليمية ويتعدى الحواجز والسدود المادية والمعنوية كما أنه يتسامى على الفوارق الطبقية والتعصبات العنصرية والمذهبية والنعرات القومية والوطنية فهو للناس كافة كالنور والهواء والماء ولا غرو ، فهو من هبات الله ونعمه الجمة على عباده وخلقه كما قال الله تبارك وتعالى : (**اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**) العلق/٣ ـ ٥ والحضارة الانسانية ليست من نتاج مجتمع بشري واحد وانما هي ثمرة جهود إنسانية بذلت عبر الزمن على توالي السنين والقرون والعصور . لذلك يبرأ العلم الصحيح من حامل علم يتعصب تعصبا أعمى لبني قومه ووطنه وتراه متزمتا متعنتا في نظرته الى الناس ومواقفه من الآخرين . فالتعصب الأعمى ضيق أفق وقصر نظر وأثرة وأنانية وسلبية ورجعية ولا يثمر التعصب الأعمى بشتى ألوانه وأشكاله الا الشرور والفتن والحروب والمظالم والمآسي وهو غشاوة على البصيرة تحجب عنها الضوء ونور الحق واليقين .

وأول ما يجب على العالم المثقف ان ينفع نفسه بما يحمل من علم وثقافة والا كان كما قيل : « طبيب يداوي الناس وهو عليل » ومن لا خير فيه لنفسه لا خير فيه لغيره ومن يعجز عن منفعة شخصه يعجز عن إفادة غيره ولا يتأثر الناس ولا يقتدون بعالم لا يعمل بعلمه ولا يستضيء بنور بصيرته كما يستضيء بنور بصره .

ويجب عليه ثانيا أن يستثمر علمه وثقافته في خدمة أهله وأمته ووطنه وانسانيته والا كان أنانيا سلبيا وكان شجرة غير مثمرة أو مصباحا عاطلا عن العمل والإضاءة فمن لا خير فيه لأهله ووطنه لا خير فيه لغيرهم ، ومن لا يحترمه أهله لا يحترمه غيرهم ويستمد المرء مكانته في الخارج من مكانته في الداخل ، والعالم الذي لا يفعل ذلك يُعدّ خائنا لرسالة العلم التي يحملها على عاتقه ، فالعلم والتعليم رسالة سماوية كرسالة النبوة والايمان . فالعلماء ورثة الأنبياء وأمناء الله على خلقه وخير الناس الذي يتعلم ويعلم نفسه وغيره بما يكسب من علم وثقافة كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه » رواه الدارمي عن أبي الدرداء . ويجب على العالم المعلم ان يبدأ بتعليم نفسه قبل غيره ويكون قدوة حسنة في رسالة العلم التي يحملها للناس كما قال احد الشعراء :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذات التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وهكذا نطلب العلم لنستضيء بأنواره الكاشفة ونهتدي إلى صراطه المستقيم ونتغذى بثماره الطيبة النافعة ونهذب نفوسنا ونجمّل حياتنا ونحيا حياة حرة كريمة .

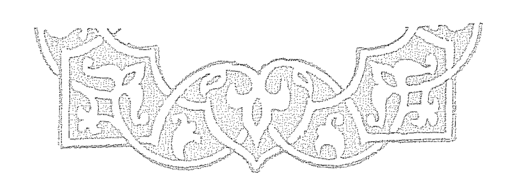
وتتجسد الدرجة العلمية الحقة التي ينالها المرء في الحياة وتتمثل فيما يختزن في رأسه من ألوان المعرفة والثقافة ويعيه قلبه من علم وأدب وفن ويصدقه قوله وعمله ، ولا يتمثل في عدد الكتب التي تحويها مكتبته ولا في الشهادة المدرسية أو الجامعية التي يحملها في يده أو يعلقها على جدار بيته . ولا تقدم ولا فلاح لفرد أو شعب يعشو عن نور العلم والايمان ولا يستضيء بأنوار ما عنده من كنوز ثقافية ويقتله ظمأ الروح وخواء الرأس والسماء تشع نورا وتنزل غيثا والأرض تتفجر عيونا وكنوزا فهو كما قال الشاعر :

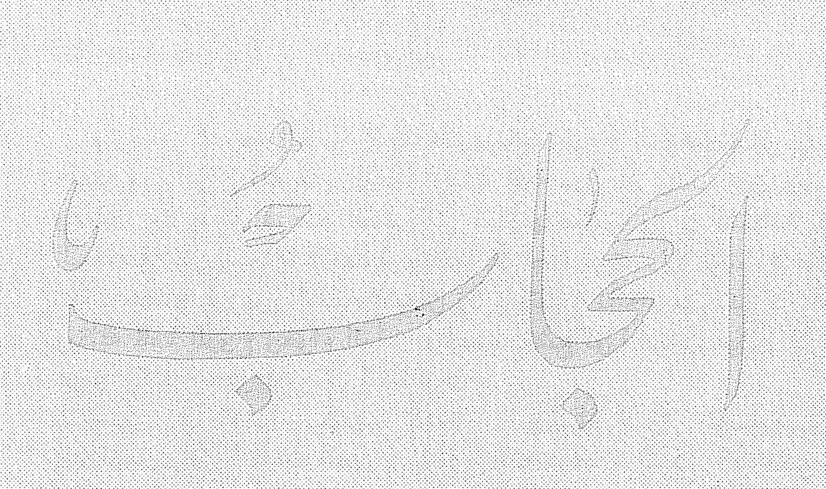
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وما أضل وأقل الشعب الذي لا يعمل بعلمه ويشغله الجدل البيزنطي عن العمل المثمر ويطول لسانه وتقصر يده ويقول ما لا يفعل ويعمل ما لا يقول ويكون غضبه في قوله وصراخه لا في عمله وسلاحه .

فالمسلمون الأوائل أفلحوا وعزوا وأقاموا أعظم دولة عربية إسلامية في زمانها وأرقى حضارة روحية مادية وسماوية أرضية عرفها التاريخ لأنهم استضاءوا بنور العلم والايمان ، وغذوا أنفسهم وعقولهم وأجسامهم بثمار الاسلام الطيبة الحلوة ، وتداووا ببلسمه الشافي فتمتعوا بنعمة الصحة الجسمية والنفسية والعافية الروحية والمادية .

أما المسلمون اليوم فإنهم يقولون ما لا يفعلون ويعملون غير ما يقولون ويعلنون خلاف ما يسرون فيصدق عليهم قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون**) الصف/ ٢و٣ وهم يعانون من التخبط والحيرة والضياع ومن الجهل المطبق والضلال البعيد والتخلف الحضاري المزمن المهين والتمزق الروحي والمادي والفساد الأخلاقي ، فهم يَعْشون عن نور الاسلام الساطع ويعرضون عن صراطه المستقيم ، مع العلم بأنه نور أبصارهم وبصائرهم ودستور حياتهم ومصدر قوتهم وعزتهم وجامع أرواحهم وأبدانهم وجنتهم في الدنيا والآخرة .





للاستاذ : محمود مفلح

اسدلي يابنة الكرام الحجابا وافخري فيه مظهرا ولبابا
ان فيه العفاف والطهر والحشمة والمجد والتقى والثوابا
لا تراعي مما ترين من الزيف فليس السراب الا سرابا
انت غصن في دوحة الحق فواح زكي الثمار طابت وطابا
انت بنت الاسلام فيه تغنت وفي ظله سموت شهابا
كم تحديت في الطريق صعابا وتحملت في الطريق عذابا

xxx

زعموا انما التقدم في العرى فراحوا يمزقون الثيابا
زعموا انما الحياة فتاة تتغاوى وشيخة تتصابى
فاستشاطوا على الطريق جنونا وجروا خلف امهم اذنابا
وتباروا في الموبقات وقالوا انه العصر لايطيق حجابا
فترى المنزل المحصن وكرا وترى السيد المطاع غرابا
وغدا المسرح العجيب ديوكا تتبارى ومخرجا يتغابى

xxx

وتعـرت تلـك الشقيـة حتى شـربت من سمومهم اكـوابـا
مـزقت برقـع الحيـاء وراحت تشـرب العمر غصـة وعذابـا
انكـروا ان تكـون ربـة بيت وتمـادوا فانكـروا الإنجـابـا !
فتـولت عن الـزواج وراحت في جنـون تحطـم الابـوابـا
وتـلاقت مـع الصبي عـراكـا لم تقـدر مع العـراك حسابـا
وغـدت تنكـر الابـوة والأصـل وتلغي مـن عـرفهـا الآدابـا
حسبت انهـا المدار وأن الكـون يجـري من حـولهـا إعجـابـا
والشياطين حولها ترقب الصيد وتجـري اليـه ظفـرا ونـابـا

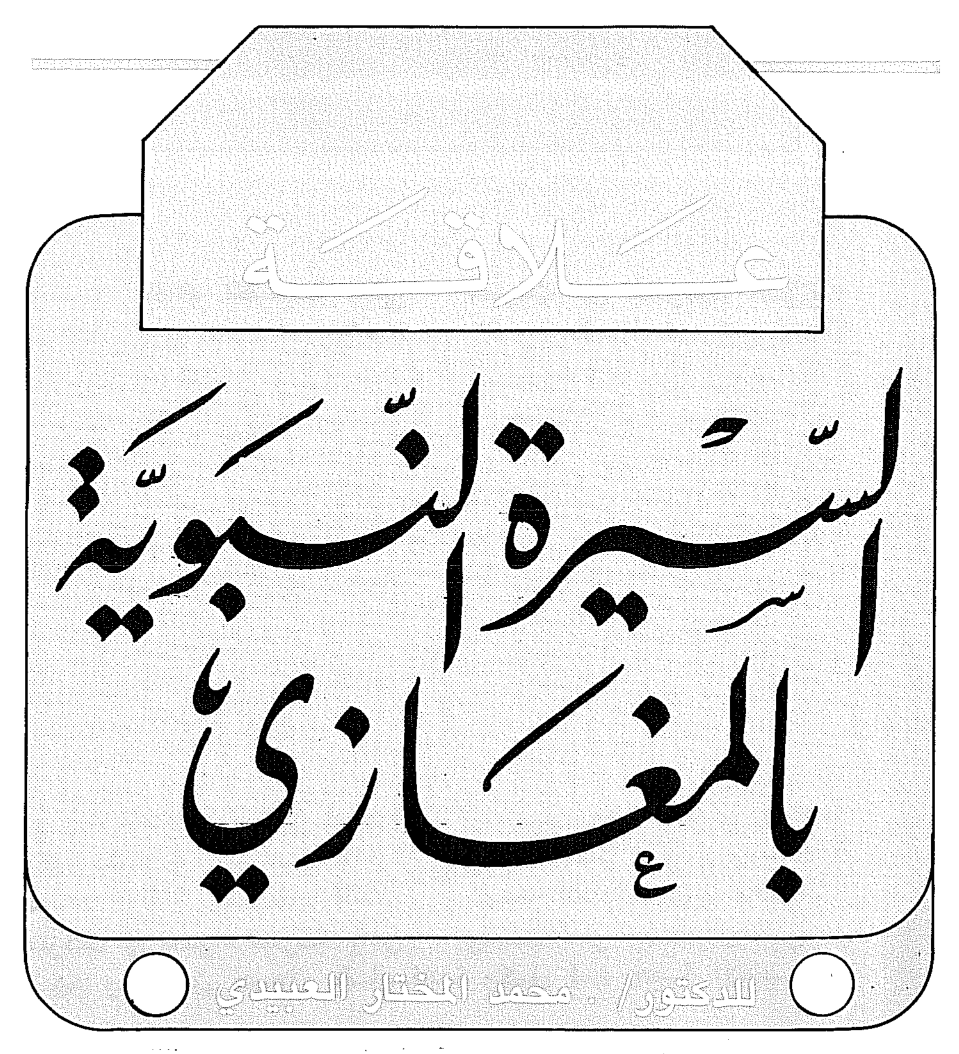
xxx

ثم جاء الخريف يصبغ فوديها ويطـوي مع الشبـاب شبابـا
فـاذا بالنجـوم تـرحـل عنهـا واذا بـالمنى تـزول سـرابـا
خمـدت وقدة الشبـاب فباتت تشتكي السيف تـارة والقرابـا
صرخت في العراء صرخة ياس وتمنت لـو تستحيـل تـرابـا
كلـهم واقفـون حـول بقـايـاهـا وكـل قـد هيـا الاسبـابـا

xxx

إيـه يادوحـة العقيدة كـوني للضحـايـا المعـذبـين مـآبـا
وامنحيهم من اليقـين شعاعـا وامنحيهم من الهدى محرابـا
انـهـا رحلـة الشقـاء ولكن رحمـة اللـه لاتـغلق بـابـا





يجمع الدارسون للسيرة النبوية قدامى كانوا أو محدثين على ان السيرة التي انطلقت أساسا من رواية الحديث كانت تعني في البدء تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم العسكري والغزوات التي قام بها لنشر دعوته وخضد شوكة أعدائه . فلم تكن السيرة مثلما يتبادر الى الذهن ومثلما آلت اليه هي فيما بعد ذكرا لكامل أفعال الرسول وأقواله .

يذكر حسين نصار في تقديمه لكتاب يوسف هوروفيتس (Joseph Horovitz) الذي نقله الى العربية سبب ترجمته لفظ (Biographies) بالمغازي لا السير قائلا : « وقد ترجمته باسم « المغازي الأولى ومؤلفوها » وآثرت كلمة المغازي لا السير مقتديا في ذلك بالمؤلف نفسه فهو الذي اختار هذا اللفظ وكتبه بالحروف اللاتينية في أصله الأوروبي .. ويجدر بي ان أشير الى ان لفظ المغازي يعني الغزوات وهي الحروب التي اشترك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالقتال ، ولكن هذا الاسم

تدرج في الزمن فاتسع معناه وشمل حياة النبي جميعها » .. ويقول مصطفى السقا في المقدمة التي صدر بها نفس الكتاب : « نشأت السيرة أول ما نشأت أحاديث في مجالس الخاصة كانت تدور حول مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأل بعض الولاة أو الأعيان في الأمصار الكبرى الاسلامية كالمدينة ودمشق عالما ممن اشتهر بالحفظ والرواية كيف كانت غزوة بدر ؟ أو من الذين شهدوا هذه الغزوة ؟ أو ما عددهم ؟ فيحدث القوم بما يعلم من ذلك مسندا الحديث الى من أفاده إياه من الصحابة .. وكانت تلك الأحداث أحيانا تفسيرا لبعض الآيات التي تضمنت شيئا من تاريخ الوقائع وغزوات النبي مثل يوم بدر ويوم أحد » .. أما هوروفيتس فقد حصر منذ الصفحات الأولى من كتابه معنى المغازي في الحروب فقال : « ووجد بين التابعين أناس يعتبرون علماء بالمغازي وهي الحروب وينبغي أن نقصر معنى هذا اللفظ على المعنى الخاص بأعمال النبي والصحابة الحربية » .. ولم يخف هذا الجانب عن المستشرق ليفي ديلا فيدا (Levi Della Vida)صاحب مقال سيرة بدائرة المعارف الاسلامية الفرنسية ، فقد لاحظ ان لفظ « سيرة » اقترن باستمرار في كتب مدونيها بلفظ «مغاز » يقول : « يوجد لفظ سير في أغلب الشواهد التي بين أيدينا عن انتاج الأدب العربي الأول المتعلق بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم مقترنا دوما بلفظ المغازي وهي الحملات العسكرية . وإن هذه التسمية من شأنها أن تدلنا على أصل السيرة المركب » .

ولم ينح غير هذا المنحى إلا مارسدن جونس (Marsden Jones) الذي قام بتحقيق أهم كتاب عن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وصل الينا كاملا بعد كتاب السيرة النبوية لابن هشام وهو كتاب محمد الواقدي (ت 207هـ) المعروف « بكتاب المغازي » يرى مارسدن انه لا فرق بين السيرة والمغازي بل اللفظان في نظره بمعنى واحد يقول : « إن اللفظتين « سيرة » و« مغاز » مستعملتان بمعنى واحد لا يفرق بينهما » وهذا الكلام في نظرنا غير صحيح لأسباب أهمها :

١ـ لم يعتن الواقدي في كتابه « المغازي » الذي حقق نصه مارسدن نفسه إلا بتاريخ الرسول العسكري ولا نعثر في كتابه الذي تربو صفحاته على الألف على لفظ سيرة ولو مرة واحدة ، ولئن ذكرت بعض المصادر ان الواقدي كان عريفا بالمغازي والسير فذلك لدرايته ككل المحدثين من أهل عصره بشمائل الرسول عامة ولتفرغه للمغازي ، خاصة وانقطاعه لها حتى أخرج للناس فيها كتابا .

٢ـ تعتبر كتب السيرة أبان بن عثمان ـ وهو ابن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ أول راو للمغازي وأول مدون لها . والمقصود بالمغازي هنا الغزوات والحروب ، ولا تذكر كتب السيرة وهب بن منبه وهو من جيل التابعين الأول في قائمة مدوني المغازي لأنه لم يعتن في كتابه « المبتدأ » إلا بتاريخ أهل الكتاب وبقصص الأنبياء وتاريخ الرسالات القديمة قبل محمد صلى الله عليه وسلم وحتى إن تعرض وهب في بعض مؤلفاته لتاريخ العقبة الكبرى وحديث قريش في دار الندوة والاستعداد للهجرة ووصول النبي الى المدينة؛لم يحشر في قائمة مدوني المغازي

فبات من المتأكد إذن أنه لا يعتبر مدونا للمغازي إلا من روى تاريخ الرسول العسكري ودونه .
٣ يلاحظ المتصفح لكتب السيرة والتراجم أن لفظي «سيرة» و« مغاز » غالبا ما يردان متلازمين إلا ان تلازمهما لا يعني ان اللفظين بمعنى واحد بدليل ان الخطيب البغدادي في تعريفه لابن اسحاق يقول : « كان عالما بالسير والمغازي وأيام الناس وأخبار المبتدا وقصص الأنبياء » فالخطيب في هذا التعريف هو بصدد تعداد « اختصاصات » ابن اسحاق اختصاصا اختصاصا . فلا يمكن أن يكون لفظا سير ومغاز مترادفين وإلا يصبح أحد اللفظين زائدا ، وما قلناه في شأن هذا التعريف يمكن أن نقول مثله في شأن تعريف ابن سعد للواقدي يقول صاحب الطبقات متحدثا عن الواقدي : « وكان عالما بالمغازي والسيرة والفتوح . ويقول عبد العزيز الدوري في حديثه عن ابن اسحاق أيضا : « وقد وجدت أخيرا قطعة من مؤلف ابن إسحاق هذا بعنوان السير والمغازي » فتلازم اللفظين إذن لا يدل على أنهما مستعملان بمعنى واحد كما زعم ذلك « مارسدن » . ولعل وقوعه في مثل هذا الخطأ ناتج عن كون لفظ مغاز اتسع معناه مع مرور الزمن ليشمل حياة الرسول جميعها فلم يعد التمييز بين المغازي والسير أمرا بسيطا هينا .

يبدو جليا من خلال التعاريف التي قدمنا أن السيرة جنحت في البدء للمغازي قبل ان تجنح لغيرها من المواضيع ، فلم تهتم إلا بما كان له بتاريخ الرسول العسكري مساس ، فراحت تستقصيه وتمحصه وتميط اللثام عن غامضه .

ولئن حصرنا معنى السيرة في المغازي فلا يعني ذلك أبدا أننا ننكر وجود رجال من التابعين أو تابعي التابعين انكبوا على تدوين أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ما كان منها متصلا بالمغازي أو بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة عامة ، فالسيرة قد سايرت في نشأتها كلا من علمي الحديث والتفسير ولكنها تميزت عنهما شيئا فشيئا فيما بعد ، ففيما يتعلق بالحديث فقد كان يدور في جملته حول أقوال الرسول وأفعاله وذلك بترتيب الأحاديث ترتيبا يخضع للمواضيع أحيانا ولأسماء الصحابة الذين ترفع لهم الأحاديث أحيانا أخرى . وكان للاسناد ، دور هام في معرفة صحيح الحديث من سقيمه على حد تعبير المحدثين أنفسهم ، وكانت الغاية من التفسير بالمأثور إبراز الغامض من القرآن وتوضيح ما تشابه منه ولهذا عدت أحاديث الرسول أصلا ثانيا بعد القرآن من أصول الثقافة الدينية أو العلم بالمعنى الديني .

أما السيرة فقد قصدت إلى ترجمة حياة الرسول وجعلت منه محورا لا تحيد عنه ، ولهذا لجأ مدونو السيرة أحيانا إلى إدماج الأسانيد بعضها ببعض والى إسقاطها أحيانا أخرى ، كما دمجوا المتون إدماجا جعل من السيرة نصا متكاملا ، متماسك الأطراف ، متواصل الحلقات .

ولئن أجمع الدارسون للسيرة على التعريف الذي ذكرنا فإنهم أهملوا جانبا من المسألة على غاية من الأهمية وهو المتمثل في السؤال التالي :

لماذا اعتنى مدونو السيرة بالمغازي وآثروها ـ ولو لمدة ـ على سواها من المواضيع ؟ أهي عناية « فرضتها نشوة التغلب على العدو والاحتفال ـ على عادة الجاهلين ـ بانتصارات المسلمين الحربية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم » ؟ أم هي عناية فرضها ظرف سياسي آخر على جانب من الخطورة ؟

يبدو لنا ان السيرة اقترنت بالمغازي لسبب عسكري بحت هو انكشاف المسلمين في غزوة أحد ٦٢٥م . وإنّ كلف مسلمي القرنين الأول والثاني برواية المغازي ثم بتدوينها ناتج في نظرنا عن هذا الانكشاف في واقعة أحد لا عن انتصارهم في بدر أو في حنين أو في الخندق أو في بني المصطلق ذلك أنه بقدر ما كان الانتصار في نظر المسلمين ـ وقتئذ ـ أمرا طبيعياً ومنتظرا كانت الهزيمة إذاما مني بها المسلمون أمر ا غريبا من الصعب جدا إن لم يكن من المستحيل تصورها . ألم يقل الله تعالى في رسوله وصحبه : « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** » آل عمران/١٢٣ وقال تعالى : « **يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** » الأنفال/٦٥ وقال أيضا : « **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** » آل عمران/١٢٦ وقال في سورة الفتح : « **ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا** » الفتح/٢٢ .

فهذه آيات صريحة وغيرها كثير تدل على ان نصر الله من رسوله قريب وأن كل انكشاف إذا ما حل بالمسلمين يكون مدعاة للحيرة والتساؤل ، فلا غرو والحال ما ذكرنا ان يتعلق الناس وقتئذ بمغازي الرسول عامة وبغزوة أحد بخاصة وهذا ما جعل ابن اسحاق صاحب السيرة المعروفة « يبدأ بدراسة الحديث مثل كثيرين من أبناء جيله ثم يهتم بصورة خاصة بمغازي النبي » .

والجدير بالذكر ان الانكشاف في أحد لم يقف عند حد تراجع المسلمين بل تعدى ذلك إلى ان الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم الذي شارك بنفسه في القتال ـ قد أصيب إصابات في وجهه وقد دفع عنه أذى المشركين كل من أبي دجانة وسعد بن أبي وقاص . يقول ابن اسحاق متحدثا عن يوم أحد : « وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقة فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

وفي رواية أخرى : « قال ابن اسحاق ، فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال :

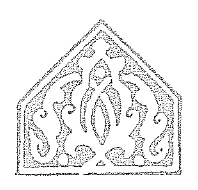
كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز وجل في ذلك : « **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** » آل عمران/١٢٨ .

إلى جانب هذين الخبرين الهامين عن انكشاف المسلمين يوم أحد وضعفهم أمام العدو نعثر على عدد عديد من الأخبار التي وصفت لنا وقع هذه الهزيمة الشديد في نفوس المسلمين وتأثرهم البالغ بما جرى لهم يومئذ . فقد أورد لنا ابن هشام في السيرة خبرا عن « عمر مولى غفرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا » . وشبيه بهذا الخبر ما تورده طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ومغازي الواقدي (ت ٧٣٤هـ) والسيرة الحلبية للحلبي (ت ١٠٤٤هـ) وكتاب عيون الأثر لابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ) من أخبار لا تحصى ولا تعد عن غزوة أحد بعضها يصف الواقع دون زيادة أو نقصان وبعضها الآخر مبالغ فيه من نسج الخيال . وسواء طابقت هذه الأخبار الواقع أم لم تطابقه فهي تدل دلالة واضحة على اعتناء الناس بتاريخ الرسول العسكري وكلفهم الشديد بجمع كل ماله علاقة بالمغازي عامة وبالغزوة التي انكشف فيها المسلمون خاصة .

ومما زاد في كلف مسلمي القرنين الأول والثاني بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم المتعلقة بأحد ما كان قد شاع وقتئذ من أن الرسول قتل في هذه المعركة وهو خبر ارتجت له المدينة بأكملها ومضى الناس مناصرين للرسول وأعداء له يتناقلون الخبر واحدا عن واحد وينشرونه بين الناس يقول الواقدي في شأن هذا الخبر : « قالوا ولما صاح إبليس إن محمدا قد قتل تفرق الناس فمنهم من ورد المدينة فكان أول من دخل المدينة يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل سعد بن عثمان ثم ورد بعده رجال حتى دخلوا على نسائهم حتى جعل النساء يقلن أعن رسول الله تفرون ؟ قال : يقول ابن أم مكتوم : أعن رسول الله تفرون ؟ ثم جعل يؤفف بهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خلفه بالمدينة يصلي بالناس ثم قال : اعدلوني على الطريق يعني طريق أحد فعدلوه على الطريق فجعل يستخبر كل من لقي عن طريق أحد حتى لحق القوم فعلم بسلامة النبي صلى الله عليه وسلم » .

يبدو من خلال هذا الخبر ومما تقدم ان غزوة أحد استأثرت باهتمام الناس وشغلتهم عما سواها من الأحداث فراحوا يستكنهون سرها ويحصحصون كل خبر له بها مساس وبقوا سنوات طوالا لا يعتنون إلا بها ولا يبغون عنها حولا حتى تفرغ لها من المسلمين نفر غير قليل رووها ودونوها وأخرجوا للناس فيها كتبا .

هذا ما استخلصناه من تأملنا في بعض المراجع التي اهتمت بالسيرة وقد حاولنا جهدنا ان نعرض في هذا البحث ما عثرنا عليه من تعاريف لها قصد المقارنة بينها ومقابلة بعضها ببعض واستنتاج ما أمكننا استنتاجه .





« فلنلزم الحدود »

الأخ صبري عبد الله قنديل ـ كتب للوعي الاسلامي معلقا على بعض الظواهر المعاصرة ، وقد آلمه ما يطالعه ، يقول الأخ صبري :
قرأنا لكبير الكتاب والمفكرين حديثا أو حوارا مع الله ـ هكذا قال ـ وتصدى له عدد من العلماء الأفاضل .

● وجاء مفكر آخر يستعرض عضلاته في طرح تشكيكاته في شخصية اسلامية أحدثت تحولا في حركات الاصلاح الاجتماعي في مرحلة دقيقة من مراحل تطوير الدعوة الإسلامية وهو كما نعرف « جمال الدين الأفغاني » .
● وتبارى الكتاب في ايضاح الحقائق ، ونشر منها ما نشر ، وحجب منها ما حجب ، وقامت الدنيا وسرعان ما أقعدت كالذي أوقد عودا من الثقاب ، ثم أطفأه في نفس اللحظة .

● وتابعنا أديبا وشاعرا ومفكرا قدم لنا مجموعة من الشخصيات الاسلامية من منظوره الأدبي ولمجرد ان اجتهد الكاتب في تقديم هذه الشخصيات كانت النتيجة وقوعه في بعض الأخطاء المتمثلة في صحة وقائع أو تواريخ فبدلا من أن نصحح له كما فعل بعض الأفاضل من العلماء اهلنا على رأسه من الاتهامات بالكفر والردة وكأننا نشفي غليلا أو نرد كيدا وما كان إلا أن خرج الكاتب عن صوابه وبادل من قذفه بقذف أشد ، وكان شكلا مخزيا للغاية حمدنا الله على توقفه وعودة الأمور الى صوابها .

● وجاء مفكرنا الفيلسوف ليوقد نارا كانت قد أُطفئت منذ سنين بعيدة وليحيي نظريات التحلل ، والتي رفضتها المرأة بعد ان عادت الى صوابها وارتدت ملابس الحشمة والحجاب استجابة لتعاليم الدين ، جاء ليقول لها عن عودتها الى عصر الحريم وعهود الظلام بعد ان ألقت بهذا الحجاب عند شواطىء الاسكندرية وانتقل في مقاله الى حقوقها في العمل والممارسات الاجتماعية وخلافه .
● وقام بعض الكتاب والصحفيين بالرد عليه ردا هادئا من خلال تعاليم الاسلام

فجاءنا بمقال آخر بعنوان « نفوسنا صدئت فأصقلوها » شرح فيه حاجة الواقع الثقافي الى ما هو جديد ، وليسمح لنا ان نوجه لسيادته سؤالا .. هل ما جئت به في مقال « ردة في عالم المرأة » حديث أو جديد ؟ واختتم مقاله بقوله « واني لأقولها في صراحة ورزقي على الله » وهو انني في كثير جدا مما يذاع أو يكتب في مجال الثقافة والتثقيف ، والقيم والتقويم « كأني أشم رائحة العفن » حتى لقد زكمت الأنوف وصدئت النفوس ٠

ونقول : ان الاسلام دعا الى التفكر والغوص في الأمور العلمية والمنهجية طالما ان ذلك سيعود بالنفع والاصلاح على حياة المسلمين ، ولكن جاء عند الحدود وقال انها حدود الله فلا تتعدوها ، ولا يجب على أي انسان ان يتعداها مهما بلغ من العلم والمعرفة ، وهنا أنوه الى حقيقتين :

أولا : مسئولية الصحافة في الترويج لهذه المغالطات من ناحية وعدم الرجوع الى أهل الرأي والفكر الاسلامي ورجال الدعوة من ناحية أخرى ، وبهذا تكون أول من يسأل عن نشر هذه المقالات والأفكار ، وقد يكون ذلك دون قصد فتظن ان النشر لكتاب لهم شأنهم يزيد من شأن هذه الصحف ، ويرفع معدل توزيعها ، ولكنها في الحقيقة قد تخدم بذلك تيارات وافدة ، الغرض منها إحداث مفارقات فكرية وتعطيل كل رأي صائب عن المشاركة في اجتهادات الفكر الاسلامي .

ثانيا : أن علماء ورجال الدعوة والفكر الاسلامي الأفاضل تركوا أمر الدعوة مستباحا لكل من أراد ان يفتي ويطرح نظرياته وظلت حركة التنوير متجمدة من ناحية الفكر ، واقتصرت على الأمور الفرعية ، مما أتاح للجهات الخارجية ان تطرح أفكارها المسمومة من نظريات التحلل والفوضى التي نراها تتسلل في أشكال مختلفة ، في محاولة لتراجع الحركة الاسلامية واجهاضها أولا بأول ، وفي هذا المناخ نجد تيارات غير طبيعية التكوين قد ظهرت ، وتتمثل في جماعات ، أو أندية ، أو جمعيات تحاول ان تمكن لنفسها من زعامة ريادية في نشر الدعوة ، وكان نتيجة ذلك ما حدث في الأوساط الاجتماعية من مواجهات لم يكن يعرفها مجتمعنا من قبل .

اننا لا نطلب الحجر على رأي ، ولا منع الاجتهاد ، ولكن عند الحدود والتعاليم يجب ان تكون وقفتنا نحن المسلمين ، واذا ما اخطأ أحدنا فيجب ان نصحح له واذا أصر نقومه ، وأهلا بكل ما هو حديث وجديد في فكرنا الاسلامي والاجتماعي في اطار تعاليم ديننا السمحة .

تحت هذا العنوان كتب الأخ / عبد المنعم توفيق - ميت عنتر - دقهلية - مصر - يقول :

لا يخفى على من عنده إثارة من علم أن الاسلام قد أمرنا بالنصيحة وحث عليها في غير موضع يقول الرسول صلوات الله عليه : « الدين النصيحة » فيسأله أحد الصحابة رضوان الله عليهم لمن يا رسول الله ؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم بقوله : « لله ولرسوله ولعامة المؤمنين » وإذا كانت النصيحة تأخذ هذه المنزلة من الدين فواجب والحالة هذه بيان الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتصف بها الناصح كي يؤدي رسالته على أكمل وجه ، ويتقبلها الناس قبولا حسنا ، ولا تكون حجة عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ولقد أجملنا صفات الناصح في هذه الأمور الحسنة :

١ - أن يقصد وجه الله واعزاز دينه والخير للمنصوح ، طارحا حظوظ الدنيا وما عند الناس من جاه وشهرة فإن ما عندهم ينفد وما عند الله باق .

٢ - أن يكون على بصيرة وعلم بما ينصح به فهو كالطبيب يضع لكل داء دواء ، فكما لو جهل الطبيب تركيب الأعشاب وطبيعتها قتل المريض ، كذلك الناصح إن فَاتَهُ العلم بما ينصح به فقد يكون وبالا على مستنصحه ، وما أحرى الناصح أن يحقق قول ابن البادية (يضع الهناء مواضع النقب)

٣ - أن يكون لين الكلام سهل الحديث فالله يقول لرسوله وهو أكمل الخلق خَلْقاً وَخُلُقا : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** » آل عمران / ١٥٩ .

وقد أمر موسى وهارون عليهما السلام أن يخاطبا فرعون بلين الكلام فقال لهما : « **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** » سورة طه / ٤٤ .

فما أجدر الناصح أن يتخلق بخلق القرآن ليستولي على قلوب الناس ويفوز بمحبتهم له وتبجيلهم إياه وقبولهم لنصيحته كما ينعم في الآخرة برضا الله تبارك وتعالى ، وذلك هو الفوز العظيم .

٤ - أن يكون صبورا حليما لا تثيره مكابرة معاند ولا يغضبه لوم لائم ،فالحلم من أفضل السمات وأنبل ما يتخلق به الداعي إلى الله وهو يكتسب بالتخلق وحمل النفس عليه .

فقد شتم رجل أبا ذر الغفاري فقال له : يا هذا لا تغرق ، واجعل للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

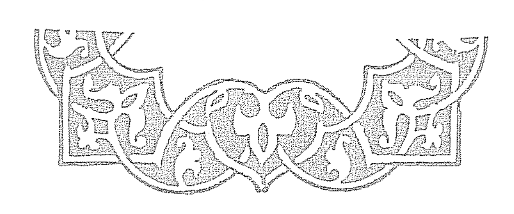
٥ - أن يعمل بما يعظ الناس به فإن من يشرب السم ثم يزعم أنه قاتل وينهى الناس عن شربه يسخرون به ولا يتقبلون نصيحته ، ويقولون لو لم يكن خيرا ما استأثر بشربه دوننا وما أروع قوله في سورة البقرة : « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** . » هذا وبالله التوفيق .

الزوجة المسلمة والمناخ السيكولوجي للأسرة

كتبت الأخت الفاضلة / آمال عبدالرحمن محمد تحت هذا العنوان تقول :ـ

يتعرض المجتمع الاسلامي في العصر الحديث لغزو أيديولوجي تمثله قلة من دعاة التحضر والمدنية وهي منه بعيدة ، وقد يبدو هذا الغزو في شكل بعض العادات والتقاليد ، وبعض أشكال الملابس ومظاهر التخنث والميوعة ، إلا أن المجتمع الاسلامي له عاداته وتقاليده وقيمه الاصيلة وحضارته العريقة المستمدة من الكتاب والسنة ، وهما بلا شك جامعان مانعان لكل مايعوز الفرد في أمور دنياه ودينه ، ولم تعرف المشاكل طريقها الينا إلا لأننا لم نأخذ بتعاليم ديننا الحنيف واندفعنا وراء التيارات المستوردة والغربية على مجتمعنا الاسلامي ، ولكن مما يدعو الى التفاؤل أن هذه الأفكار المستعارة سرعان مايثبت فشلها وزيفها وتتلاشى وتمكث القيم الأصيلة وتصبح أشد قوة وأكثر صلابة مصداقا لقوله تعالى (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**) الرعد ١٧ ، والأسرة المسلمة بما يسودها من علاقات انسانية بين أفرادها من مودة وألفة ورحمة للصغير وتوقير للكبير هي خير دليل على أصالة تقاليدنا ، فقد وضع الاسلام الأسس التي تقوم عليها الأسرة المسلمة والتي تتمثل في المودة والرحمة كما جاء في قوله تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) الروم ٢١ ولاشك أنه يقع عليك أختي المسلمة كزوجة وكأم مسئولية جسيمة في اعداد الأجيال الصالحة وتوفير المناخ النفسي الملائم لزوجك ولأطفالك وحتى يتحقق الاستقرار والسعادة للأسرة التي ينشدها الاسلام ، فالزواج شركة رأس مالها الحب والاخلاص ، وميثاقها العفة والأمانة ، وانتاجها الذرية الصالحة ويمكنك أن تجعلي من البيت حديقة ، وأنت البستاني لها تزينينها بشتى أنواع الورود وتنقينها من الأعشاب الضارة ، وتجعلين أشجارها التفاهم ، وثمارها الثقة المتبادلة ، وزهورها الايمان ، ورحيقها القناعة تروينها بالطاعة وتغذينها بالخلق الطيب ، واعلمي أن أقوم طريق لتحقيق ذلك هو اتباعك هدى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم القائل (ان من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله) رواه الترمذي والحاكم وأجمل ثياب تتحلى بها المسلمة هو حسن الخلق الذي يضفي على البيت الهدوء والسكينة فينبغي عليك أختي المسلمة أن تتجنبي المنغصات وأن تكوني بلسما شافيا لزوجك حتى تعوضيه عما يعانيه من متاعب الحياة فأنت أيتها المسلمة جزء من زوجك والرحمة هي صفة المسلم وقاعدة البيت السعيد ، ولا تكلفي زوجك أكثر من طاقته حتى لاتعرضيه لكسب غير مشروع كما يجب أن تحذري

الكذب على زوجك لأن الكذب يخلق في نفسه الشك والارتياب ولا تطلعي أحدا على أسرار زوجك وتذكري حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه) رواه مسلم وابو داود ولا تلحي على زوجك فيما لا يريد إخبارك عنه وليكن أسلوب تعاملك معه هو الصدق والقناعة وأن تطفئي غضبه بالكلمة الطيبة التي دعا اليها القرآن الكريم في قوله تعالى (**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**) إبراهيم ٢٤ ، ٢٥ وحاولي مشاركة زوجك وجدانيا في سروره وأحزانه ولا تصغي لمن ينتقدون زوجك بحجة النصح له فانهم أعداؤك كما أن طاعتك لزوجك في السر والعلانية ترفع من مكانتك في نظره ويتمشى ذلك مع روح الاسلام لما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا تمسهم النار المرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه والعبد القاضي حق الله وحق مولاه) رواه البخاري واحرصي على أن يكون التزين لزوجك عملا بقوله تعالى (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**) النور ٣١ ولتكن التقوى هي مرشدك والضوء الذي تهتدين به أما بالنسبة للأبناء فلقد أكدت الأبحاث أن تأثير الأم على الأبناء أكثر من الرجل حتى وإن كانت أقل من الأبناء ثقافة لأنها أول كائن يتفاعل معه الطفل فالأم حجر الزاوية بالنسبة لتكوين العلاقات الانسانية بين الطفل والمجتمع فينبغي عليك أختي المسلمة ان تعلميه الصالح وعودي أطفالك التشبث بالدين منذ نعومة أظفارهم والصلاة في أوقاتها وتلاوة القرآن الكريم واجعلي تعاليم الاسلام سلوكا في حياتهم وليست الفاظا جوفاء وكوني صادقة وأمينة معهم ومع نفسك لان الأم معهد التربية الذي يتربى فيه الأبناء ولهذا دعا الرسول لاختيار الزوجة الصالحة تلك هي بعض الملامح المستمدة من تعاليم ديننا الحنيف والتي تستطيعين أختي المسلمة ان تحولي بها جو الاسرة النفسي الى رحيق صحي يستنشقه الجميع فيعم الخير وتظفري بثواب الدنيا والآخرة



نداء من أجل

لايخفى على احد ان اجزاء كثيرة من افريقيا المسلمة تعيش ظروفا قاسية وأوضاعا مأسوية ،في ايامنا هذه ، بسبب الجفاف والمجاعة .

ان استمرار المجاعات وانتشارها على مساحات واسعة ، في مناطق عديدة ، نتيجة لاتساع دائرة الجفاف ،قد خلف وراءه اوضاعا محزنة قضى على الكثير من البشر والدواب ، يذوب لها قلب كل انسان ،فكيف بالانسان المسلم؟ .

ان هذه المآسي التي يعيشها اخوة لنا في الدين والانسانية تستدعي منا جميعا ،دون استثناء ، تضافر الجهود ، حكاما وشعوبا ،من اجل التخفيف من حدة ما يعانيه اولئك من جوع وبؤس وشقاء وتشرد وسوء تغذية ، حتى ان الطفل ليفارق الحياة ،وهو بين يدى امه ، وليس لديها ماتطعمه .

ان الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية لتهيب بالدول الاسلامية والعربية كافة ، وبالخصوص دول مجلس التعاون الخليجي لما افاء الله عليها من خيرعميم للمشاركة في انقاذ اخواننا في تلك المناطق المنكوبه في افريقيا .

أجل ،نهيب بهم جميعا ،حكاما وشعوبا ، مؤسسات وافرادا ،للاسراع بمد يد العون لاخوانهم المسلمين الذين يتعرضون الى الموت باسباب المجاعة والجفاف ويقاسون من الحرمان وقلة الغذاء والامراض الفتاكة .

ان الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية تضع كل امكاناتها تحت تصرف محبي الخير لايصال المعونات والمساعدات للمتضررين والمنكوبين بشكل مباشر وسريع وفعال

إفريقيا المسلمة

ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ،وما تنفقوا من شيء فان الله يخلفه .
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

الكويت — الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

توجه التبرعات الى :

بيت التمويل الكويتي - الكويت ، حساب تبرعات رقم ٢٣/٣ ٢٣ بالدينار
بيت التمويل الكويتي- الكويت ، حساب زكوات رقم ١٩/٥ بالدينار
بيت التمويل الكويتي - الكويت، حساب تبرعات بالدولار رقم ٢٠٠٣١/٣
المصرف الاسلامي - قطر ،حساب رقم ٧١٧
المصرف الاسلامي القاهرة ، حساب رقم ٤١١٦٧
بنك دبي الاسلامي ، دبي ،حساب زكوات رقم ح/ ٧٠٤٠
بنك دبي الاسلامي ،دبي ، حساب تبرعات رقم ح/ ٧٠٥٠
بنك التضامن الاسلامي ،السودان ، حساب تبرعات بالدولار ٢/٢/٩٢٣
حساب زكوات بالدولار ٢/٢/٩٢٤
البنك الاردني الاسلامي الاردن

الفتاوى

وسماه محمدا

القارىء علي السيد وافي من مدينة بسيون محافظة الغربية ج . م .ع يسأل من الذي سمى النبي صلى الله عليه وسلم باسم محمد ؟ وهل كانت هذه التسمية معروفة قبل ذلك في العرب ؟

● ذكر أكثر من مصدر ان جده عبد المطلب كان ينتظر بفارغ الصبر ان يجيء حمل آمنة غلاما يعوضه فقد ابنه عبد الله أحب أبنائه اليه ، وكان عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج في تجارة فأدركته منيته وتوفي عند أخواله بني النجار في يثرب وترك زوجه آمنة وقد حملت به ولما تمت اشهر الحمل ووضعته عند الفجر ارسلت الى جده تبشره بغلام فأقبل سريعا وانحنى على الطفل يحمله ويقبله وانطلق به في لفائفه الى الكعبة يعبر عن شكره لرب الكعبة وسماه محمدا من الحمد لله والشكر والعرفان بنعمته ودعا الله أن يجعله محمودا .

وهذه التسمية كانت غريبة على قريش ولم يسم بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر رسول الله وبقرب زمانه وانه يبعث من الحجاز ان يكون ولدا لهم وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق ، ومحمد بن أحيحه بن الحلاج ومحمد بن حمدان بن ربيعة . كان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ممن لهم علم بالكتاب فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وباسمه وكان كل واحد منهم قد ترك امرأته حاملا فنذر كل منهم ان جاء الحمل ذكرا ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك .

هل تبعث الحيوانات

●ورد سؤال من احدى الدارسات بدار القرآن الكريم في دولة الكويت هل

تحشر الحيوانات يوم القيامة كما يقول الله تعالى (واذا الوحوش حشرت) ؟

في هذه القضية رأيان احدهما يأخذ بظاهر الآية المذكورة ويقول ان الحيوانات تبعث يوم القيامة وكما في قوله تعالى : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون**) وكما جاء في الحديث الشريف ما معناه .. كل حق يؤدى لأهله يوم القيامة حتى يقتص للشاة الجماء ـ أي التي لا قرن لها تدافع به عن نفسها ـ من الشاة القرناء . يعني تأخذ حقها من الشاة التي لها قرن واعتدت عليها . أصحاب هذا الرأي يقولون ان الغرض من بعث هذه الحيوانات هو تحقيق العدالة العامة بين الخلق لكنها لا تدخل جنة ولا نارا .

الرأي الثاني هو رأي الجمهور من العلماء ـ وهو الأرجح ـ ان البعث خاص بالانسان المكلف ليدخل الجنة ان كان طائعا أو يدخل النار ان كان عاصيا وان الحساب للمكلفين فقط من الانس والجن أما الحيوانات فهي غير مكلفة اذ لا عقل لها والعقل مناط التكليف فلا يعقل خطابها كما لا ثواب لها ولا عقاب عليها .

ومعنى قول الله تعالى (واذا الوحوش حشرت) انها تجمع وقت قيام الساعة لا للحساب لأن الحساب بعد قيام الساعة وانما للرعب الذي يستولي على الناس قبل البعث ومعنى الآية الثانية (ثم إلى ربهم يحشرون) الهلاك العام وهو يشمل جميع المخلوقات .

وأما الحديث السابق فالمقصود به التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص .

وبهذا لا حساب ولا بعث للحيوانات لأنها غير مكلفة .

زوجة لا تصلي

● **قارىء من نابلس مقيم في الكويت يقول زوجتي تترك الصلاة من غير عذر ولم ينفع معها الوعظ ولا النصيحة ولما قسوت عليها وعرفتها ان تعزيرها من حقي قالت التعزير من حق الحاكم فقط كما قرات في الكتب ماذا أفعل ؟**

من المقرر شرعا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المؤمنين والمؤمنات كما قال تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) .

هذا الواجب يبذله المسلم ويؤديه في بيته ومجتمعه ولو لشخص لا صلة له به

ومن باب أولى يأثم الزوج لو تركه بالنسبة لأولاده وزوجه ومن يلي أمرهم فالرجل راع في اهله ومسئول عن رعيته كما جاء في الحديث الشريف . واذا كانت الزوجة قد عرفت ان التعزير من حق الحاكم فقد غاب عنها انه بجانب ذلك هو من حق ثلاثة أصناف ، كما جاء في سبل السلام من حق الأب فان له تعزير ولده الصغير للتعليم والزجر عن سيىء الأخلاق والأم لها هذا الحق أيضا قال صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » فالتعزير سواء باليد أو باللسان من أجل تغيير المنكر والتزام المعروف من حق الوالدين وخاصة في وقت يحتاج فيه الأولاد الى التوجيه والارشاد ـ الصنف الثاني من حق السيد ان يعزر العبد في أمر يتعلق بحقه أو بحق الله تعالى ـ الصنف الثالث من حق الزوج ان يعزر زوجته في أمر النشوز كما صرح بذلك القرآن الكريم وفي درجة النشوز ترك الصلاة . له أن يزجرها انكارا للمنكر ورضا الزوج بترك زوجته الصلاة يجعله شريكا لها في الاثم وانكاره عليها يحميه من غضب الله . ومعلوم أن اللعنة لحقت بني اسرائيل بسبب عصيانهم وأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ـ الأصناف الثلاثة المذكورة تشترك مع الحاكم في التعزير بالتوبيخ والزجر والوعظ والضرب الخفيف اذا اقتضى الأمر لكن الحاكم ينفرد بالحبس والنفي لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بمخنث خضب يديه ورجليه بالحناء فقال صلى الله عليه وسلم ما بال هذا ؟ فقالوا يتشبه بالنساء فنفاه . فقالوا يا رسول الله نقتله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم اني نهيت عن قتل المصلين .

الزوجة التي تجادل بأن التعزير من حق الحاكم تدرك تماما أن ترك الصلاة من غير عذر يستوجب غضب الله في الدنيا والآخرة وعلى السائل ان يبذل ما استطاع لهداية زوجته بالحكمة والموعظة الحسنة والله ولي التوفيق .

زواج المعتدة

•قارىء من البحرين يقول أعرف امرأة محجبة ومتدينة وارغب في زواجها غير انها في العدة وأخاف ان يتقدم لها غيري ويسبقني اليها فهل يجوز لي ان أخطبها مع تأجيل العقد حتى تنتهي العدة ؟

القارىء لم يبين نوع العدة هل هي عدة طلاق أم عدة وفاة على أي حال ان كانت في عدة من طلاق بائن أو في عدة الوفاة أو في عدة طلاق رجعي فلا يجوز التصريح بخطبتها بل التصريح بذلك حرام بالاجماع لكن يجوز التعريض لمن كانت في عدة وفاة أو في عدة طلاق بائن أما ان كانت في عدة من طلاق

رجعي فالتصريح والتعريض كلاهما حرام لأن الطلاق الرجعي لا يقطع الصلة الزوجية ومعنى التعريض اعطاء اشارة بعيدة للرغبة في الزواج من غير تصريح به .

على السائل ان يحذر من التصريح خاصة في عدة الوفاة رعاية لوضع الزوجة من أجل حزنها على فقد زوجها ورعاية لشعور اهل الميت يقول الله تعالى : **(ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)** .

أما خوف السائل من أن يسبقه غيره اليها فما لا يحل له لا يحل لغيره وعلى كل مسلم ان يلتزم بتعاليم الاسلام .

ردود قصيرة

● **القارىء أ ـ ي درب النخلة رقم ٢٨ سك . المغرب**
يقول هداني الله لأداء الصلاة بعد خمس سنوات من البلوغ فهل يجب قضاء ما تركته في الخمس سنوات ؟ وكيف أقضيها ؟

جمهور العلماء يرى وجوب قضاء الفوائت وعلى القارىء وأمثاله ان يقضي ما فاته من صلاة ابتداء من وقت وجوبها وأن يتوب ويستغفر الله كثيرا من ذنب تركها وذنب تأخيرها عن وقتها وله أن يقضي مع كل فرض يؤديه حاضرا يقضي مثله مما فات حتى يغلب على ظنه انه قضى ما عليه .

● **قارىء من المغرب نمسك عن ذكر اسمه وعنوانه دفعا للحرج يقول كانت لي علاقة بامرأة ثم تزوجتها بعد التوبة النصوح ، وبدأنا حياة جديدة في طاعة الله ولكن أحد الناس قال ان هذا الزواج حرام وباطل ويريد معرفة الحكم في هذا الزواج .**

لا يحل للرجل ان يتزوج بزانية ولا يحل للمرأة أن تتزوج بزان إلا أن يحدث كل منهما توبة لأن الله تعالى جعل العفاف شرطا يجب توفره في كل من الزوجين قال تعالى **(إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان)** المائدة/ ٥ وسئل ابن عمر عن رجل فجر بامرأة أيتزوجها ؟ قال إن تابا وأصلحا .. وبذلك افتى ابن عباس .. وما دام السائل مع زوجته قد تابا واستأنف كل منهما حياة نظيفة مبرأة من الدنس وتم العقد بعد هذه التوبة فالزواج صحيح وغير باطل وعليه ان يقرأ ما جاء في هذه المسألة في المجلد الثاني من كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق .

بريد الوعي الإسلامي

كلمة حول مشروع

الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

حمل البريد إلينا هذه الرسالة التي تتحدث عن الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، يقول فيها الدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني .. بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلى وسلم على رسوله :ـ

لقد كثر الكلام حول الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، فتناولته بعض الصحف والمجلات ، مشيدة به ، متفائلة بنتائجه وآثاره ، كما تناوله آخرون بشيء من التشكيك والحذر ، شأن أي مشروع جديد يطرح على الساحة ، ولا سيما من هذا النوع .

وقد كتب لي أن أطلع على بعض ما كتب حول المشروع في المدة الأخيرة ، وأن أتابع عن بعد أعمال المؤتمر التأسيسي له ، ومقرراته الختامية ، وأن أتعرف على أسماء السادة أعضاء مجلس الادارة المنتخب ، وقرأت عن أهدافه ومشاريعه .

وقد رغب إلي بعض الأخوة أن أبدي فيه رأيا ، وأكتب حوله كلمة ، وتحقيقا لهذه الرغبة ، ووفاء بشيء من حق مثل هذا المشروع أقول :

طالما شغل الدعاة والعاملون لهذا الاسلام العظيم بالدعوة النظرية له ، عن الميادين العملية ، سواء في ذلك على النطاق الفردي أم الجماعي ، فكان لذلك أسوأ الأثر في تاريخ الدعوة الاسلامية الحديثة .

فافتقد الناس الدعوة الاسلامية في كثير من ميادين حياتهم العملية التي تزدحم بالدعوات والمبادىء الأرضية ، وذلك في وقت نمت فيه المكتبة الاسلامية الحديثة حتى وصلت الى مستوى التضخم ، وكان لهذا التخلف عن الميدان العملي ، والاختلال في توازن الدعوة الاسلامية ، الآثار الكبيرة ، والنتائج الخطيرة التي لا تخفى على المسلمين ولا سيما في مرحلة الشدة والمواجهة .

وقد كثرت صيحات الدعاة والعاملين اليوم إلى إعادة التوازن في حياة الدعوة ، واقتحام الميادين العملية ، وبينوا ضرورتها وإلحاح الحاجة إليها .

ولعل من أبرز هذه الاستجابات **الرائدة وأهمها ، إقامة مشروع الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، الذي يقوم عليه إخوة أفاضل من مختلف**

البلاد الاسلامية ، الذي أعلن عن طبيعته وأهدافه في نداءاته المتكررة إلى كل المسلمين في أنحاء العالم ، التي اطلع عليها الكثيرون ، ويمكن للآخرين الاطلاع عليها في المجلات الاسلامية ،أو بالاتصال بمركز الهيئة .

وإن أهمية هذا المشروع في نظري ليست في آثاره المادية على الاسلام والمسلمين فحسب ـ كما يتبادر إلى ذهن السامع لاسم الهيئة ، أو القارىء لأهدافها ـ وإنما هي قبل ذلك أهمية دعوية عامة ، أشير إلى بعض جوانبها في هذه المقالة :

١ ـ يعتبر المشروع قفزة نوعية في تاريخ الدعوة الاسلامية الحديثة ، تذكر باهتمامات المسلمين الخيرية في الماضي ، التي تجلت في إقامة الأوقاف الاسلامية ، والمشاريع الخيرية في مختلف أنحاء الوطن الاسلامي ، وكان لها أعظم الأثر في حياة المسلمين في الماضي ، ولا تزال بعض آثارها ينعم بها المسلمون في الحاضر .

والعجيب في الأمر أن يتنبه سلفنا الصالح لأهميتها وعظم آثارها وهم يعيشون أيام الرخاء ، وفي مجتمعات مسلمة ، وفي ظلال أنظمة مسلمة ، ويغفل أهميتها المسلمون في العصر الحديث وهم يعيشون أيام الشدة ، حتى امتدت إليها أيدي الأعداء ، وقضت على كثير من مواردها وآثارها ..

٢ ـ كما يعتبر المشروع تربية إسلامية ، وعلاجا عمليا ناجحا لأكبر الظواهر الاجتماعية وأخطرها ، والأمراض الجماعية المتفشية في حياة المسلمين عامة ، والدعاة خاصة ، والتي شخصها الرسول صلى الله عليه وسلم وحذر منها في بعض أحاديثه ، والمتمثلة في الشح المطاع ، والهوى المتبع ، والدنيا المؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه .

فبأمكان مثل هذا المشروع ـ إن وفق الله العاملين فيه والقائمين عليه ـ أن يعالج في الدعاة والعاملين الشح المطاع ، ويحوله إلى بذل شامل ،! وعطاءات وتضحيات ..ويعالج الهوى المتبع ويستبدل به الاتباع المطلق لشرع الله وحكمه ، وطاعة الله ورسوله ، ويعالج إيثار الدنيا على الآخرة ، ويحوله إلى إيثار الآخرة على الأولى ، ويعالج إعجاب كل ذي رأي برأيه ، ويحوله إلى شورى صادقة ، تبحث من خلالها الأمور وتتخذ على ضوئها القرارات ، فينقذ من خلال علاجه لهذه الأدواء الدعاة والعاملين من أخطر الأوبئة وأفتكها في حياة العمل الاسلامي .

٣ ـ كما يعتبر انطلاقة جديدة بالدعوة من إقليميتها ، وتجسيدا عمليا لخاصية من أبرز خصائصها وهي العالمية ، فينعم المسلمون اليوم بآثار هذه الخاصية التي أصبحت نظرية في زمانهم ، والتي عرفها سلفهم من قبلهم .. فلكم شوهت النظرة الاقليمية في حياة المسلمين ، من جمال

دعوتهم ، ومكنت أعداءهم منهم ..
٤ ـ كما يعتبر تحقيقا لمعنى الجسد الواحد وشعوره الواحد الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :
(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .متفق عليه

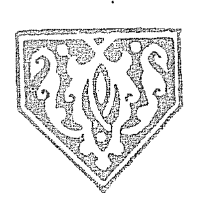
فلطالما اشتكى هذا الجسم ، وقطعت أوصاله في غفلة بقية الأعضاء ..
٥ ـ كما يعتبر أيضا علاجا لأكبر العقبات ، وحلا لمعضل المشكلات التي تواجهها الدعوة والدعاة اليوم ، فكم من مشاريع طيبة ، وأعمال خير أهملت أو عدل عنها لقصور مالي عند المسلمين ، أو ضعف مادي لدى العاملين !!

٦ ـ كما يعتبر بعد ذلك كله خطوة إيجابية في سبيل وحدة العمل الاسلامي ، ذلك الهدف المنشود ، حيث تنسق الجهود الموزعة ، وتوفر الامكانات المبعثرة الضائعة .
هذه أهم جوانب الخير التي تلمح من خلال مشروع الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، التي تحدثت عنها في هذه العجالة ، ولعل الدارسين له والمعنين يلمحون فيه المزيد من جوانب الخير للاسلام والمسلمين .

وندع المجال للواقع التطبيقي بإذن الله ليجسد لنا هذه الجوانب ، ويؤكد لنا هذه المنافع ، والله هو المعين والموفق .

ولا يفوتني هنا أن أذكر نفسي وإخواني عامة بضرورة دعم هذا المشروع ماديا ومعنويا ، وذلك بالدعوة له ، وتوضيح أهدافه ونتائجه من جهة ، والعون المطلق الحثيث له على تأمين ميزانيته ، ومتابعة خطواته من جهة أخرى ، عسى أن يكتبنا الله من المتعاونين على البر والتقوى ، والساعين في سبيل مرضاته .

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) ٢ المائدة .
(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) ١٠٥ التوبة
والحمد لله رب العالمين



مع الصحافة

○ عن النفط والدولار

ماتزال أزمة منظمة الأقطار المصدرة للنفط تستقطب اهتمام الصحافة ، وقد زاد من تعقيد الأزمة الارتفاع الكبير لسعر الدولار ، لأن معظم صادرات النفط تتم بالدولار . حول العلاقة بين النفط والدولار نشرت الفيننشال تايمز في اواخر المحرم مقالا جاء فيه :

من الصعب القول بأن منظمة الاقطار المصدرة للنفط اوبك على وشك الانهيار والموت ، والتقارير التي تشير الى ذلك تتصف بالمبالغة الشديدة بالرغم من الانهيار الواضح الذي اصاب اسعار النفط بعد قرار نيجيريا ، العضو في المنظمة ، بالخروج عن اجماع الأوبك وتخفيض اسعار نفطها بمقدار دولارين للبرميل الواحد ، اسوة بالنرويج وبريطانيا اللتين سبقتاها الى هذه الخطوة . وفي الوقت الذي لا يمكن ان ننكر فيه بأن الأوبك تواجه الان اقسى الأزمات منذ بداية عام ١٩٨٣ الا ان القول بأن الأوبك على وشك فقدان قبضتها على الاسعار يبقى مجرد امان تبدو بعيدة المنال . وما حدث حتى الآن من انتكاسات للأوبك في محاولاتها الحفاظ على اسعار نفطها لا تعدو ان تكون انتصارات مكلفة بالنسبة للقوى المختلفة في الأسواق النفطية . والحقيقة هي ان النفط استمر في كونه تلك المادة الباهظة الثمن خلال السنوات الأربع الماضية لمعظم زبائن الأوبك بالرغم من انخفاض اسعاره في الاسواق الفورية بنسبة وصلت احيانا الى ٣٠٪ فمن الواضح ان خسائر الأوبك في الأسواق النفطية تم تعويضها وبشكل كبير من المكاسب التي تجنيها الدول من ارتفاع سعر الدولار المستمر باعتبار ان الدولار هو العملة الرسمية التي يباع النفط بها عالميا . ففي حين ان سعر البرميل من النفط كان ٣٤ دولارا عام ١٩٨٠ فان انخفاض سعره الى ٢٨,٩ دولارا لا يعدو ان يكون تعويضا جزئيا للصدمة التي عاني منها مستهلكو النفط العالمي « من خارج الولايات المتحدة » نتيجة لتصاعد قيمة الدولار . وبالنسبة لاوروبا الغربية كافة فان سعر النفط الحالي يعتبر اعلى مما كان عليه عام ١٩٨٠ وبنسبة ٢٩٪ عندما وصل الى اعلى سعر له نتيجة لانخفاض العملات الأوروبية مقابل الدولار وخاصة المارك الالماني والفرنك الفرنسي والجنيه الاسترليني وكعملية حسابية فان الأوبك مطالبة بتخفيض اسعار نفطها لتصل الى ٢١ دولارا للبرميل الواحد اذا ما ارادت تعويض المستهلك الالماني الغربي عن الخسارة التي يتعرض لها فنتيجة لانخفاض المارك الالماني امام الدولار وهو العملة الرسمية التي يباع بها النفط ونفس الشيء في الواقع ينطبق على اليابان وان كان

بصورة اخف واذا ما علمنا بان الدول التي تعتمد على الدولار تشكل ثلثي مستهلكي نفط الأوبك فانه يصبح واضحا لدينا مدى الخسارة التي يتحملها هؤلاء والحجم الحقيقي لخسارة الدول المصدرة للنفط . ومن وجهة نظر الدول المنتجة للنفط فان للجوء الى خيار تخفيض صغير على الاسعار الرسمية للنفط سيظل يعتبر مكسبا مقارنة بما كان عليه وضع الاسعار في العام الماضي ففي الوقت الذي تتم فيه معظم صادرات الدول النفطية ان لم يكن جميعها بالدولار فان معظم وارداتها تتم بغير ذلك باعتبار انها تاتي من دول اوروبا الغربية واليابان والعالم الثالث وعليه فان دول الأوبك ستبقى هي الرابحة نتيجة لارتفاع سعر الدولار وبنسبة كبيرة خلال الشهور الثمانيةعشر السابقة .

ولكن النتائج هذه ستكون عكسية اذا ما بدأ الدولار في الانخفاض مقابل العملات الرئيسية الأخرى . والحقيقة ان الآمال بانخفاض الدولار منع الدول الأوروبية خلال السنوات الماضية من عدم بذل اي جهد لاقناع دول الأوبك باعتماد عملة اخرى غير الدولار لتسعير النفط او بحقوق السحب الخاص التي تعكس ضغوطا اقتصادية في السوق النفطية وبشكل اكثر فعالية من العملة الاميركية المتقلبة .

وعلى اية حال فانه لا مجال الان للقلق من احتمال حدوث زيادات في اسعار النفط ولفترة طويلة وسط المشاكل التي تعاني منها الأوبك حاليا والتخمة النفطية الحالية وعليه فان عالم المستهلكين النفطيين يجدها فرصة للثار من الأوبك ومع ذلك وعلى المدى البعيد فإنه يتوجب الاعتراف بان الأوبك ماتزال تسيطر على الجزء الأعظم من القدرة على إنتاج النفط بالرغم من أن انتاجها الحالي لا يمثل اكثر من ٤٠٪ من انتاج العالم من النفط « خارج العالم الشيوعي » ويبدو انه لا خيار هناك امام العالم سوى التعايش مع تاثير الأوبك على أسعار النفط في المستقبل المنظور . وإذا ما ارادت الدول المصدرة والمستهلكة لهذه المادة الحيوية انتهاج سياسة اكثر عقلانية فإنه يتوجب عليها العمل على استبعاد الدولار كعملة وحيدة لتسعير النفط وهي العملة التي تنسلخ شيئا فشيئا عن حقائق الاقتصاد العالمي .

○ عن عقد اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني

نشرت مجلة الايكونومست في الاسبوع الأخير من المحرم مقالا عن الأزمة التي تتعرض لها منظمة التحرير الفلسطينية جاء في المقال :

اخيرا يخاطر ياسر عرفات بانشقاق في منظمة التحرير الفلسطينية . فقد قام هو ومؤيدوه في فتح ـ اكبر فصائل المنظمة ـ بالدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني ، سواء حضر او لم يحضر من يختلفون مع عرفات .

في ١٥ اكتوبر الجاري ، وفي أعقاب اجتماع في مقر منظمة التحرير الفلسطينية بتونس ، قال بيان ان المجلس الوطني « يجب » ان ينعقد قبل نهاية شهر نوفمبر القادم ، وان « الواجب الوطني » لأعضاء المجلس ان يحضروا ، وان « الاقلية يجب ان تحترم قرار الأغلبية » . فاذا ظلت اعصاب عرفات قوية فان هذه العبارات قد تشير الى نهاية سياسة الاجماع التي كانت تجعل منظمة التحرير الفلسطينية عاجزة منذ تاسيسها قبل عشرين عاما .

ومنذ اخراجه من لبنان في ديسمبر الماضي من قبل سوريا والفلسطينيين المؤيدين لها كان عرفات يحاول ترتيب اجتماع للمجلس الوطني يثبت مركزه كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد عارضت ذلك باستمرار سوريا والفصائل التي تسيطر عليها داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، بما فيها الصاعقة والقيادة العامة التي يتزعمها احمد جبريل وهو ضابط سابق في الجيش السوري . وحاولت اربع فصائل اخرى منها الجبهة الشعبية بزعامة جورج حبش والجبهة الديمقراطية بزعامة نايف حواتمه ان تظل محايدة ، وان تجمع بين من يؤيدون سوريا ومن يؤيدون عرفات . وفي شهر يوليو الماضي توصل هؤلاء المحايدون الى اتفاق مع فتح على مشروع الاصلاح الاداري داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، يحد من حرية عمل عرفات الى حد ما . ولم يشارك المؤيدون لسوريا في الاتفاق . ومع ذلك بدا ان هذا الاتفاق قد مهد الطريق امام اجتماع للمجلس الوطني الذي كان من المقرر ان ينعقد في الجزائر في ٢٥ سبتمبر الماضي .

وثبت ان ذلك كان مثل عد الدجاج قبل ان يفقس البيض . فقد منعت سوريا صراحة الفلسطينيين المؤيدين لها من حضور الاجتماع وقالت للمحايدين ، الذين كانوا قد نقلوا قياداتهم من بيروت الى دمشق ، انه لن يتم السماح لهم بالعودة الى سوريا اذا ذهبوا . كما اثرت على الجزائر لكي تسحب دعوتها لعقد المجلس فيها . وفي المهلة التي اعقبت ذلك استانف الأردن علاقاته الدبلوماسية مع مصر . وادان ذلك المؤيدون لسوريا والمحايدون على حد سواء ادانة قوية وبذلك ادانوا عرفات الذي حافظ على صلته بالملك حسين ملك الأردن وبالرئيس المصري حسني مبارك معا . وقد جعل ذلك من المؤكد حتى عدم حضور المحايدين للمجلس الوطني . وبعد ان فقدوا الصبر اتخذ عرفات وفتح قرارهما .

قال بيان تونس أن المحاولات سوف تستمر لتوحيد منظمة التحرير الفلسطينية ، لكن ذلك ليس إلا مجرد كلام . فقد بدأت المعركة . اذ بينما كانت الجماعات المؤيدة لعرفات مجتمعة في تونس كانت الفصائل المعادية لعرفات مجتمعة في الجزائر حيث اعلن احدهم وهو ، ابوموسى ، بأن معظم أعضاء المجلس الوطني لن يحضروا الاجتماع القادم . ولضمان عدم الحضور . قالت القيادة العامة بزعامة جبريل ، الموجودة تحت الحماية السورية في لبنان ، لاعضاء المجلس أن منازلهم سوف يتم نسفها إذا ذهبوا لحضور الاجتماع .

وعندما ينعقد المجلس الوطني ، إذا انعقد هذا المجلس ، يظل أمامنا ان ننتظر لنرى ما إذا كان سيعطي موافقة الأغلبية للمبدأ الجديد بان قرار الأغلبية هو الذي يجب ان يسود . لقد كان الاجماع مبدأ مقدسا تقريبا من مبادىء منظمة التحرير الفلسطينية . ولابد ايضا من ايجاد مكان جديد لعقد الاجتماع . ويوجد عرض بعقده في بغداد ، غير أن أي اجتماع للمجلس في بغداد سيقترب من قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، بإعلان الحرب ضد سوريا ، عدوة العراق .

وإذا تحررت يدا عرفات فقد يحاول التوصل إلى تفاهم مع الأردن حول كيفية التفاوض مع اسرائيل . وهذا هو الخطر عليه . فإذا لم يعد بوسع اعداء عرفات أن يقيدوه فانهم ربما يحاولون قتله .

○ السوفيات يتقربون من العرب المعتدلين

يحاول السوفيات أن يعودوا إلى مسرح الأحداث في الشرق الأوسط ، منتهزين

فرصة الاخفاق الذي منيت به السياسة الامريكية في المنطقة . حول هذا الموضوع نشرت صحيفة لوموند الفرنسية في أواخر المحرم مقالا جاء فيه :

اكدت مصادر سوفيتية رسمية بأن الرئيس السوري اصر على زيارة موسكو في اسرع وقت ممكن .

واستقبل الرئيس حافظ الأسد في العاصمة السوفيتية كما ينبغي أن يستقبل ، كونه الحليف الرئيسي للاتحاد السوفييتي في منطقة الشرق الأوسط . كما استقبله الرئيس السوفييتي قسطنطين تشيرنينكو ، لكن يبدو أن الرئيس السوري نظرا للظروف الحالية زار موسكو وهو في موقف الطرف الذي يطلب ، فالرئيس حافظ الأسد رغب في الحصول على توضيحات من الكرملن . فالعاصمة السوفيتية عكفت خلال الاشهر القليلة الماضية على اعادة تقييم سياستها في منطقة الشرق الأوسط بشكل يجعلها تعتمد بقدر أقل على الصداقة السورية وهي الصداقة الوحيدة التي تتمتع بها في المنطقة .

فالاتحاد السوفييتي اعاد علاقاته الدبلوماسية بصورة طبيعية مع القاهرة في شهر يوليو الماضي ، كما ان العلاقات المصرية ـ السوفيتية قد شهدت تحسنا ملموسا منذ وصول الرئيس حسني مبارك الى السلطة في مصر .

وقام الاتحاد السوفييتي بابرام صفقة اسلحة مع الكويت ، كما يحاول ايضا إبرام صفقات مماثلة مع عدد من الدول العربية المعتدلة . كذلك فإن الزيارة الأخيرة التي قام بها الرئيس اليمني الشمالي لموسكو تشير إلى قدرة الادارة السوفيتية على عدم شل تحركاتها بسبب العلاقات المتميزة التي تحتفظ بها مع حلفائها العرب .

وعلى الرغم من أن اليمن الجنوبي يعتبر إلى جانب سوريا ، إحدى الركائز الأساسية لموسكو في العالم العربي ـ بالاضافة إلى أن عدن تقدم تسهيلات بحرية للسوفييت في موانئها ـ فإن التوقيع على معاهدة صداقة وتعاون يوم التاسع من شهر اكتوبر الجاري مع « اليمن الأخرى » الأقرب سياسيا إلى المملكة العربية السعودية يشير إلى « المرونة » السوفيتية .

ويبدو أن الاتحاد السوفييتي ينوي ، وإلى اقصى درجة استغلال الموقف الذي خلفه فشل جهود الوساطة الاميركية في منطقة الشرق الأوسط وبالأخص لبنان . وهذا يفسر هجوم الغزل السوفييتي في اتجاه الدول العربية المعتدلة ، التي يمكن ان تؤيد دعوته لعقد مؤتمر دولي لبحث مشكلة الشرق الأوسط . والحقيقة التي تقال هي أن الاستراتيجية السوفيتية لا تزال ثابتة حتى اذا كان التكتيك يتغير من حين الى آخر وتتلخص هذه الاستراتيجية في الحرص دائما على التواجد أثناء البحث عن تسوية لأزمة الشرق الأوسط والعودة إلى المسرح الشرق أوسطي الذي طرد منه السوفييت بشكل شبه كامل بسبب التوقيع على اتفاقيات كمب ديفيد . فموسكو ترغب على الدوام بتذكير الجميع أنه لن يكون هناك سلام في منطقة الشرق الأوسط بدونها . فتطبيع العلاقات مع القاهرة وتعزيز العلاقات مع جمهورية اليمن الشمالية ، كما ومن الجائز ان تكون الخطوة الاخيرة بمثابة البدء في اتصالات مع السعودية التي تشمل صنعاء برعايتها وحمايتها ، كلها خطوات تتجه نحو تحقيق هدف السوفييت بالعودة الى مسرح الأحداث في منطقة الشرق الأوسط .

ولا شك تشيرنينكو حاول طمأنة الرئيس حافظ الأسد على نوايا الكرملين ، وافضل الطرق لاقناع الزعيم السوري هي زيادة حجم المساعدات العسكرية لبلاده .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية

تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440

لبنان : بيروت ـ الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)

الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥)

السعودية : جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ .
الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء

سلطنة عمان : وكالة مجان للتوزيع ـ مسقط

صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص . ب (١١٠٧)

البحرين : دار الهلال

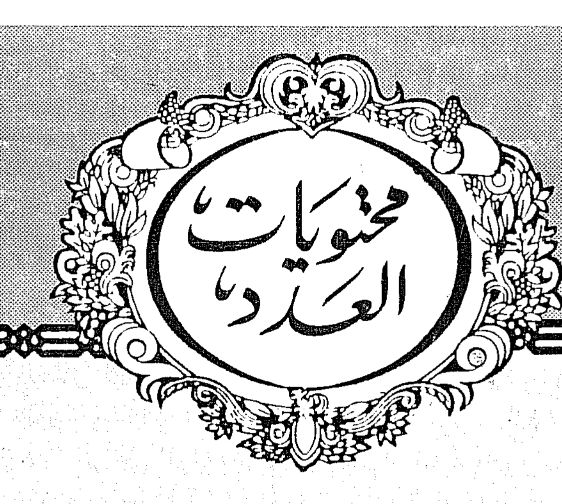
قطر : دار العروبة ص . ب (٦٣٣)

أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص . ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ